التفاعلات الحضارية في فجر وضحى الإسلام

دراسة للنواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية

تاليف

الدكتور شحادة علي الناطور

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٩٩٧/١/١١٧)

رقم التصنيف : ٩٥٦

المؤلف ومن هو في حكمه : شحادة علي الناطور

عنوان الكتاب : التفاعلات الحضارية في فجر وضحى الاسلام

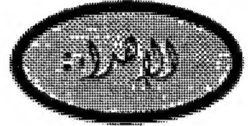
الموضوع الرئيسي : ١- التاريخ والجغرافيا

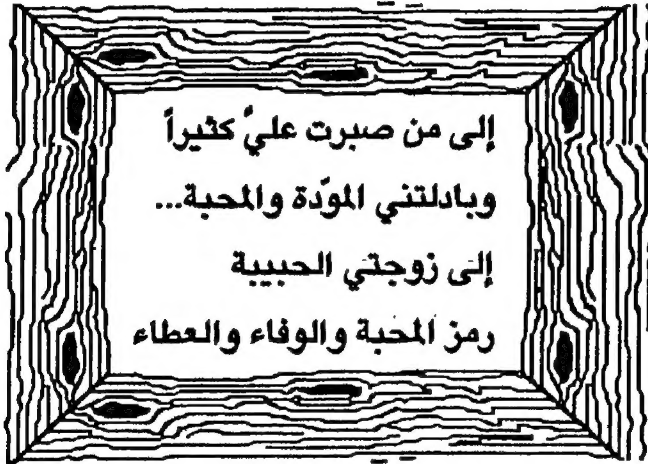
٢- الحضارة الاسلامية

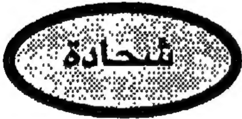
رقم الايداع : (١٩٩٧/١/١١٧)

بيانات النشر : اربد: دار الكندي

*- تم اعداد بيانات الفهرسة الاولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية.


الإهداء


إلى من صبرت عليَّ كثيراً
وبادلتني المودّة والمحبة...
إلى زوجتي الحبيبة
رمز المحبة والوفاء والعطاء


شحادة

فهرست المحتويات

والموالي كانوا جزءاً من المجتمع الأموي، اختلفت فيهم الآراء، وتباينت عليهم الأحكام، وتنوعت الصور في أذهان الناس عنهم، والحق يقال: إننا لا نزال نحمل مظاهر هذه التباين في معرفة الحقائق، فقد انقسم المؤرخون إلى فريقين متباينين، فريق يرى أنهم كانوا مظلومين في مجتمعهم وآخر يرى عكس ذلك، مما دفعني لأن أتناول هذه القضية وأناقش آراء كل فريق لأخلص بصورة موضوعية عن وضعهم في المجتمع الأموي.

وعلى الرغم من أن الباحثين لم يتناولوا أثر الموالي في المجتمع من النواحي الاجتماعية الاقتصادية والثقافية بصورة متكاملة بل ركز معظمهم على دورهم السياسي، فلا تكاد تجد دراسة متكاملة بل دراسات وبحوث مبتورة، وإشارات وتعميمات مع تعدد في الآراء حول الموضوع، مما شجعني على أن أتناول هذا الموضوع.

وما هذه الدراسة التي قمت بها للموالي وما قاموا به من نقل للحضارة إلا محاولة لإلقاء الضوء على دورهم الفاعل في عهد بني أمية، ومقدار إسهامهم في تنمية المجتمع من النواحي الآنفة الذكر، وهي مستمدة مما تقدمه المصادر من معلومات، متوخياً فيها الدقة والحقيقة المجردة.

ولا شك أن موضوع الموالي شائك لتعدد الآراء، وقلة المادة المتوافرة في كثير من جوانبه التي لا تعدو المعلومات والحقائق المنتشرة في بطون المصادر.

هذا، ولم يكن أمامي مصدر أساسي أعتمد عليه بل تنوعت مصادر المعلومات الحقائق بين كتب التاريخ والجغرافية، والأدب والفقه والفن والآثار والأنساب والتراجم. .. وقد أخذت منها مع التروي والحذر فيما تذكر.

وعلى أساس من المعلومات السابقة، بدأت مسيرتي مع موضوع دور الموالي في المجتمع الأموي، وقد رأيت أولاً، إن أبدأه بفصل تمهيدي يشتمل على ثلاثة مباحث:

تناول المبحث الأول، مفهوم الموالي عند العرب قبل الإسلام، والرابطة التي كانت تقوم بين السيد والمسود، وموقف الإسلام من الولاء، ومكانة الموالي في فجر الإسلام.

وتحدث المبحث الثاني عن الموالي في المجتمع الأموي، ومقدار ما أسهموا في مراكز الدولة، وإدارتها من كافة النواحي العسكرية والإدارية، وما نتج عنه من تفاعل حضاري، كما شمل هذا القسم بعض المواقف الاجتماعية النادرة التي أخذها المستشرقون على العرب، وكشفت حقيقتها.

وتحدث المبحث الثالث عن العصبية القبلية عند العرب قبل الإسلام، وأثر تقاليد العرب في ذلك، وكيف أن هذه التقاليد بقيت متمكنة فيهم بعد الإسلام، وشجعها الأمويون خدمة لمصالحهم، فرأينا الانقسام بين قيس ويمن، والمعارك التي دارت بينهم.

ولم يفتني أن أتعرض إلى حادثة اغتيال عمر بن الخطاب، وأن أحلل هذا الحدث وأبين أثر ذلك على الموالي، كما تطرقت إلى سياسة عثمان بن عفان وأثرها في العرب، والبيت الأموي بصورة خاصة.

أما الفصل الثاني، فقد أفردته للحديث عن التفاعلات الحضارية في الحياة الاجتماعية، وهو يشتمل على عدة مباحث:

الأول منها: يناقش حياة المرأة العربية، ومقدار تأثرها بظاهرة الإماء والجواري، وما تفرع عنها من عناصر فرعية مثل التسري، والمهور والزينة.

وشمل المبحث الثاني: المجالس الاجتماعية، بما فيها مجالس الخلفاء والولاة، وما تضمنته من أنظمة وقوانين، فبحثت أصل الحجابة والندامة، واستعمال الستارة، وإدخال السرر والكراسي، وما تبع ذلك من تقاليد المجلس.

واحتوى هذا الفصل مبحثاً حول آداب الطعام، وطرق إعداده، وبينت دور الموالي في إدخال المأكولات والأدوات الجديدة، وكذلك في إعداد الطعام.

وهناك مباحث عدة كالملابس وما أصابها من تطوروتحسن، نتيجة الترف والامتزاج، والحمامات التي كثرت وتوسعت، والاحتفالات الفارسية التي أعيدت.

وخصصت الفصل الثالث لمناقشة التفاعلات الاقتصادية وهو يحتوى على أربعة مباحث:

الزراعة:

وقد تناولت فيها سياسة الخليفة عمر بن الخطاب للأراضي المفتوحة، ومن ثم موقف الخلفاء الأمويين، والإصلاحات الزراعية التي قام بها الخلفاء الأمويون، كنقل المزارع، وحفر الأنهار، والصهاريج، وتجفيف المستنقعات، وإقامة القناطر، ونتائج هذه الإصلاحات على المزارعين، وموقف بعض الخلفاء التشجيعي لهم، وأنواع المزروعات، كما لم أنس الثروة الحيوانية، وقد ركزت على دور الموالي في الزراعة.

الصناعة:

عرضت العوامل المساعدة التي أدت إلى تفاعل الصناعة ثم ازدهارها، وإلى أسباب تقدم صناعة النسيج، وتناولت أشهر الصناعات التي كان للموالي الفضل في ازدهارها، كصناعة النسيج بأنواعه: الحرير والكتان والقطن والصوف، وصناعة العطور والدهون، ومعادن الزينة والصناعات الخشبية، وصناعة الورق والخزف والأواني الزجاجية.

التجارة:

تناولت التجارة والعوامل المساعدة لها، كما تحدثت عن الطرق التجارية بأنواعها، وأثر التجارة على الأسواق وعلى البضاعة ودور الموالي في التجارة الداخلية والخارجية.

النقد:

وأبرزت فيه الدور الفاعل للموالي في تحسين وتطوير عملية سك النقود.

والفصل الرابع، تناولت التفاعل الحضاري في الحياة الثقافية، وقد شمل عدة مباحث، كان المبحث الأول عن دور الموالي في الأدب العربي، فتحدثت عن أشهر شعرائهم والأغراض التي تناولوها، وما أضافوه من صور فنية جديدة، كما شمل النثر ودورهم في النحو أيضاً وتعرضت إلى ظاهرة الشعوبية، كظاهرة سلبية، وكيف أنها بدأت في العصر الأموي لزعزعة السلطة الأموية وتشويه الأدب العربي والتراث الإسلامي بما أدخلوه من أفكار دينية.

وشمل المبحث الثاني الناحية العمرانية، فتحدثت عن التفاعل الحضاري في بناء مسجد قبة الصخرة (القدس) والمسجد الأموي (دمشق) وقصر عمرة، قصر المشتى (الصحراء الأردنية)، وقصر المفجر (قصر هشام/ أريحا الأردن) وقصر الحير الغربي.

وهناك مبحث ثالث تناول العلوم الشرعية، ودور الموالي الإيجابي في نشأة علم الحديث والرواية، والفتيا، والتفسير، وظهور مدرستي العراق والحجاز، وما تبع ذلك من مدارس فلسفية كالمعتزلة والجبرية والقدرية.

وأنهيت هذا الفصل بالمبحث الذي يتحدث عن الغناء، وحاولت أن أناقش العوامل المساعدة لظهور مدرسة الغناء في الحجاز، وأشهر المغنين، وما قدمه هؤلاء المغنون من الموالي من الألحان وأصول الغناء، ومن ثم تطور الفن على أيديهم، كما شمل أيضاً أهم المجالس الفنية الخاصة بالفنانين التي كانت أشبه بمعاهد لهم.

وألحقت في نهاية الكتاب، ملحقاً بتراجم المغنين والمغنيات من الموالي في كل من مكة والمدينة إلى جانب معجم لبعض المفردات ورتبتها ترتيباً هجائياً.

والمصادر التي استعنت بها كان بعضها مخطوطاً بينما معظمها مطبوعاً، والمخطوطة منها خمس هي:

الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام[1]، وهو جزآن للبياسي (يوسف بن محمد البياسي، المتوفى سنة ٦٥٤ هجري)وهو كتاب تاريخ يبدأ من مقتل عمر بن الخطاب حتى هارون الرشيد.

وقيد الشريد من أخبار يزيد[2] لابن طولون (شمس الدين بن طولون)، وقد تحدث مؤلفه عن حياة يزيد بن معاوية والأحداث التي جرت في زمنه.

وتاريخ دمشق[3]، لابن عساكر (ثقة الدين أبو القاسم علي بن أبي محمد الدمشقي ٤٩٩-٥٧١ هجري)، والكتاب تسع عشرة مجلدة، الأولى في فضائل الشام وفتحها على يد المسلمين، والثانية لمدينة دمشق وفيها ترجمة حياة الرسول (ص)، وباقي الأجزاء تراجم لأعلام مرتبة ترتيباً هجائياً بادئة بأحمد.

والمخطوط الرابع كتاب العود والملاهي وأسمائها[4] لابن سلمة النحوي (أبو طالب المفضل بن سلمة النحوي المتوفى سنة ٣٦٠ هجري)، وقد تحدث مؤلفه عن الآلات الموسيقية بأنواعها وأشهر من عزف عليها.

وأما الخامس والأخير فهو ازهار العروش في أخبار الجيوش[5] للسيوطي (جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هجري) وتناول فيه مؤلفه الموالي الأحباش "السود" وفضائلهم في الإسلام.

وقد أفدت من هذه المخطوطات، ولكن كان ذلك محدوداً.

وعلى الرغم من أن كتب التاريخ تركز اهتمامها على النواحي السياسية، إلا أننا نجد بين صفحاتها معلومات قيمة مبعثرة هنا وهناك، ولا يمكن لأي باحث

---

(١) مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٩ تاريخ.

(٢) مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٣٢ تاريخ.

(٣) مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٨٤-٢٣٩١ (وقف أسعد باشا العظم).

(٤) مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣٣ فنون جميلة.

(٥) مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٦٤ تاريخ عن نسخة الأسكوريال.

تجاهل هذه المصادر في أي بحث تاريخي لأهميتها وقد أفدت من الكثير من الكتب القيمة، وأهمها:

الطبقات لابن سعد (توفي ٢٢٠ هجري)، وعيون الأخبار، والمعارف والإمامة والسياسة (ينسب إليه)، وكتاب العرب لابن قتيبة (توفي سنة ٢٧٩ هجري) والمحبر لابن حبيب البغدادي (توفي سنة ٢٤٥ هجري)، وكتاب فتوح البلدان وأنساب الأشراف للبلاذري (توفي سنة ٢٧٩ هجري) والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (توفي سنة ٢٨٢ هجري)، وتاريخ اليعقوبي لليعقوبي (توفي سنة ٢٨٤ هجري)، وتاريخ الأمم وتاريخ الرسول للطبري (توفي سنة ٣١٠ هجري)، وكتاب الوزراء والكتاب للجهشياري (توفي سنة ٣٢٩ هجري)، وأسد الغابة لابن الأثير (توفي سنة ٦٣٠ هجري).

وقد أفدت من كتاب الطبقات لابن سعد فائدة كبيرة، لأنه تناول حياة الصحابة والتابعين، الذين نزلوا الأمصار، وأورد معلومات عن العطاء والخراج عند ترجمة حياة عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز، وقد أفدت منه فائدة كبيرة عند كتابة دور الموالي في العلوم الشرعية وكذلك في الفصل الأول عند الكتابة عن العصبية القبلية.

ويكاد يكون فتوح البلدان للبلاذري أكثر المصادر التاريخية التي استعنت بها، بحيث كان مصدراً لمعظم فصول البحث: التمهيدي والاقتصادي والاجتماعي، لإيراده معلومات قيمة عن الفتوح والضرائب والخراج.

والمصادر المساندة، فمنها كتب الجغرافية التي أمدتني بمعلومات قيمة حول طبيعة الأرض وما فيها من أنهار ومعادن، وزراعة وصناعة، وكذلك الطرق التي تربط بين المدن مما كان له أكبر الأثر عند كتابة الفصل الخاص بالحياة الاقتصادية، وأهم هذه الكتب:

المسالك والممالك لابن خرداذبة (توفي سنة ٢٩٠ هجري)، وكتاب البلدان لليعقوبي (توفي سنة ٢٨٤ هجري)، والأعلاق النفيسة لابن رستة (توفي سنة ٢٩٠

هجري)، والتنبيه والإشراف للمسعودي (توفي سنة ٢٤٠ هجري)، وكتاب مسالك الممالك للإصطخري (عاش في القرن الرابع الهجري)، وكتاب صورة الأرض لابن حوقل (توفي في النصف الأول للقرن الرابع الهجري)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (توفي سنة ٦٢٢ هجري)، وكتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (توفي سنة ٣٧٥ هجري)، وأخبار البلدان للقزويني (توفي سنة ٦٨٢ هجري)، هذا إلى جانب الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل لمجير الدين، ورحلة ابن بطوطة، ورحلة ابن جبير.

وكتب الفقه، تكمن قيمتها في اهتمامها بالخراج والشؤون الاقتصادية والإدارية، إلى جانب الاهتمام بالفقهاء والقراء والحفاظ والرواة، ومكانتهم ومقدار ما تفاعلوا مع مجتمعهم، وقد تناولت هذه المصادر، عند الكتابة عن الزراعة والعلوم الشرعية، وظهور المدارس الفقهية وكتابة التاريخ.

ومن أهم المصادر الفقهية والدينية التي أخذت عنها:

كتاب الخراج، لأبي يوسف (توفي سنة ١٨٢ هجري)، وكتاب الخراج ليحيى ابن آدم (توفي سنة ٢٢٤ هجري)، وكتاب الأحكام السلطانية للماوردي (توفي سنة ٤٥٠ هجري)، الكفاية في علم الرواية، والفقه التفقيه للخطيب البغدادي (توفي سنة ٤٦٢ هجري)، وأعلام الموقعين لابن القيم الجوزية (توفي سنة ٧٥١ هجري)، وغاية في طبقات القراء لابن الجزري (توفي سنة ٨٣٣ هجري)، هذا بالإضافة إلى كتب الفرق الإسلامية للأشعري والشهرستاني والبغدادي وابن حزم.

وكتب الأدب شديدة الارتباط بالتاريخ، لما تحتويه من مقتطفات متنوعة حلو العادات والتقاليد، والملابس والمجالس، إلى جانب اهتمامها بالشعر والشعراء. وقد أفدت في بحثي من عدد من أمهات هذه المصادر وأهمها: الكامل، للمبرد (توفي سنة ٢٧٦ هجري)، والعقد الفريد، لابن عبد ربه (توفي سنة ٣٢٨ هجري)، والشعر والشعراء لابن قتيبة (توفي سنة ٢٧٩ هجري)، والمحاسن والأضداد، والتاج في أخلاق الملوك، والبيان والتبيين، والتّبصّر بالتجارة، والرسائل للجاحظ. توفي سنة

٢٥٥ هجري)، لقد أثرت هذه المصادر بحثي في الناحية الأدبية إلى جانب كتب التراجم، ككتاب وفيات الأعيان لابن خلكان (توفي سنة ٦٨١ هجري)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (توفي سنة ٦٢٦ هجري).

أما كتاب الأغاني للأصفهاني (توفي سنة ٣٦٠ هجري)، فله أهمية خاصة في البحث، حيث اعتمدت عليه كثيراً، وخاصة في الحياة الفنية في الحجاز، ودور الموالي في الأدب العربي إلى جانب العادات والملابس والمآكل.... وغيره.

هذه هي أهم المصادر، وهناك عشرات غيرها، أثبتت في الهوامش عند الإفادة منها.

أما المراجع الحديثة ذات الصلة الوثيقة بموضوع أطروحتي والقريبة إلى حد ما منها، كتابا الموالي في العصر الأموي للشيخ محمد الطيب النجار، الذي كتبه منذ ما يزيد عن ثلث قرن، وتاريخ العراق في ظل الحكم الأموي للخربوطلي، والعراق في العصر الأموي للراوي، وصلات العرب والفرس والترك لحسين مجيب المصري، والتقاء الحضارتين العربية والفارسية ليحيى الخشاب، والصراع بين الموالي والعرب لمحمد بديع شريف.

ومن الأبحاث الجادة التي أفادتني في بحثي: الجذور التاريخية للشعوبية، للدوري، الشعوبية، لزاهية قدورة، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، لإبراهيم بيضون، العمارة العربية، لفريد الشافعي، والخراج والنظم المالية للريس، والدرهم والدينار للنقشبندي.

وأخيراً، حاولت الرسالة أن تجيب عن عدد من الأسئلة وضعتها كفروض للدراسة أهمها:

من هم الموالي؟ كيف كان وضعهم قبل الدولة الأموية وكيف أصبحوا فيها؟ هل كانوا منصفين أم مظلومين؟ ماذا أسهموا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفنية؟ هل يمكن أن يتطور المجتمع الأموي ويصل إلى ما وصل إليه لولا وجود الموالي فيه؟

لقد حاولت أن أجد الإجابة للأسئلة، من بطون الكتب حيناً وبالتحليل حيناً آخر، وذلك بمقارنة النتائج بالأسباب متخذاً من المنهج التكاملي الذي يأخذ من كل بطرف.

وما لاشك فيه أن في هذا البحث بعض المآخذ، فمهما بذلت فسيبقى ناقصاً لأن الكمال لله وحده، وعزائي أنني لم أدخر جهداً أستطيع بذله إلا أديته.

وإذا كان هذا البحث قد حقق قدراً من الإضافة، في هذا النوع من الدراسات، فإن الفضل لله وحده لما منحني إياه من قوة العزيمة والبصيرة كما لا يفوتني من الإقرار بالفضل لذويه، فلكل من أعان بمشورة أو سدد رأياً أو أسهم بمساعدة أتقدم بالشكر وعميق التقدير، وأخص بذلك الأخ الصديق الدكتور إبراهيم بيضون، والدكتور نقولا زيادة، والدكتور سليم القهوجي، والأخوين الدكتور عفيف عبد الرحمن رئيس دائرة اللغة العربية والدكتور نبيل حداد بجامعة اليرموك في إربد بالأردن.

والله الهادي إلى كل صواب.

شحادة الناطور

إربد ١٩٨٢/٥/٢٨

الفصل الأول

الموالي ودورهم في نقل الحضارة

الفصل الأول

الموالي ودورهم في نقل الحضارة

أ- مفهوم الموالي حتى نهاية الدولة الأموية:

شغل الموالي دوراً هاماً في التاريخ العربي الإسلامي، فقد كان لهم تأثير كبير في المجتمع الأموي من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فهم الذين قاموا بنقل الوسائل الحضارية للمجتمع الجديد، وبفضلهم نمت العلوم الشرعية، وهم الذين أوجدوا نواة الثورة الفكرية، مبادئ الأفكار الفلسفة الدينية، كما أنهم رواد الجدلية في الإسلام.

فمن هم الموالي؟ ومن اين اشتق اسهم؟

إن كلمة مولى مشتقة من الفعل ولي، ومصدرها الولاء، واسم المفعول منها مولى، ولهذه المفردة عدة معانٍ منها[1]:

١. الوالي، كما جاء في القرآن الكريم "ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا، وأن الكافرين لا مولى لهم"[2]

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ج٣، ص٩٨٥. دار لسان العرب، بيروت سنة ١٩٨٠.

(٢) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج٤، ص٤٠٤ دار الجيل، بيروت مصور عن مصطفى الحلبي طبعة ٢ سنة ١٩٥٢.

سورة محمد، آية ١١ . أنظر تفسير النسفي، ج٤، ص١٥١، دار الكتاب العربي، بيروت بلا تاريخ.

"واعتصموا بالله مولاكم، فنعم المولى ونعم النصير"[1]

"يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً"[2]

وقد وردت بهذا المعنى في صور متعددة أيضاً[3].

٢. ورثة الرجل وبنو عمومته، كما جاء في قوله تعالى "وإني خفت الموالي من ورائي وكانت إمرأتي عاقرا"[4]

"ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون[5].

٣. الحليف: وهو من انضم إليك[6]، فعز بعزك وامتنع بمنعتك، وهذا يتناسب مع الشاعر الخصفي:

هم المولى وإن حنقوا علينا وإنا من لقائهم لسرور

٤. ومن معانيها المعتق: وهو من انتسب لنسبك، فقيل عن المعتقين الموالي، كما تطلق هذه المفردة على السيد المُعتِق[7]، وهذا المعنى هو ما يهمنا في بحثنا لما تضمنه من مدلول معين ثم تطور. والعرب قبل الإسلام عرفوا الموالي، وكانوا يعنون بذلك كل من انضم من العرب الأحرار من غير أبنائها إلى القبيلة عن طريق الجوار أو التحالف، وكذلك العتقاء من الأرقاء فيها[8].

كما عرف بين العرب موالي البنوة الأموية، فقد تبنى النبي كغيره –من

(١) سورة الحج، آية ٧٨. انظر تفسير النسفي ج٣، ص١١٣.

(٢) سورة الدخان آية ٤١. أنظر تفسير النسفي ج٣، ص١٣٣.

(٣) سورة الأنفال آية ٤١، الحج آية ١٣.

(٤) سورة مريم آية ٥. انظر تفسير النسفي ج٣، ص٢٩.

(٥) سور النساء آية ٣٣. انظر تفسير النسفي ج١، ص٢٢٣.

(٦) محمد النجار: الموالي في العصر الأموي، ص١١٤. دار الفيل للطباعة، القاهرة، سنة ١٩٤٩.

(٧) ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٩٨٥. الفيروزيادي: القاموس المحيط، ج٢، ص٤٠٤. محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين ج١٠، ص٨١١، بيروت، سنة ١٩٧١.
أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية، دار الفكر القاهرة، طبعة ٢. سنة ١٩٦٥.

(٨) انظر: أحمد ابراهيم الشريف: مكة والمدينة، ص٣١.

العرب– زيد بن حارثة الذي عرف بزيد بن محمد[1] حتى نزل قوله تعالى "ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله"[2]، وبذلك دحض الإسلام البنوة والأمومة، ودعا نسبة الموالي لواده، وبين مكانته بقوله تعالى "فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم"[3]، وبذلك أعلى مفهوماً جديداً بأن حدد العلاقة بين السيد وعبده بالأخوة الدينية.

وقد أدت الفتوحات إلى كثرة الأعجام، ولما لم يجد العرب اسماً يطلقونه عليهم، أسموهم الموالي[4]، ثم أخذت هذه التسمية مفهوماً محدداً، فأصبحت تطلق على كل من أسلم من غير العرب سواءٌ أكان رقيقاً أم حراً[5].

هذا، وقد وجدت بين السيد والمسود علاقة سميت بالولاء، وهي صلة تربط بين طرفين أحدهما قوي يلتزم بنصرة ضعيف يحتاج إليه، والآخر يقوم بالالتزام بخدمته وطاعته والوقوف معه عند الخطوب[6].

ورابطة الولاء معروفة منذ أقدم العصور، وقد سمى الطرف الضعيف بالعبد أو الرقيق حيناً أو المملوك حيناً آخر لدى الشعوب القديمة بما فيهم الفرس.

أما العرب فقد عرفوا الرق عن طريق تغازيهم فكانوا يستولون على رجال

---

(١) انظر: ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص٦٣. دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ٢ سنة ١٩٧٠.

(٢) سورة الأعراف، آية٥ .

(٣) السورة والآية نفسها.

(٤) عبد السلام القرمانيني: الرق ماضيه وحاضره، ص٨٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، سنة ١٩٧٩.

(٥) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٨٨. محمد بديع شريف: الصراع بين الموالي والعرب، ص٨٣. أحمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي، ص ٤٥٠. النجار: الموالي في العصر الأموي، ص١٤. ابراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام، ص ٥٥١. أحمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي، ص١٨٥.

(٦) الترمانيني: الرق ماضيه وحاضره، ص٨٢.

ونساء خصومهم ويتخذونهم أرقاء، وكان هؤلاء في أحط منزلة اجتماعية، يباعون في الأسواق(١).

فالمولى عند العرب -قبل الإسلام- كان أسيراً أو سبياً، أو عبداً تم شراؤه، وكان ينسب إلي السيد الذي أعتقه(٢)، أو إلى بلده الأصلي، وكان يطلق على هؤلاء اسم عبيد أو أرقاء وهما بمعنى واحد(٣).

وإذا استقرأنا التاريخ لحصر مصادر الرق لما قبل الإسلام، نجدها كثيرة، ولكن الإسلام -فيما بعد- حصرها في أسرى الحرب المشروعة لصد البغي والعدوان وإعلاء كلمة الإسلام بين المسلمين وغيرهم من الشعوب والأمم(٤)، فأكد أنه لا رق لمسلم ولا لذمي يدفع الجزية، علماً بأن الإسلام اتبع بادئ الأمر نظام الاسترقاق في بداية الإسلام، كما كان في العهد الجاهلي، فقد غزا النبي بني المصطلق رداً على استعدادهم لحربه، فسبى نساءهم وأموالهم(٥)، وكانت منهم جويرية إحدى زوجاته، ولكن بعد ترسيخ الإسلام والقضاء على الشرك، لم يعد يقبل من العرب إلا الإسلام أو القتل، فقد أعاد عمر بن الخطاب سبي بني تغلب إلى عشائرهم وكذلك أموالهم(٦)، وبذلك استبعد العرب من الاسترقاق، ولم يكتف الإسلام بذلك بل حارب الرق ورغب عنه وفتح له كافة الأبواب والمسالك للتخلص

(١) أحد شفيق: الرق في الإسلام، ص١-٣٠، المطبعة الأهلية، القاهرة، سنة ١٨٩١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣،ص٢٧. دار التحرير القاهرة سنة ١٩٦٨. النسفي:ج٣، ص٢٩٤. "كان زيد بن حارثة من قبيلة كلبة سبي وهو صغير فاشتراه حيكم بن جزام لعمته خديجة، التي قدمته هبة للنبي بعد زواجها منه".

(٣) أحمد الشريف: مكة والمدينة، ص٤٧.

جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج٤، ص٣٠٢، دار الحياة بيروت سنة ١٩٦٧. فقيل مولى فلان، أو مولى أهل المدينة ومكة، سليمان الفارسي، صهيب الرومي.

(٤) The Encyclopedia of Islam ivof. 1. p. 24. London 1960.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٣٠٢. مصطفى البابي الحلبي، القاهرة سنة ١٩٣٦.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص٥٢٢. النشر للجامعيين، بيروت. ١٩٥٧.

من أغلال العبودية كما هو في الأحوال التالية:

١. كفارة للقتل غير المتعمد أو الحنث باليمين لقوله تعالى:
"ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة"(١)
وكذلك كفارة لمن يرتكب الإفطار بالعمد(٢).

٢. طلب الأجر والثواب، قال عليه السلام "من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضومنها عضواً من أعضائه من النار حتَّى فرجَهُ بفضرجِه»(٣).

٣. بر الوالدين بعد وفاتهما اعترافاً بفضلهما لقول النبي "لا يجزي ولد عن والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه"(٤).

٤. المكاتبة: أي "بيع ما له بما له من أداء"(٥)، وذلك بأن يتفق المملوك مع مولاه على مبلغ معين من المال مقابل حريته، لقوله تعالى: " والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيديكم، فكاتبوهم إن علمتم بهم خيراً"(٦).

ولقوله عليه السلام "المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته درهم"(٧).

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٣٩، دار صادر + دار بيروت، سنة ١٩٦٠.
سورة النساء، آية ٩٢.

(٢) الشوكاني، نيل الأوطار، ج٤، ص٢٩٣، دار الجيل، بيروت سنة ١٩٧٣. روي عن أبي هريرة أنه قال "جاء رجل إلى النبي (ص) قال: هلكت يا رسول الله، قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان. قال هل تجد ما تعتق رقبة..".

(٣) الشوكاني، نيل الأوطار، ج٦، ص١٩٩.

(٤) المصدر السابق، ج٦، ص٢٠٣.

(٥) الحصني:كفاية الأخيار،ج٢، ص١٧٩. دار المعرفة، بيروت طبعة ٢ بلا تاريخ.

(٦) الشوكاني: نيل الأوطار، ج٦، ص٢١٧.
سورة النور آية ٣٣.

(٧) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٦ص٢٣٤.
ابن عاصم القرطبي: الاستيعاب في أسماء الأصحاب على هامش الإصابة ج٢، ص٥٧-٥٨.
دار الفكر، بيروت، سنة ١٩٧٨.
"نال سلمان الفارسي حريته بالمكاتبة بإحياء مئة نخله وأربعين وقية ذهباً".

وقد نال سلمان الفارسي حريته بالمكاتبة[1]، كما روي عن عمر بن الخطاب أنه ضرب أنس بن مالك بالدرة حينما امتنع عن مكاتبة عبده سيرين[2].

٥. المعاملة القاسية من قبل السيد نحو مولاه لقوله عليه السلام: "من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه " و "من مثل بعبده عتقه عليه"[3].

٦. زواج الحرة بالرقيق، فأولادها يتبعونها في الحرية، وإذا كان العكس، فإن الزوج لا يعدم الوسيلة لتحرير أولاده، بشراء أمته فتصبح أم ولده قال الرسول "إذا أعتق الرجل أمة ثم تزوجها بمهر جديد، كان له أجران"[4]. كما منح الإسلام الحرية للأمة إذا مات زوجها بعد الإنجاب، إذا لم تكن قد اعتقت من قبل[5].

٧. الخارج إلى دار الإسلام من دار الكفر أصبح حراً، كما حصل أثناء حصار الطائف[6].

ولم تكن تلك الوسائل الوحيدة لتحرير الرقيق فهناك النذر، والتدبير أي تعليق العتق بموقف أو حادث، "والوصية التي يوصي بها محسن، فيعتق العبد من ثلث المال[7].

أما معاملة الموالي، فقد دعا الإسلام إلى المعاملة الإنسانية، فحث على

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٨٦. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص١١٩. دار الفكر، بيروت سنة ١٩٧٨.

(٢) الشوكاني: نيل الأوطار، ج٦، ص٢٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٩٥.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٥٥.

(٥) قال عليه السلام: "أيما أمة ولدت من سيدها فإنها حرة إذا مات إلا إذا أعتقها قبل موته". ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص١٢٧. ابن قتيبة: المعارف، ص١١١.

(٦) الحصني: كفاية الأخبار، ج٢، ص١٧٨.

(٧) الشوكاني: نيل الأوطار، ج٦، ص٢١٧.

مشاركتهم في الأكل والملبس، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون وتقديم المساعدة لهم[1].

ولما كان إعتاق العبد يجر عليه -أحياناً- ضيقاً في سبل العيش، كان لا بد من استمرار الصلة ما بين الطرفين، عرفت باسم رابطة الولاء، وقد اتخذت هذه الرابطة عدة مظاهر عند العرب:

١. الولاء المشروط، وهو الاحتفاظ بالولاء حتى عند بيعه أو هبته[2] كما قد يباع (الولاء) أو يوهب[3].

٢. مولى الرحم: ويكتسب بالزواج من موالي بعض القبائل، فينسب إلى القبيلة التي تزوج من مواليها، كما حدث مع "سريف" الشاعر الذي كان مولى "خزاعة" ثم ادعى ولاء بني هشام لأنه تزوج مولاة "لآل أبي لهب"[4]. وعرفه البعض بولاء الاستلحاق[5]، وبخاصة في حالة التبني فينسب لسيده.

٣. السائبة: أي العلاقة بين المعتوق معتقه، تكون بدون ولاء مشروط للمعتق أو لغيره، كما حدث مع سالم "مولى حذيفة ابن عيينة" فقد أعتقته زوجته بثينة بلا شروط[6].

---

(١) المصدر نفسه والصفحة. قال عليه السلام "للمملوك طعامة وكسوته ولا يكلف من العمل ما لا يطيق" وقال أيضاً "إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه" الشوكاني: نيل الأوطار، ج٧، ص١٤٢.-١٤٣. كانت وصية الرسول حين حضرته الوفاة وهو يغرغر، الصلاة وما ملكت أيمانكم".

(٢) محمد النجار: الموالي في العصر الأموي، ص١٧٠، دار النيل للطباعة، القاهرة سنة ١٩٤٩.

(٣) الترمانيني: المرجع السابق، ص٨٣.

(٤) زيدان: التمدن الإسلامي، ج٤، ص٣٠٥.

(٥) أحمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي، ص٢٢. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة سنة ١٩٤٥.

(٦) السيوطي: أزدهار العروش في أخبار الجيوش، ص٤٢ مخطوط، رقم: ٧٦٤، دار الكتب المصرية.

٤. ولاء الموالاة: وهو حلف بين رجل حر انضم إلى قبيلة غير قبيلته فمركزه الاجتماعي حر ولكن عليه من التبعات العامة ما على أفراد القبيلة، فينسب إلى من حالفه[١] وسماه البعض "اليمين المحالف"[٢].

٥. مولى الجوار: ويمنح هذا الولاء لمن يلجأ من الغرباء إلى القبائل طالباً الجوار من أحد أفرادها، كما قد يلجأ لذلك من خلعته قبيلته، أو خلع نفسه من قبيلته، فقبلته أخرى[٣]. وسماه البعض بمولى الدار[٤].

٦. مولى النسب: وهم أبناء العم والقرابة. قال الشاعر:

نُبئت حياً على نعمان أفردهم ... مولى اليمين ومولى الدار والنسب[٥]

وحين جاء الإسلام أقر مبدأ الولاء بوصفه صلة بين العبد وسيده، ولكن الإسلام أنكر بل ألغى ما كان متعارفاً عليه وأضفى مفهوماً جديداً، فأعطى الموالاة معنى المعاونة والمساعدة ثم حصر الولاء فيمن أعتق. قال عليه السلام "الولاء لمن أعتق" وفي رواية أخرى" الولاء لمن أعتق وإن اشترط مئة شرط"[٦]، وألغى التبني "مولى الرحم" قال تعالى " ادعوهم لآبائهم"[٧] ومنع هبة الولاء أو بيعه لقول النبي "الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب ولا يورث"[٨]. كما لم يسمح لولاء السائبة فالعاتق وإن زالت ملكيته على عبده يبقى ملتزماً برعايته ومدّه بما يحتاج إليه بعد تحريره.

---

(١) الشايب: تاريخ الشعر السياسي، ص٢٣. أحمد الشريف مكة والمدينة، ص٤٤.

(٢) ابن رشيق: العمدة ج٢، ص١٩٨. المكتبة التجارية الكبرى القاهرة، طبعة ٣، سنة ١٩٦٣. عمر فروخ: العرب حضارتهم وثقافتهم، ص٦٧. دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٦٦.

(٣) حتي: العرب (تاريخ موجز) ص٢٥ (نفس المعنى)، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٨٠. أحمد الشريف: مكة والمدينة، ص٤٠.

(٤) ابن رشيق: العمدة، ج٢، ص١٩٨.

(٥) ابن رشيق: العمدة، ج٢، ص١٩٨.

(٦) الشوكاني: نيل الأوطار، ج٢، ص٢٨٤.

(٧) سورة الأحزاب، آية٧.

(٨) الحصني: كفاية الأخبار، ج٢، ص١٧٧.

وهكذا يتبين لنا أن الولاء في الإسلام هوالنصيرة والمساعدة، وهما صلة محبة، فلم يعتبره هبة أو بيعاً أو إرثاً، بل دعا أن تكون العلاقة كالنسب لا بد من الاحتفاظ بها وتنميتها وتعميقها حتى يشعر المولى بكرامته الإنسانية، وهذه المعاني الجديدة هي التي حببت الإسلام إلي نفوس الكثيرين من الموالي وشجعتهم على اعتناق مبادئه، إذ نرى عبيد الطائف ينزلون ويعلنون إسلامهم أثناء محاصرة الطائف[١]، حيث دعا وطالب سادتهم بهم بعد دخولهم في الإسلام حيث قال لهم عليه السلام "لا: أولئك عتقاء الله"[٢].

ولم يقر الإسلام سوى نوعين من الولاء هما:

١- العتاقة: وهو إبقاء الروابط بين الطرفين -السيد والعبد- بحيث يقدم المعتق لمولاه ما يحتاجه، ويقوم الآخر بالوفاء لولي نعمته[٣]، كما يرث السيد معتقه باعتباره عصبة يدفع في الغرم ويرث في الغنم.

٢- ولاء الموالاة: وهو انضمام فرد أوجماعة إلى أخرى لتنصرها في الحق، وتدفع عنها النوائب، ويقبل الطرفان بذلك، وقد عرف هذا بعقد الموالاة، وقد أقره الإسلام بقول الرسول: "إن مولى القوم منهم وحليفهم منهم" وقد عرف هذا في بدء الإسلام عند هجرة المستضعفين إلى يثرب بالمؤاخاة التي تمت بين المهاجرين والأنصار، فقد قال فيهم تعالى: "إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والذين آمنوا والذين أووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض"[٤]، فكان الواحد يرث أخاه، ولكن بعد أن استقرت دولة الإسلام أصبح الميراث للأرحام لورود النص" وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض"[٥].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ١٢٧. ابن قتيبة الدينوري المعارف، ص١١١.

(٢) ابن هشام: المصدر السابق، ج٤، ص١٢٨.

(٣) أحمد الشريف: مكة والمدينة، ص٤٨.

(٤) سورة الأنفال، آية ٧٢.

(٥) سورة الأنفال، آخر السورة.

وهكذا اعترف الإسلام بالولاء الذي ينصف المولى ويمنحه القوة والمكانة على الرغم من تعدد درجات الولاء التي قد تبلغ الخمس أحياناً[1]. فلقد كان المولى لا يشعر أنه من طبقة يغلب عليها الذل والعبودية.

وقد نال الموالي حقوقهم كاملة في فجر الإسلام، كما أدوا ما عليهم من التزامات نحو الدولة من إتقان وإخلاص، فزيد بن حارثة، أعتقه الرسول، وزوجه بنت عمته زينب بنت جحش[2]، وولاه قيادة جيش مؤته[3]، بفضل المكانة التي وصل بها عند رسول الله (ص)[4]، لتفانيه في سبيل عقيدته.

ولم يكن زيد الوحيد من الموالي الذي وصل إلى هذه المكانة، فقد احتل صهيب الرومي منزلة كبيرة كبيرة لدى عمر بن الخطاب، الذي أوصى أن يصلي بالناس عند اشتداد مرضه بعد طعنه، وكذلك أن يصلي عليه صلاة الجنازة[5]، مع وجود الصحابة وأبنائهم.

---

(١) كان داوىد بن خالد بن دينار مولى آل حنين. وآل حنين مولى قبه ومنقب مولى مسحل، ومسحل مولى شماس، وهؤلاء مولى العباس ابن عبد المطلب، انظر زيدان: التمدن الإسلامي، ج٤، ص٣٧١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٥٨.

(٣) ابن قتيبة: المعارف، ص٦٣. المبرد: الكامل في الأدب، ج٢ ص٢٨٣، مكتبة المعارف، بيروت، بلا تاريخ.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص٣١. المبرد: الكامل في الأدب، ج٢، ص٣١١. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٢٨٢. كتاب الشعب، القاهرة، سنة ١٩٧٠.
قالت عائشة: "لو كان زيد حياً ما استخلف رسول الله غيره".

(٥) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٩. مصطفى البابي الحلبي: القاهرة ط ٣، سنة ١٩٦٣. ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص٢٦٨. البلاذري: أنساب الأشراف فرانتش شتايز (تحقيق عباس) قسم ٤، ج١، ص٥٠٣. ابن الأثير: أسد الغابة ج٣، ص٣٨، اليعقوبي: تاريخ ج٢، ص١٦٠، بيروت، سنة ١٩٨٠. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٢٣. القلقشندي: مآثر الأنافة، ج١، ص٨٨، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ج٢، ص١٩٥.

أما سالم مولى أبي حذيفة، فقد أمَّ المسلمين ومعهم عمر بن الخطاب[1]، في العصبة -قرب قباء- قبل مقدم الرسول المدينة، وسلمان الفارسي كان أشار على الرسول بحفر الخندق[2]، وراسهم في الغزوات الإسلامية بإخلاص نادر[3] حتى قال عنه علي بن أبي طالب "سلمان منّا آل البيت"[4]، وعمار بن ياسر نال ثقة وتقدير ابن الخطاب، فبعثه على صلاة الكوفة وجيوش المسلمين[5]، وبلال بن رباح كان مؤذن الرسول وأول من أذن في الإسلام[6].

وهكذا نجد مكانة الموالي (المسلمين) في عهد الرسول والخلفاء الراشدين لا تقل عن مكانة أي صحابي، فكان الجميع يفضلون على غيرهم بالتقوى، وبمقدار البذل والتضحية في سبيل العقيدة، ولما كان الموالي قد توفرت فيهم عناصر الأفضلية، لذلك تبوؤا أرفع المراكز بجدارة واستحقاق.

وكان عمربن الخطاب قد واجه مشكلة السبي، فقد ورد، أن قبيلة تغلب سُبيت في أواخر عهد أبي بكر، فردهم ابن الخطاب إلى عشائرهم قائلاً "إني كرهت أن يصير السبي سنةً على العرب"[7] وكان اجتهاد عمر هذا انطلاقاً من فهمه للآية الكريمة باعتباره خليفة ".... فإمّا منّا بعد، وإما فداء"[8].

(١) الشوكاني: نيل الأوطار، ج٣، ص١٩٨.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٤٢٢. اليعقوبي: تاريخ ج٢، ص ١٦٠. ابن الأثير: أسد الغابة ج٢، ص٤٢١. ابن عاصم القرطبي: الاستيعاب في أسماء الأصحاب، ج٢، ص٨٥.

(٣) ابن قتيبة: المعارف، ص١١٧.

(٤) المبرد: الكامل، ج٢، ص٣١١.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٧٦. أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٢٩. وزارة الإرشاد، القاهرة، سنة ١٩٦٠.

(٦) ابن قتيبة: المعارف، ص٧٦. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص١٦٥، دار الفكر، بيروت سنة ١٩٧٨.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص١٥٢. اليعقوبي: تاريخ ج٢، ص١٣٩.

(٨) سورة محمد، آية٤.

وطبقه فيما بعد مع مزارعي العراق (السواد) الذي سُبوا، فأمر بردهم لأرضهم وإعادة ما أخذ منهم[1]، كما كتب لسعد بن أبي وقاص بضرورة الاستعانة بمن انضم إليهم في معركة القادسية {وكانوا أربعة آلاف من الديلم}، بعد أن يرفع عنهم الجزية[2]، وقد قابل الديالمة موقف ابن الخطاب بالإخلاص، فشهدوا مع المسلمين فتح جلولاء[3]، ثم اختاروا الكوفة مكاناً لسكناهم.

كما طلب "سياة الأسوري" من أبي موسى الأشعري الدخول في الإسلام ومقاتلة العجم وعدم التدخل فيما يحدث بين العرب، وأن ينزلوا حيث يشاؤون بعد إلحاقهم بشرف العطاء، فما كان من الخليفة -عندما علم بذلك- إلا أن أمر بتحقيق طلبة، مما جعلهم يشتركون في فتح تُستُر، ثم سكنوا البصرة بعد ذلك[4].

وترفع أشراف أصبهان عن دفع الجزية، ودخلوا في طاعة الإسلام على أن يؤدوا الخراج[5]، وكذلك دهاقين الفلاليج "جميل بصبهري" وبابل "بسطام بن نرسي" ونهر الملك "فيروز"، فأسلم هؤلاء، وبقيت أملاكهم بأيديهم[6]، ودفعوا حق الشرع كاملاً بعد أن أزال الجزية عنهم.

وأسدى الهرمزان النصحية لابن الخطاب بعد إسلامه، عندما سأله فيم يبدأ أبأصبهان أم بأذربيجان، بقوله "أصبهان الرأس، وأذربيجان الجناحان، فإذا قطعت الرأس، سقط الجناحان والرأس"[7]

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص٥٣٢.

(٢) الطبري:تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٩. دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣.

(٣) البلاذري: فتوح، ص٥١٩، ٥٢٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٩١٤، ٢٥٠.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٣٩.

(٦) المصدر نفسه، ص٢٧٠.

(٧) أبو يوسف: الخراج، ص٣٢. المكتبة السلفية، القاهرة، طبعة ٣سنة ١٣٨٢هـ. البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٢٥.

وكذلك بالنسبة للعطاء فقد تساوى الموالي مع غيرهم، عندما جعل خمسة الآف درهم لكل من شهد بدراً[1].

وحين أتت السبايا من أنحاء الدولة كانت كثيرة، فقد بعث معاوية بسبي قيسارية الذي بلغوا أربعة الآف نسمة[2]، وأما الجبهة الشرقية فكانت الأعداد أكثر بكثير، فلم يكن في العراق سوى أقلية عربية[3] إلى جانب البلاد الشرقية رحبوا بالإسلام واعتنقوه، ويعلق المستشرق أرنولد بقوله "إن طبقة الصناع وأصحاب الحرف وأهل الطبقة العامة قد رحبوا بالدين الإسلامي واعتنقه عدد كبير منهم، لأنهم سيصبحون أحراراً"[4] كما رأى أن اختيارهم للإسلام واعتناقهم له كان بحريتهم دون إكراه ولا قوة، بدليل استمرار حسن معاملة العرب لمن تمسك بدينه القديم[5].

نتساءل هنا عن موقف الدولة من السبايا والغنائم أو الغنائم في البلاد المفتوحة، بل ترسل إلى مقر الخلافة في المدينة، لذلك امتلأت العاصمة وما حولها بالعناصر غير العربية، حتى وجد منهم في كل بيت تقريباً[6].

ومما لا شك فيه، أنه كان من بين السبايا إماء، فما كان مصيرهن وما موقف الإسلام من ذلك؟

لقد حث الإسلام على الزواج من الحرائر بقوله تعالى: "ومن لم يستطع منكم

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٩٣.

(٣) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص١٨١.

(٤) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٢٣٧. مكتبة النهضة المصرية، طبعة، ٣، سنة ١٩٧١.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٣٨.

(٦) الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، ج١، ص١٢٧، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ "وقد ذكر أنه كان لدى الزبير بن العوام ألف مملوك" ولست أدري أين يضعهم، وماذا يطعمهم.. لعل الرقم مبالغ فيه.

طَوْلاً أن ينكح المحصنات المؤمنات"[1].

ولكن أحل للمسلم الزواج بأربع زوجات عدا ملك اليمين، والمقصود بملك اليمين –الإماء، فيحق للمسلم أن يعاشرهن بلا عقد زواج، ولكن بلا إكراه أو إجبار، فإن أجبرها أصبحت حرة[2]، وكذلك إذا أنجبت[3]، أو مات عنها رجلها[4].

وقد نهى الرسول (ص) عن بيع أمهات الأولاد، وحث على عتق الإماء وعلى الزواج منهن بعد دفع حقوقهن بقوله: "إذا اعتق الرجل أمه ثم تزوجها بمهر جديد كان له أجران"[5].

وقد اتبع التقاة الزواج من الحرائر، وفضلوهن على الإماء، فقد قال عبد الله بن عباس "فمن وجد صداق حرة في موضعه، لم يحل له نكاح الأمة: وأيده في ذلك جابر" من وجد صداق حرة لا ينكح أمة"[6] ولعل الدافع يوضحه ابن الخطاب عندما نهى عن الزواج بهن بقوله: "في نساء الأعاجم خلابة، فإن أقبلتهم عليهن، غلبنكم على نسائكم"[7]، ولم يكتف ابن الخطاب بذلك ولكنه حرم زواج المتعة الذين كان مباحاً ومحللاً في عهد النبي وأبي بكر[8]، وهو زواج تنكح به المرأة على مهر ولكن إلى أجل محدد.

---

(١) سورة النساء، آية ٢٥.

(٢) ابن القيم الجوزية: أعلام الموقعين، ج٢، ص٤٣. دار الجيل بيروت، سنة ١٩٧٣ "قضى رسول الله في رجل وقع على جارية امرأته، إن كان استكرهها فهي حرة وعليه لسيدتها بمثلها، وإن كانت طاوعته فهي له وعليه لسيدتها بمثلها".

(٣) الشوكاني: نيل الأوطار، ج٦، ص٢٢١. قال عليه السلام "من وطئ أمته فولدت له فهي معتقة عن دبر منه".

(٤) وقد روى ابن عمر عن أمهات الأولاد "لا يبعن ولا يهوبن ولا يورثن ينتفع منها السيد ما دام حياً، وإذا مات فهي حرة". الشوكاني المصدر نفسه، ص٢٢٢.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٩٥.

(٦) الحصني: كفاية الأخبار، ج٢، ص٢٤.

(٧) الطبري: تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٨٨.

(٨) القلقشندي: مآثر الأنافة في معالم الخلافة، ج٣، ص٢٣٨، وزارة الإرشاد الكويت سنة ١٩٦٤.

وعلى الرغم من أن فقهاء الإسلام لم يبيحوا الزواج من الإماء إلا عند الضرورة[1]، فقد كثرت الإماء وانتشر الزواج بهن.

وقد كره أهل المدينة زواج الإماء حتى نشأ فيهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ففاقوا أهل المدينة فقهاً وعلماً وورعاً مما رغب الناس في السراري[2]، وقد أعجب عمر بن الخطاب بهؤلاء الأبناء بقوله "ليس قوم أكيس من أولاد السراري، لأنهم يجمعون عز العرب ودهاء الفرس"[3]. لذا تزوج عدد من الصحابة وأبنائهم من السبايافتزوج علي بن أبي طالب الصهباء بن حبيب "أم عمر"[4] من سبايا تغلب وابنه الحسين إحدى بنات يزدجرد[5]، وحفيده علي بن السحين جارية له بعد أن أعتقها[6]، وهكذا تسللت الإماء إلى المجتمع الإسلامي، فأنجبن أبناء كان لهم شأن في التاريخ الإسلامي على الصعيد الفكري في الإسلام، والإدارة والحكم في العهد الأموي.

وممن اشتهر من الموالي والذين أثروا في أهل زمانهم أبو محمد بن سرين، وحمران بن إيان "مولى عثمان" وكانا من سبايا عين التمر[7] والحسن البصري من سبايا ميسان[8]، وفيروز الديلمي قاتل الأسود العنسي"[9]، الذي ادعى النبوة بعد

(١) ابن القيم الجوزية: أعلام الموقعين، ج١، ص١٠١.

(٢) ابن قتيبة: كتاب العرب، ص٢٧٥ (نشر محمد كرد علي، ضمن رسائل البلغاء، مصطفى الحلبي، القاهرة، سنة ٩١٣. ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٨، وزارة الثقافة، القاهرة طبعة٢، سنة ١٩٦٣. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص١٢١. دار الفكر، بيروت، سنة ١٩٥٤.

(٣) المبرد: الكامل ج٢، ص٣١٣.

(٤) البلاذري: الفتوح، ص١٥٢.

(٥) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٣١٣.

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص١٢١.

(٧) البلاذري: فتوح، ص٣٤٥. أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال ص١١٢.

(٨) البلاذري: فتوح، ص٤٨٠.

(٩) ابن قتيبة: المعارف، ص١٤٦.

وفـاة الرسـول، وعـبـد الله بن رافع الذي كـان كـاتبـاً لعلي بن أبـي طالب طيلة خلافته[1]، وسالم مولى حذيفة الذي حظي بمنزلة كبيرة عند عمر بن الخطاب[2].

لقـد كـان هؤلاء الموالي من السـبـايا، وكـان عـدد منهم غلمـاناً ربوا على الإسـلام، وتفـانوا في سبيله، فنبغ عـدد منهم ومن أبنائم في السـيـاسـة والحـرب والعلم والدين، مما جعل الأسياد يثقون بهم، وخـاصـة الخلفـاء والولاة، فـعـهدوا إليـهم بكثير من الأعمـال المهمـة، فقد كان معظم الحجاب والكتاب في العـهد بين الراشدي والأموي منهم[3].

على أننا لو تساءلنا عن الأسباب التي دفعت هؤلاء الأعاجم إلى الدخول في الدين الإسـلامي ماذا استطاع إسـلامـهم أن يحقق لهم من الآمال وكذلك عن رأي عامة الناس في المجتمع الإجباة.

في معرض الإجباة على هذه التسـاؤلات، لا بد لنا أن نؤكد حـقيقة رئيسـة حـول أوضـاعـهم الاجـتمـاعـيـة قـبل الفـتـح، فـقـد كـانت تنطوي على قـدر من الغبن الاجـتمـاعي يلحق بهم الظلم في دولهم -عدا الدهـاقين-، مما جعلهم يتطلعون إلى وضـع اجـتـمـاعي أفـضل، يتـيح لهم أن يصـبـحـوا أحـراراً في ظل الـدين الجـديد[4]، لذلك رأوا في مبادئ الإسـلام الداعية إلى المساواة في الحقوق والواجبات ضـالتهم التي ينشـدونـهـا، فـتخلوا عن المـاضي بإسـلامـهم، أخلصـوا للمبـادئ الجـديدة، مما بوأهم للمـراكـز العلمـيـة في العلوم الشـرعـيـة، وغـيـرهـا، التي تتـنـاسـب مـع آمـالهم

(١) المصدر نفسه، ص٦٣.

(٢) السيوطي: أزهار العروش في أخبار الجيوش، ص٤٢، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٧٦٤" وهو أول من جمع القرآن"

ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص٢٥، ج٥، قال عمر بن الخطاب فيه "لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته، فإن سالني ربي قلت: إن سالماً يحب الله حباً لو لم يخفه ما عصاه".

(٣) سنتناول ذلك بالتفصيل في " الموالي والدولة الأموية".

(٤) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٢٣٧.

الطموحة في الإفادة من الدولة وتحسين أوضاعهم فيها.

وإذا كان هناك المخلصون في إيمانهم، فلا نستطيع أن ننسى أولئك القلة الذين فقدوا مجدهم في العهد الجديد، فتظاهروا بالإسلام، بينما كانت نفوسهم مملوءة بالحقد والمرارة نحو هذا الدين وأهله، وينتظرون أية فرصة سانحة للانقضاض عليه وهدمه، مما جعل عدداً منهم يسهم في القلاقل والاضطرابات منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي اغتيل على يد أحدهم[1].

أما نظرة عامة الناس إليهم فكانت أقرب إلى أن تكون نظرة خاصة لا تبلغ بهم إلى مستوى الأحرار من أبناء القبائل، ما عدا رجال الدين والتقاة.

ولعل خطبة سلمان الفارسي لابنه عمر بن الخطاب تعطينا الصورة الواضحة لنظرة الناس المتحفظة نحو الموالي، فقد ذكر ابن عبد ربه أن سلمان خطب ابنة عمر، فوعده بها، فشق ذلك على عبد الله ابن هذا الأخير، ولما التقى عبد الله بعمرو بن العاص شكا له ذلك، فأجابه عمرو "سأكفيكه". والتقى عمرو بسلمان فقال له "هنيئاً لك يا أبا عبد الله، أمير المؤمنين يتواضع لله عز وجل في تزويجك ابنته" فغضب سلمان وقال: {لا، والله، لا تزوجت إليه أبداً"[2].

وإذا صحت هذه الواقعة، فإنما تطرح أمامنا عدة وجهات نظر حول هذه القضية:

١- إن سلمان الفارسي كان يرى أنه مساو لعمر بن الخطاب وكفء لنسبه فخطب ابنته.

٢- إن نظرة عبد الله بن عمر لسلمان كانت تختلف عن نظرة أبيه، فرأى في

---

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٢، ص١٩٥. الكازروني: مختصر التاريخ، ص٦٥، وزارة الإعلام، بغداد، سنة ١٩٧٠.

البلاذري: فتوح البلدان، ص٥٢٧. {اغتال أبو لؤلؤة" عمر ابن الخطاب"}، ويرى البلاذري أن الهرمزان له يد في ذلك.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٨٤.

سلمان الفارسي شخصاً غير مؤهل لمصاهرتهم على الرغم من إيمانه، فإذا "صحت هذه الحادثة" فهذا يعني أن الإسلام لم يُزِلْ تماماً العصبية القبلية التي ظلت عالقة في النفوس والتي ترى في غير العربي أنه دونها نسباً[1].

٤- اعتزاز سلمان بنفسه وتقديره لمكانته مما دفعه لمراجعة موقفه ورفض هذا الزواج.

وهكذا يتبين لنا أنه على الغرم من مناداة الإسلام بالمساواة التامة بين أتباعه إلا أن نظرة العرب كانت تخالف ذلك، لتأثرهم بالعصبية القبلي، وهذا واضح في العصر الأموي.

ب- الدولة الأموية والموالي:

لاشك ان الدولة الأموية كانت بمثابة انقلاب في تاريخ الإسلام، أدى إلى تغيير في أسس الدولة الإسلامية، أصبح فيه الحكم وراثياً في بني أمية، وقد قام هذا الانقلاب نتيجة لفشل الحرب الأهلية في تحقيق النصر للسلطة الشرعية، وتنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة.

وقد عد الأمويين أنفسهم -بعد أن أقاموا دولتهم- الورثة الحقيقيين للخلافة الراشدة، تحت ستار الدفاع عن حقوق قريبهم الخليفة المقتول عثمان[2]. والحقيقة انهم كافحوا من أجل المحافظة على امتيازاتهم التي حصلوا عليهم في عهده، فكانت مصالحهم الشخصية هي الهدف الأساس من الدولة غير عابئين بنشر العقيدة[3]، التي كانت الأساس في دولة الراشدين.

---

(١) سنتناول ذلك في "العصبية القبلية وأثرها على الموالي".

(٢) إبراهيم بيضون: الدولة الأموية والمعارضة: مدخل إلى كتاب السيطرة العربية للمستشرق الهولندي فان فلوتن، ص١١٢. دار الحداثة، بيروت، سنة ١٩٨٠.

(٣) المرجع السابق، ص٨٧.

لقد منحت الدولة الأموية امتيازات لبني أمية، وقربوا من العناصر العربية كل من توسموا فيه الخير، فجعلوهم سادة وركزوا السلطة بأيديهم ليقع عليهم عبء الحرب والفتوحات(١)، مما أكسب الدولة الصبغة العربية، فنال بذلك العرب مجداً وحظاً وافراً(٢). إلا أن الأمويين التزموا بالموقف القبلي بين العرب في السياسة وتسيير شؤون الدولة، وكذلك في القتال مما شكل طبقة عسكرية ذات امتيازات متعددة، وأصبحت هذا الطبقة تتحرك وفق مصالحها الاقتصادية(٣).

أما الموالي، فعلى الرغم من أنهم كانوا غالبية السكان(٤)، فإن "جنسيتهم" الإسلامية أخذت تفقد امتيازاتها مع بداية الدولة الأموية فبدأت الصورة تخبو منذ مقتل عمر بن الخطاب حتى صارت "الجنسية" أقرب إلي الإسمية منها إلى الواقعية في هذا العهد.

ولما تولى معاوية بن أبي سفيان مقاليد الحكم، رأى ما يمكن أن تقدم عليه الموالي في المستقبل ويسبب من المتاعب، فتراءت له فكرة التخلص من عدد كبير منهم، فاستشار الأحنف بن قيس، وسمرة بن جندب، فقال لهما: «إني رأيت هذه الحمراء قد كثرت» وأراها قد طعنت على السلف وإني انظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان، فقد رأيت ان اقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة السوق وعمارة الطريق، فما ترون؟. "فقال الأحنف" أرى أن نفسي لا تطيب، أخي لأمي وخالي ومولاي، وقد شاركناهم وشاركونا في النسب، فظننت أني قد قتلت عنهم "وأطرق. أما سمرة بن جندب فقال: "اجعلها إليّ أيها الأمير فأنا أتولى ذلك منهم وأبلغ

---

(١) فلهوزن:تاريخ الدولة العربية، ص٢٤، لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة، طبعة٢ ، سنة ١٩٦٨.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٤، ص٦٤، مكتبة العرفان، بيروت، بلا تاريخ.

(٣) ابراهيم بيضون: ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، ص١٤٩، دار النهضة العربية، بيروت، سنة ١٩٧٩.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٨٨.

الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص١١٥.

منه"، وبعد أن سمع رأيهما معاوية قال لهما: "قوما، سأنظر في الأمر"[1]. وفي اليوم التالي رأى أن ذلك ليس من مصلحة الدولة في شيء، وإنه وجد رأي الأحنف أكثر واقعية فأخذ به.

وتدل هذه الرواية فيما تدل على كثرة عدد الموالي في الدولة وعلى تنبؤ معاوية وصدق حدسه فيما يمكن أن تؤول إليه العلاقات مع الموالي مستقبلاً كما أن أن فكرة الرواية تشير إلى موقف أهل الشام ممثلين بسمرة في الطاعة المطلقة للسلطة والدولة، كما تبرز جانباً هاماً للموالي ومقدار دورهم في الحياة الاقتصادية والعمرانية بحيث لا تستطيع الدولة الاستغناء عنهم كلياً أو جزئياً على الرغم من نظرتها لهم بالريب والحذر.

وإذا كان معاوية لم يأخذ برأي سمرة بن جندب، فإنه كرس سياسة متوازنة بين الطرفين تقضي بنقل الموالي من مكان إلى اخر. فقد نقل قوماً من فرس بعلبك وحمص وأنطاكية إلى سواحل الأردن وصور وعكا وغيرها عام ٤٢هـ[2] ونقل في العام نفسه إلى أنطاكية جماعية من فرس بعلبك وحمص[3].

وقد تفسر هذه السياسةبعدة تفسيرات، ولكنها لا تخلو بأي حال من الأحوال من الخطورة التي يؤلفها وجودهم في المستقبل مجتمعين في هذه المناطق، مما دعاه إلى توزيعهم لتخفيف حدة خطرهم في حالة حدوثه.

ولكن هناك عدة أمثلة تطرح نفسها: كيف كانت الدولة تنظر إلى الموالي أولا ثم من ناحية المجتمع ثانياً؟ وهل كانوا ينالون حقوقهم كاملة في هذا العهد؟ هل كانت نظرة المجتمع إليهم نظرة احترام أم ازدراء وتحقير؟

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص٣٢٦، ٣٢٧.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص١٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٠١، ٤١١.

إن الباحث لا بد أن يتجاذبه رأيان متناقضان، وقبل ترجيح أحد الرأيين لابد أن نسوق المعطيات التالية:

لقد ولّى معاوية بن أبي سفيان مولاه عبد الله بن دراج مركزاً هاماً وهو خراج العرق[1]، كما أحسن زياد بن أبيه معاملة الموالي، فقد أفرد كتاب الرسائل من العرب والموالي المتفحصين[2] وخصص كتاب الخراج منهم لعلمهم بذلك فقال: "ينبغي إن يكون كتاب الخراج من رؤساء الأعاجم العالمين بأمور الخراج"، وقد أوصى بهم معاوية أثر شكواه على قرابته، فرد عليه زياد بذكر صفاتهم الجيدة، "عليك بالموالي فإنهم أنصر وأغض وأشكر"[3].

وسار عبيد الله بن زياد مع سياسة أبيه في تقريب الموالي، وفاقه في ذلك، فأبدل عمالاً من الفرس بآخرين من العرب، واتخذ منهم للمحاربة جيشاً، "اثني عشر ألفاً" كان يعتز بهم[4]، وقد أوضح ابن زياد سياسته بقوله "أما استعمال الدهاقين، فقد استعملهم أبي ومن كان قبله، وأما المحاربة فما اتخذتهم إلا وقاية لأني كنت أبتلي بهم أهل المعصية،فلو أمرت عشائرهم بهم لم يقتلوهم، ولشق ذلك عليهم، فجعلت ذلك بيني وبينهم"[5].

ولما عينه معاوية –بعد موت أبيه– على خراسان، وكان شاباً ابن خمس وعشرين سنة، وفتح بلاد العرفانيان، أحضرمعه خلقاً من أهلها وأسكنهم البصرة وفرض لهم العطاء[6]. وإن سياسة ابن زياد هذه كانت متأثرة بعاملين، أحدهما السير على سياسة أبيه والثاني عامل شخصي، فقد كان عبدالله يحب الموالي،

---

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٢٣٤.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) البلاذري: أناس الأشراف، القسم الرابع، ج١، ص٣٠ (تحقيق إحسان عباس).

(٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢١.

(٥) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢٣.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص٥٧٧، ٥٧٨.

فقد عاش بين الأساورة مع أمه مرجانه بعد أن تزوجها أبوه من شيروية الأسوري[1].

وقد نال الموالي في هذا العهد مراكز هامة، فذكر ابن حبيب نحو واحد وثلاثين منهم، أربعة من مراكز بارزة في الكوفة، وتسعة في البصرة[2]. كما ذكر ابن عبد ربه أجواد البصرة وذكر خمسة منهم[3]. وهناك عدد كبير منهم قاموا بأدوار مهمة في الدولة الأموية، فكان سليم مولى زياد -من الدهاة- ومستشاراً له[4]. وشريح ومحمد بن سيرين يقضيان في مجلس زياد[5]، ونفروخ بن نيري والياً لخراج العراق في عهد سليمان بن عبد الملك، وكتب عبد الرحمن أبو صالح للحجاج[6]، وكان رئيساً لديوانه، وورد أنه كان مستشاراً لعمرو بن العاص[7]، ورجاء بن حيوة (مولى كنده) من المقربين للخليفة سليمان بن عبد الملك، وأهل الاحترام والتقدير لديه، بحيث قبل ما أشار عليه بتوليه عمر بن عبد العزيز من بعده، كما كان (رجاء) صاحب الخزانة في عهد عبد الله، فأشرف على بناء مسجد قبة الصخرة في القدس[8]، واستمر تأثيره في عهدي داوود وسليمان كما أسلفنا.

وكان حيان النبطي (مولى مصقلة، وكان من سبي الديلم)، سفير حرب ليزيد

---

(١) المصدر السابق، ص٥٠٠.
(٢) ابن حبيب: المحبر، ص٣٤٠-٣٤٦(ذكر أسماءهم).
(٣) ابن عبد ربه:العقد الفريد، ج١، ص٢٠٢.
(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، القسم الربع، ج١، ص٣٤ (تحقيق عباس).
(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٢٥٢ (٨).
(٦) البلاذري: فتوح، ص٥٥٤.
(٧) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج١، ص٩٦. اليعقوبي: تاريخ، ج٢ص١٨٥. الطبري: تاريخ، ج٦، ص٥٥٠.
(٨) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، ص١٣٩. فلهوزن: الدولة العربية، ص٢٠٩.

بن المهلب للأصبهبد في طبرسان حيث أقنعه بقبول الصلح[1] كما قام باستصلاح أراض زراعية للحجاج أيام الوليد[2]، وكان سليماً الناصح (مولى عبد الرحمن بن أبي بكرة) سفيراً لقتيبة بن مسلم إلى نيزك بن طرخان[3].

ولعل إسهام الموالي في الأمور الدينية والشرعية، كان من أبرز ما قاموا به، فسعيد بن جبير عينه الحجاج على عطاء الجند في حملة محمد بن الأشعث لقتال رتبيل[4]، والحسن البصري كان كاتباً في ولاية الربيع بن زياد[5]، ثم قاضياً في عهد عمر بن عبد العزيز[6] ونال صالح بن طريف (مولى ضبه) إعجاب والي خراسان اشرس بن عبيد الله فأرسله داعية للإسلام لما وراء النهر (١١٠هـ)، وقد اشترط على الوالي لقبول ذلك عدم أخذ الجزية ممن يسلمون[7].

وقد شارك الموالي في الفتوحات، فقد اشترك مع الأحنف بن قيس الف من الموالي في فتح طرخستان[8]، وكانوا يشكلون خمس جيشه، (أسهموا في حملة سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان)، وكان أشجع الفرسان أبو العالية الريحاني (مولى لامرأته من بني رياح)، فكان أول من قطع النهر[9]، وشغل "أبا المهاجر" (مولى الأنصار) والياً على أفريقيا قبل عقبة نافع في عهد معاوية[10]

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٧٠. العيون والحدائق، ج٣، ص٢٣.
(٢) البلاذري: المصدر السابق، ص٤١١، ٤١٢.
(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص٤٢٩.
(٤) المصدر السابق، ص٤٨٧.
(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص٥٥٥.
(٦) الطبري: تاريخ، ج٦، ص٥٥٤.
(٧) الطبري: تاريخ، ج٧، ص٥٤.
(٨) البلاذري: فتوح، ص٥٧٢.
(٩) المصدر السابق، ص٥٧٨.
(١٠) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٢٩.

وقد عين عبد الملك بن مروان ميمون الجرجاني (مولي رومي لبنى أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان) قائداً على ألف من الجند مع أخيه مسلمة في غزوة الطوانة، فاستشهد لبلائه في المعركة، ولما علم وعبد الملك غم أرسل جيشاً طالباً لثأره[١].

واشرك قتيبة بن مسلم الباهلي سبعة الاف مقاتل من الموالي في جيشه من أصل أربعين ألفاً في فتوحاته[٢]، وموسى بن نصير كان أبوه نصيراً أحد سبايا عين التمر[٣]، وطارق بن زياد كان بربرياً، كما لا نستطيع أن ننسى حريث بن قطبة وأخاه ثابت اللذين كانا من كبار القادة في مقاتلة الهياطلة والتبت في إمارة موسى بن عبدالله ابن حازم لخراسان سنة ٨٥هـ[٤].

وقد اتخذ الخلفاء الأمويون من الموالي حراساً وحجاباً لهم، بل يكاد يكون معظم هولاء من الموالي وأهل الذمة[٥].

أما الكتاب فأغلبهم من الموالي وأهل الذمة أيضاً، بدءاً من عبدالله بن أوس الغساني وسرجون بن منصور الرومي[٦] وانتهاء بسالم وعبد الحميد الكاتب[٧]. فكانوا المسيطرين على الحساب والكتابة وقلما تولاها العرب[٨]. لأن هؤلاء الموالي

(١) القلقشندي: مآثر الأناقة، ج١، ص١١٥.
البلاذري: فتوح البلدان، ص٢١٩.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٩٦.
(٣) البلاذري: المصدر نفسه، ص٣٤٦. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٥٨٤ (نقلاً عن ابن عمر الكلبي).
(٤) الطبري: تاريخ، ج٤، ص٤٠٤.
(٥) انظر المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٤
اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٣٢٨، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٧.
الكازروني: مختصر التاريخ، ص٨٣. القلقشندي: مآثر الانافة، ج٢، ص٣٤٤.
(٦) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٢٤.
(٧) المصدر نفسه، ص٧٢.
(٨) زيدان: التمدن الإسلامي، ج٤، ص٣٤٢.

اعتنقوا الإسلام وأصبحوا من أعلامه، فكانوا خير عون للأمويين في السياسة والحرب والعلم والدين[1]، كيف لا وهم أبناء ثقافة عريقة في القدم فاقت حضارة العرب[2]، مما أهّلهم للإسهام في الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وما كان ذلك إلا امتداداً لتحقيق لحضارتهم، كما اعتقد عدد كبير منهم أن في العلم مجالاً طموحهم الشخصي، بينما رأى آخرون فيه استعادة مجدهم القديم الضائع[3]، والمحافظة على شخصيتهم القومية[4].

كانت هذه بعض الأمثلة التي تشير إلى ما حظي به الموالي من مراكز مهمة في الدولة الأموية، بيّنت بعض ما أسهموا به في مجالات الحياة المتعددة.

الموالي في المجتمع الأموي:

يصور عدد من الباحثين -وخاصة المستشرقين-، مكانة الموالي في الدولة الأموية والمجتمع في ذلك العهد، بأنها كانت أقرب ما تكون إلى حياة ذل

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٢٨.

(٢) بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٦٠.

(٣) علي حسني الخربوطلي: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص١٥٨ دار المعارف، القاهرة، ص١٩٥٩.

(٤) بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٦٠ دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٥٨.

وهوان[1]. وأن بني أمية كانوا متعصبين ضدهم فاضطهدوهم واحتقروهم وقد دللوا على ذلك ببعض المواقف لدى عدد من الولاة والخلفاء تحدثت عنها بعض كتب الأدب.

لقد ذكرت بعض المصادر العربية، وخاصة العقد الفريد أمثلة عديدة لحالات فردية تدل على عدم احترام وتقدير الدولة والمجتمع للموالي كما يتمثل في ذلك ابن عمرو بن تميم[2]، وما روي عن نافع ابن جبير بن مطعم من بني نوفل[3] وبالغ البعض حتى اتهمهم بعدم التمييز والإدراك في الأعمال[4]

ونقل عن البعض قوله "لو لم يكن منا على الموالي عتاق ولا إحسان إلا

(١) Nicholson: A Literary History of the Arabs, p 248.
Cambridge University Press 1962.
Von Kremer Kulture Geschictische Streifzuge Auf Dem Gebiet des. Islames, pp. 78-82 Calcutta, 1950.
فان فلوتن: السيادةالعربية، والشيعة الاسرائيليات، ص٣١-٣٥، ترجمة حسن إبراهيم حسن، محمد زكي إبراهيم، القاهرة، دار النهضة المصرية، طبعة٢، سنة ١٩٦٥.
Brown, Aliterary History fo Persia, P 232- 240 London ١٩٥٩,
فليب حتي: تاريخ العرب المطول، ج١، ص٢٩٩. بيروت، دار الكشاف، طبعة ٣، سنة ١٩٦١.
زيدان: التمدن الإسلامي، ج٤، ص٣٢٩.
حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج١، ص٢٤٢.
القاهرة، مكتبة النهضةالعربية، طبعة ٧، سنة ١٩٦٤.

(٢) المبرد: الكامل في اللغة، ج٢، ص٣١٢ (كان ناسكاً ويقول في قصصه: اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالي عامة، فأما المعجم فهم عبيدك والأمر لديك)

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص٣٢٦ (صلى نافع وراء أحد الموالي فقال: إنما أردت أن أتواضع لله بالصلاة خلفه).

ابن عبدربه، المصدر والصفحة، المبرد الكامل، ج٢، ص٣١٢ ذكراً عن تعصبه للعرب كان يقول "إذا مرت جنازة. من هذا؟ فإذا قالوا قريشي، قال: وا قوماه، وإذا قالوا عربي، قال: وابلوتاه، وإذا قالوا مولى، قال: وامولى: قال هو حال الله يأخذ ما شاء ويدع ما شاء".

(٤) ابن عبد ربه: المكان نفسه: "لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة: حمار أو كلب أو مولى". العقد الفريد، ج٣، ص٣٢٦.

استنقاذنا لهم من الكفر وإخراجنا لهم من دار الشرك إلى دار الإيمان"[1].

ولعل الحجاج وما كان يمثله من سلطة، كان من أكثر الناس اتهاماً في قسوته على الموالي. فقد ذكرت المصادر أنه حينما قامت ثورة عبد الرحمن بن الأشعث أيدها كثير من الموالي، وكان منهم سعيد ابن جبير، ولما قبض عليه الحجاج حاكمه فقال له:

- يا شقي بن كسير، أما قدمت الكوفة وليس يؤم بها إلا عربي، فجعلتك إماماً.

- قال: بلى

- قال: أما وليتك القضاء، فضج أهل الكوفة، وقالوا لا يصلح القضاء إلا لعربي، فاستقضيت أبا بردة بن أبي موسى الأشعري، وأمرته أن لا يقطع أمراً دونك؟

- قال: بلى

- قال: أوما أعطيتك مائة ألف درهم لتفرقها في أهل الحاجة، ثم لم أسألك عن شيء منها؟

- قال: بلى

- قال: فما أخرجك

- قال: بيعة كانت لابن الأشعث في عنقي.

فغضب الحجاج ثم قال له: أفما كانت بيعة أمير المؤمنين في عنقك قبل؟ يا حرسي، اضرب عنقه[2].

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص٣٢٦.

(٢) المبرد: الكامل في الأدب، ج١، ص٢٩٧.

العيون والحدائق، ج٢، ص٩، بريل سنة ١٨٧١.

ومن تحليلنا لهذه المحاكمة نجد أن الحجاج رأي في سعيد بن جبير ناكراً للجميل فاستحق جزاءه، بينما الأمر غير ذلك، فالحجاج يمثل السلطة الحاكمة بينما الثاني واحد من الموالي الذين شعروا بالاضطهاد في عهده، والقضية ليست فردية مطلقاً، بقدر ما تمثل فئتين مختلفتين، فالأولى تمثل السلطة بجبروتها، بينما الثانية تعطي صورة التأكيد على مبادئ الإسلام ككيان اجتماعي.

وقد اعتبر عدم تكنية الموالي وتلقيبهم إهانة لهم، حيث أنهم كانوا يدعون بأسمائهم[1]، لأن العرب إنما تطلق الألقاب والكنى للتفخيم والتعظيم، علماً بأن الله -جل جلاله- لم يناد أحد من أنبيائه إلا باسمه المجرد.

وروى ابن عبد ربه أيضاً أن العرب كانوا لا يسمحون للموالي أن يتقدموهم في المواكب، ويجلسونهم على طرف الخوان، ولا يسمحون لهم بالصلاة على ميت إذا حضر أحد العرب[2].

ومن طرائف ما ذكر أنه جرت مناقشة بين عثمان بن عمر بن عبد القيس وحمران مولى عثمان بن عفان عند عبدالله بن عامر فشنّع الأول على عثمان فقال له حمران: "لا كثر الله فينا من أمثالك" فقال له عامر "بل كثر الله فينا أمثالك" فقيل له: أيدعو عليك وتدعو له؟ قال: "نعم، يكسحون طرقنا ويخرزون خفافنا ويحيكون ثيابنا"[3].

أما زواج الموالي بالحرائر "العربيات فقد كان غير مستساغ، فلما زوج ابراهيم بن النعمان بن بشير ابنته للمولى يحيى بن أبي حنيفة (مولى عثمان بن عفان) على عشرين ألف درهم عيّره الناس[4].

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٣٢٦.
(٢) المصدر نفسه والصفحة.
(٣) نفس المكان.
(٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١٠، ص١٦.

ويبالغ ابن عبد ربه في الخطبة، فيقول إن الخاطب كان لا يخطب المرأة إلى أبيها أو أخيها وإنما يخطبها إلى مولاها، فإن زوّجها بدون موافقته (أي مولاها)، فإن الزواج باطل[1]، وقد غاب عن راوي القصة مخالفة ذلك للشرع ولا يبطل ذلك إلا سبب شرعي.

وكان العرب -والأموين بخاصة- لا يضعون أبناء الإماء في منزلة أبناء الحرائر، فقد منعوا -بادئ الأمر- الخلافة على ابناء الإماء كما عاب هشام بن عبد الملك على زيد بن علي بن الحسين أن يؤهل نفسه للخلافة وهو ابن أمة[2].

وحين خطب عبد الملك لابنه يزيد ابنة عقيل بن علفة الجرباء قال له: "جنبني هجناءك"[3] وذلك لأن الخلافة كانت ممنوعة عليهم بادئ الأمر، بيد أن الأمويين بايعوا في آخر عهدهم أبناء الإماء، فقد تولى الخلافة يزيد بن الوليد (يزيد الناقص)[4] (وأمه فارسية تدعى شاهفريد بن فيروز كسرى)، وابراهيم بن الوليد[5] (وأمه أمة اسمها سعار)، ومروان الثاني[6] (وأمه كردية تسمى ريا).

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ٣٢٦
الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص١٩٠.
وقد روى قصة زواج خالد بن صفوان لأحد مواليه من أحدى إمائه: "أما بعد، فإن الله، أجل وأعز من أن يذكر نكاح هذين الكلبين".

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٢٥. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص١٢١. فرد عليه زيد بن الحسين (ويلك مكان أمي يضعني، والله لقد كان اسحق ابن حرة، وإسماعيل ابن أمة، فاختص الله عز وجل ولد إسماعيل، فجعل منهم العرب، فما زال ذلك ينمى حتى كان منهم رسول الله).

(٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص١٢.
ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٩٢.

(٤) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٣٣٥. الكازروني: مختصر التاريخ ص١٠٣. القلقشندي: مآثر الأنافة، ج٣، ص٣١٦.
السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٥٢.

(٥) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٣٣٧.

ولعل من المفارقات أن نجد عدم تولية ابناء الإماء، وعدم مساواة الإماء بالحرائر، علماً أنهم يدعون إلى الزواج منهن -فقد قال عبد الملك" من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية، ومن أراد الولد فليتخذها فارسية، ومن أراد الخدمة فليتخذها رومية"[1]، وقال مسلمة بن عبدالملك" عجباً لرجل أن صاحب سراري فاتخذ المهيرات"[2]، وقيل أيضاً:" بنات العم أصبر، والغرائب أنجب، وما ضرب رؤوس الأبطال كابن الأعجمية"[3].

كما رغب كثير من العرب بالزواج من الإماء، فد تزوج الشاعر الفرزدق أمة فزأنجية، فأنجبت منه بنتاً أسماها مكية، وكان يكنى بها[4].

وإذا كانت الاستهانة بالموالي لا تخلو من جانب حقيقي، فإننا لا نستطيع أن ننكر المبالغة في ذلك، ولعل رفض العرب تزويج الموالي ناتج عن اعتزاز العرب بالنسب، فهم لا يحبون الاختلاط فيه، وتعد كل قبيلة شجرة نسبها أنقى الأشجار، فإذا كان العرب يميزون بين قبائل الشمال والجنوب، ولا يستطيعون نسيانها فكيف يتساهلون مع الشعوب الأخرى، لعل ذلك كان من الأسباب التي حالت دون زواج الموالي من الحرائر وإن كنا لا نستطيع أن نجزم أن ذلك لم يحدث فما تم كان نسبة متدنية.

إن الامتزاج بين الشعوب يؤدي إلى تعديل السلوك والعادات سلباً أو إيجاباً، وهذا ما حصل في المجتمع الأموي، فقد تفشت بعض العادات الفاسدة بين العرب لاختلاطهم وامتزاجهم بالفرس، فقد قدم دينار آل قارن[5] الكوفة في إمارة معاوية،

---

(٦) المصدر نفسه، ص٣٢٨. الكازروني: مختصر التاريخ، ص١٠٥، (ذكر اسمها لباب).

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١٠، ص٩.

(٢) المبرد: الكامل في اللغة، ج١، ص٣١٧.

(٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١٠، ص٣.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٨٩.

(٥) الطبري: تاريخ، ج٤، ص١٣٦ (أحد أسرى نهاوند سنة ٢١هـ).

فرأى غير ما عرف من صفات العرب فقام في الناس في الكوفة وقال: "يا معشر أهل الكوفة، أنتم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس فعمرتم بذلك زمان عمر وعثمان، ثم تغيرتم، وفشت فيكم خصال أربع، بخل وخب غدر وضيق، ولم يكن فعكيم واحدة منهن فرفعتكم، فإذا ذلك في مولديكم، فعلمت من أين أتيتم؟ فإذا الخب من قبل النبط، والبخل من قبل فارس، والغدر من قبل خراسان والضيق من قبل الأهواز"[1].

ولئن كانت هذه بعض الصفات السيئة، فهناك صفات حسنة كالعفو عند المقدرة، فقد روى عبد الله بن سليمان (أحد موالي بني مازن) نازع سيد بني تميم: عمرو بن هذب المازني فظهر عليه المولى حتى أذن له القاضي هدم داره، فأدخل الفعلة دار عمرو، فلما خلع من سطحه كفّ عنه ثم قال: "يا عمرو فقد أريتك القدرة، وسأريك العفو"[2].

وأخيراً، وبعد ما سقناه من حقائق هل نستطيع أن نقول إن الموالي كانوا مظلومين في المجتمع الأموي رسمياً (بالنسبة للسلطة) وشعبياً؟

من دراستنا السابقة، نستطيع أن نقول إن الدولة الأموية قد أفسحت للموالي مجالات متعددة وأسندت إليهم كثيراً من الأعمال المهمة، فكان منهم الكتاب والحراس والحجاب، كما أتيح لهم الاشتراك في القتال وقيادة الفرق، وأسندت لعدد منهم مناصب القضاء والدواوين ولآخرين الخراج، وقرّب بعض الخلفاء بعضهم بحيث أسند لأحدهم الإشراف على بناية مسجد قبة الصخرة، فوضعت بين يديه الأموال الكافية، كما أنيط ببعضهم العمل كسفير حرب، وكلف آخرون باستصلاح الأرض والإشراف عليها، هذا إلى جانب سيطرتهم على الحياة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة، ناهيك عن الناحية الفكرية التي بلغوا فيها

---

(١) الطبري: المكان نفسه.

(٢) المبرد: الكامل في اللغة، ج٣، ص٣١٢.

مكانة عظيمة.

أما ما يأخذ المستشرقون على الدولة الأموية من غبن لحقوق الموالي، فهم إنما يلتفتون إلى فترات محددة فحسب، وبخاصة فترة الحجاج وما صاحبها من أحداث واضطرابات وردة عليها -باعتبارها ممثلاً للسلطة الشرعية- بقسوة ثم يعممون ذلك(١). وإن كنا لا نستطيع أن نجزم أن معاملة الموالي كانت في كافة العقود وعند جميع الخلفاء الأمويين واحدة، كذلك لا نستطيع أن ننكر أن السلطة الأموية كانت تنكل وتعذب، ولكن هل اختص سحق قوى المعارضة بالموالي فحسب أم كانت تشمل كل معارض؟!.

إن السلطة الحاكمة في أي زمان ومكان، تعتبر نفسها صاحبة الحق والشرعية في نظامها القائم وما دونها على باطل، فتحاول بكل قواها التغلب على المعارضة بصرف النظر عن الانتماء الديني أو القومي أو العالمي، وهكذا كان تصرف الدولة الأموية، بغض النظر عما إذا كانت المعارضة على حق أم لا، فهي في نظر السلطة على باطل وإلا لما كرست كل إمكاناتها للقضاء عليها. وخير مثال على ذلك قتل عبد الملك ابن عم أبيه عمرو بن سعيد بن العاص(٢)، حيث حاول الاستيلاء على السلطة، وكذلك مروان الثاني بن محمد "الذي قتل ابراهيم بن الوليد وولي عهده- لكن الموالي كانوا شديدي الحساسية وسريعي الاستجابة بالمشاركة في الحركات السياسية التي قامت في العراق وما تلاها شرقاً، بالرغم من تباين مبادئها وأهدافها، فكانوا يسارعون بالانضمام إليها، ويشاركون فيها

---

(١) عبد العزيز الدوري: الجذور التاريخية للشعوبية، ص١٤.
نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، ص٣٤١، بيروت، دار الطليعة، سنة ١٩٨٠، طبعة ٢.

(٢) الطبري: تاريخ، ج٦، ص١٤٠.
كان يحس عمرو أن عبد الملك انتزع السلطة منه، فقام هذا بالاستيلاء على خزائن دمشق، تحصّن بها، وأخيراً اصطلحا، بعد أن أعطاه عبد الملك الأمان فغدر به. كان ذلك قبل لقاء عبد الملك مع مصعب في مكة.

بشكل مباشر أو غير مباشر على الرغم من كثرتها[1].

وإن إسهام الموالي في هذه الحركات قد يعود لعدة أسباب: فربما كان الظلم الذي يشعرون به حيناً، أو الغيرة الدينية ومطالبتهم بالمساواة أحياناً، أو حبهم لآل البيت والتفاني في سبيلهم، أو سوء التصرفات من بعض الخلفاء أو الولاة، أو رغبة البعض في إعادة مجد آبائه وأجداده، وقد تكون بعض هذه الأسباب أو جزء منها هو أحد الأسباب التي جعلت الموالي يقفون ضد السلطة ظاهرياً أو باطنياً مما جعل السلطة تبالغ في ممارسة أساليب البطش ضد الموالي، ومع مرور الأيام كانت مناوأتهم تزداد حدة على الرغم من مساهمتهم الفعلية في جوانب الحياة المتعددة، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مما عجّل في نهاية الدولة.

جـ- العصبية القبيلة عند العرب وأثرها على الموالي:

يعد الشعر الجاهلي من المصادر المهمة لتاريخ القبائل العربية لما يصوره من علاقات بينها، ولما نلمسه فيه من روح قبلية، فالشاعر لسان قبيلته، وشخصيتها تطغى على شخصيته[2]، فيفرد لها الغالبية من شعره ليبرزها بين القبائل، ويبين علاقتها مع القبائل الأخرى -سلماً أو حرباً- بما ينظمه من مدح أو فخر أو هجاء، وهو في ذلك مرتبط بعادات القبيلة ونظمها وتقاليدها.

وكان العربي يحترم ما اعتاد عليه دائماً وجرى عليه عرفه، فهو بصورة

---

(١) أهم الثورات التي قامت في العهد الأموي: شبيب الخارجي، شوذب الخارجي، المختار الثقفي، مطرق بن المغيرة، عبدالله بن معاوية، الحسين بن علي، التوابون، زيد بن علي، عبد الرحمن الأشعث، عبدالله بن الحر، خوثرة الأسدي، فردة الأشجعي، المستورد الخارجي، حيان بن ظبيان، مرداس بن أدية.

(٢) انظر معلقتي: عمرو بن كلثوم، ص١٦٥-١٩٠، والحارث بن حلزة ص٢١٥-٢٣٦ وغيرهما من المعلقات.

شرح المعلقات السبعة: الزوزني، بيروت: دار القاموس الحديث، بلا تاريخ.

دائمة في حالة دفاع أو هجوم مما جعل القبيلة تتخذ مظهرين: أولهما داخلي وهو الالتفاف حول زعيم القبيلة والطاعة له، وثانيهما خارجي بصورة غزو وانتصار للعشيرة، لا فرق لديه إن كانت القبيلة على حق أو على باطل، ظالمة أو مظلومة[1]، لذا نرى أفراد القبيلة متضامنين يتمسكون بتقاليد القبيلة والسير على سبيلها رشداً أو غياً.

ولكل قبيلة نظمها الاجتماعية في الزواج والطلاق والإرث والعتق والقضاء والمفاخرة، كما أن لها علاقاتها بالقبائل الأخرى وإن كانت هذه العلاقات غالباً ما تقوم على المنافسة والتربص والعداوة والتخاصم[2]، وهذا واضح في شعر الجاهليين بلا استثناء مما يؤكد فكرة ولاء الشاعر المطلق لقبيلته[3].

وإذا كان الشعر قد أعطانا صورة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فقد أوجد فكرة الشعور بالوطنية العربية القبلية[4]، فالقبيلة أساس المجتمع لحقبة ما قبل الإسلام في البوادي والقرى، ضمت مجموعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد وينحدرون من أب واحد يجمعهم شعور وأمانٍ واحدة[5]، إلى جانب اللغة واللهجة والثقافة المشتركة، مع الإقامة في بيئة معينة وخضوعها لنظام واحد من العرف والعادات، وذات أهداف مشتركة ومشاعر واحدة[6]، فالشعور والإحساس

---

(١) أحمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي، ص٢٧.

(٢) عبد العزيز سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص٤١٢ (دار النهضة العربية، بيروت سنة ١٩٧١).

(٣) النعمان القاضي: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، ص١٣، (دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٧٠).

(٤) حتي: تاريخ العرب المطول، ج١، ص١٣٢، دار الكشاف، بيروت، ط٣، سنة ١٩٦١.

(٥) عمر فروخ: العرب حضارتهم وثقافتهم، ص٦٦. حتي: العرب (تاريخ موجز)، ص٢٣ (نفس المضمون). عبد العزيز سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص٤١١ (المضمون).

(٦) أحمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي، ص٩، نهضة مصر، القاهرة، طبعة٤، سنة ١٩٧٤.

المشترك ضرويان بين أفراد القبيلة لتوحيدها، وهو ما يعبر عنه بالرابطة التي تشدهم جيمعاً نحو التماسك والتضامن والاندماج في اليسر والعسر وقد أطلق على هذه الرابطة اسم "العصبية القبلية" وبذلك تكون "العصبية" هي نصرة الأفراد والتآلب على من يعادي القبيلة ظالمين كانوا أو مظلومين، كما تشمل المناصرة، والمدافعة أيضاً[1]، وبطبيعة الأمر يعود ذلك على الجميع بالفائدة لتحص يل الرزق ورد العدوان.

ولما كان المجتمع العربي مجتمعاً قبلياً، فقد نسبت العصبية إلى القبيلة لأنها العامل الأكبر في توحيد شعور الأفراد ورعايتهم فيها، وقد كانت هذه العصبية صارمة وعنيفة، ويترفع أبناؤها فيما بينهم وبين القبائل، فكان بنو تميم يشعرون أنهم أشرف من باهلة، وقد دفعهم تعصبهم "القبلي" أن يعتبروا أنفسهم أسمى من الحضر حتى أنهم لم يعترفوا بالتقدم لشاعر إلا إذا كان بدوياً[2].

والعربي مرهف الإحساس، تستفزه أقل الكلمات، لذلك نجد أفراد القبيلة شديدي الاعتزاز بكرامتهم[3] وكرامة قبيلتهم، ولهذا فإنهم يعتزون بنسبهم ال صريح ولا يحبون اختلاط الأنساب مع غيرهم، فعدوا أنفسهم صرحاً وهِجاناً[4]، وقد كانوا يعتزون بذلك كثيراً قبيل الإسلام مما يجعلنا لا نستغرب قصة رفض النعمان بن المنذر مصاهرة كسرى ابرويز امبراطور الفرس آنئذ الذي قال لرسول كسرى، زبيد بن عدي: "إن الذي طلب الملك ليس عندي، أما في عين السواد

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٧٩٢.

(٢) فروخ: العرب، حضارتهم وثقافتهم، ص٧٠.

(٣) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، القسم السياسي، ج٤، ص ٢١٥، المجمع العراقي، بغداد، سنة ١٩٥٢.

(٤) فروخ: العرب، ص٧١.

وفارس ما تبلغون حاجتكم"[1].

إن العصبية القبلية، كانت قوية قبل الإسلام، وكانت تمثل البدوي العربي أصدق تمثيل، بحيث يندر أن نجد شعباً يتمسك بعصبيته ويقدم صلة الرحم على غيرها[2]، كما كان لدى العربي، ولعل مرد ذلك إلى أن العرب اعتادوا الاستقلال في شؤونهم الشخصية والإدارية، وعدم التقيد في المكان، قد ظلت فكرة القبيلة وما يرتبط بها من السيطرة هي السائدة، لأنهم لم يعرفوا فكرة الأمة[3]، التي تقوم على أساس وحدة الدين[4]، وظلت هذه الروح مغروسة في نفوس العرب حتى جاء الإسلام، فأخمد أوارها، وأحل رابطة الدين محل رابطة الدم كرابطة اجتماعية[5].

لقد وحد الدين الناس جميعاً دون تمييز في اللون أو الجنس، وأرسى مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات، وأوجد العدالة الاجتماعية، لجميع الأفراد، وحدد العقوبات المترتبة على مخالفته، وجعل العقاب من واجبات واختصاص الدولة بعد أن كانت تمارسه القبيلة فانتشر الأمن والسلام واندفع الأرقاء نحو هذا الدين الجديد الذي منحهم من الحقوق أكثر مما كانوا يتصورون، أصبحت مكانة الفرد في المجتمع الجديد تقاس بمكانته في الإسلام من حيث التقوى "إن أكرمكم عند

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٢، ص٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، دار المعارف: القاهرة، سنة ١٩٦١.
ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص١٨٠. مؤسسة الأعلى، بيروت، سنة ١٩٧١.
المسعودي: مروج الذهب، ج٢ ص١٠١، ١٠٢، المكتبة التجارية، القاهرة، طبعة ٣، سنة ١٩٥٨.
ابن قتيبة: كتاب العرب، ص٢٩٠، (رسائل البلغاء).
أبو جعفر الكاتب: المكافأة، ص١٢٣، ١٢٤.

(٢) أحمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي، ص٢٥.

(٣) شوقي ضيف: العصر الإسلامي، ص١٨.

(٤) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ص١١، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، طبعة ٢، سنة ١٩٦٨.

(٥) المرجع نفسه، ص٧.

الله أتقاكم"[1]، والمسلم أخو المسلم "إن المسلمين أخوة"[2]، "لا فضل لعربي على أعجمي ولا عجمي على عربي إلابالتقوى"[3].

وبفضل هذه المبادئ السامية صفت نفوس المسلمين بالإيمان، وأخلصوا لله ورسوله، وبذلوا كل ما يستطيعون بذله، ونال كل مؤمن ما يستحق من التقدير، وبذلك أخمد الإسلام الحقد القبلي من نفوس العرب، وأصبحوا أمة واحدة في مجتمع جديد[4]، ذي مقاييس جديدة تختلف عما ألفه العرب، حتى أن عمر بن الخطاب قال عن بلال: "أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا"[5]، والنبي قال في إيمان عمار بن ياسر "... واهتدوا بهدي عمار..."[6] وقال فيه أيضاً عندما استأذن للدخول عليه"... ائذنوا له، مرحباً بالطيب المطيب"[7]، كما عينه (أي عمار) ابن الخطاب والياً على الكوفة[8]، ونال صهيب الرومي مكانة تليق بإيمانه[9]، وسلمان الفارسي نال المحبة والتقدير بما يتفق وإيمانه وإخلاصه، فعهد إليه بتقسيم الغنائم بين المسلمين في واقعة جلولاء[10]، ولتضحية هؤلاء النفر من المؤمنين يقول فيهم الرسول: "إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان"[11]، ويبين النبي

(١) سورة الحجرات، آية ٤٩.

(٢) ابن هشام:السيرة النبوية، ج٤، ص٢٦١-٢٥٢، مصطفى الحلبي، القاهرة، سنة ١٩٣٦.
اليعوبي: تاريخ، ج٢، ص١١١، الطبري، ص١٥١، ج٣.

(٣) اليعقوبي: المصدر نفسه، ص١١٠.

(٤) ابراهيم بيضون: ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري ص٢٢، النهضة العربية، بيروت، سنة ١٩٧٩.

(٥) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٢٤٥، كتاب الشعب، القاهرة، سنة ١٩٧٠.
ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٧، ص١٠٢، مكتبة المعارف، بيروت، سنة ١٩٦٦.

(٦) المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٢.

(٧) المصدر نفسه والصفحة.

(٨) المصدر نفسه، ص١٣٤.

(٩) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٨. الكازروني: مختصر التاريخ، ص٦٥.

(١٠) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص٧٠.

(١١) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص٤٢٠، ٤٢١.

مكانة هؤلاء حتى أنه يقرنهم بنفسه "السُبَّاق أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبش"[1]. وزيد بن حارثة لم يرسل الرسول سرية إلا أمَّره عليها[2] على الرغم من أنه مولى وذلك لإيمانه وإخلاصه للإسلام.

كان هذا موقف الإسلام ممن كانوا مستضعفين، أعزهم ووضعهم في الأماكن التي يستحقونها، فاحتلوا المراكز المناسبة في تاريخ الإسلام ودعوته[3]، كما أن الإسلام أهمل من خالفوه، ووضعهم حيث يستحقون، فقد روي أن أبا بكر أحضر أبا سفيان، وأخذ يصيح عليه أمام جماعة من المهاجرين والأنصار، وكان من بينهم والد أبي بكر "أبو قحافة" فاستغرب أبو قحافة فدنا من ابنه وقال له "أعلى أبي سفيان ترفع صوتك يا عتيق الله؟ وقد كان بالأمس سيد قريش في الجاهلية، لقد تعديت طورك وجزت مقدارك"، فتبسم أبو بكر وقال له: "يا أبت، إن الله قد رفع بالإسلام قوماً وأذل آخرين"[4].

ويتضح موقف الإسلام من أصحاب الإيمان متمثلاً في موقف عمر بن الخطاب حين جاءه وفدان كان يشمل الأول وفد قريش وعلى رأسه أبو سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمر، فوقفوا على باب عمر بن الخطاب، وجاء صهيب وبلال ومعهما عدد من الموالي الذين شهدوا بدراً، فلما علم عمر بن الخطاب بالوفد الثاني، أرسل آذنه، فأذن له بالدخول بينما ترك الوفد الأول "قريش" ينتظر مما أثار غضب أبي سفيان فقال "لم أر كاليوم قط، يؤذن لهؤلاء

---

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٧.
السيوطي: أزهار العروش في أخبار الجيوش، ص٩و ١٠، مخطوط، دار الكتب المصرية رقم ٧٦٤ عن نسخة الإسكوريال.
(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص٢٨٣.
(٣) بيضون:التيارات السياسية، ص١٥.
(٤) المسعودي: مروج الذهب، ج٢ص٣٠٦.

العبيد ويتركنا على بابه لا يلتفت إلينا" فقال سهيل بن عمر -وكان رجلاً عاقلاً- "يا قوم، إني والله أرى الذي في وجوهكم، إن كنتم غضاباً، فاغضبوا على أنفسكم، دعي القوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم"[1].

ولدى تحليل الموقفين السابقين، تجد أن موقف الإسلام المتمثل في أبي بكر وعمر واضح ينطلق من العقيدة التي يؤمنان بها بينما موقف كل من أبي قحافة وأبي سفيان كان لا يزال مشدوداً إلى الماضي، فهما على الرغم من إسلامهما كانا يشعران أن المكانة والعزة ترتبطان بالقبلية العربية، وإن منزلةالفرد بجاهه وماله وقبيلته، فرأيا غير ما رأى الخليفتان، وما ذلك إلا لعدم تعمق الإيمان لديهما.

كان هذا موقف الإسلام والمسلمين من الموالي، فما هو موقف هؤلاء الموالي؟

لا شك أن جيل الرواد من المؤمنين الموالي (بلال، صهيب، عمار، سلمان، وغيرهم) آمنوا وضحوا في سبيل عقيدتهم، ولكن الجيل الذي تلاهم، هل كان بإخلاصهم؟ إننا لا نستطيع أن نعمم، علماً أنه وجد في كافة العقود مؤمنون على درجة كبيرة من الوفاء والإخلاص لعقيدة الإسلام وإلى جانب هؤلاء تسرب من ادعى الإيمان وتظاهر به.

إن مقتل عمر بن الخطاب على يد أحد الموالي ما يؤيد ذلك، ويثير مجموعة من الأسئلة التي طالما حاول المؤرخون العرب والمستشرقون أن يجدوا لها الإجابة.
فهل كان مقتل عمر بن الخطاب عملاً فردياً؟ أم أنه يشير إلى صراع -من نوع جديد- بين القومية الفارسية والحكم العربي؟

---

(١) أبو الفرج ابن الجوزي:تاريخ عمر بن الخطاب، ص١١٨، دار إحياء علوم الدين، دمشق، سنة ١٣٩٤هـ.

هل كان مقتله مؤامرة محبوكة استهدفت العرب والإسلام في شخصه؟ أم أنه كان مؤامرة محلية أثارها الصراع الاجتماعي بين العرب؟

وللإجابة على هذه الأسئلة وكثير غيرها لا بد لنا من نقل الروايات ومحاكمتها.

لقد دخلت أعداد كبيرة من شعوب البلاد المفتوحة في الإسلام نتيجة الفتوحات، ويرى المستشرق فلوتن أنها لم تدخل عن اقتناع بكتاب الله ولكن بالقوة والجبروت أي بحد السيف[1]، ويخفف فليب حتي هذه الحدة فيرى أن الموالي قبلوا رسالة محمد طوعاً أو كرهاً[2] لدعوته في محكم آياته "لا إكراه في الدين"[3]، بينما الدعوة الإسلامية كانت تقوم على طريقة رائدة هي أقرب إلى الحوار منها إلى العنف لفئة منتصرة[4]، مما جعل الشعوب تقبل عليها، لما حمله العرب من شعارات الإسلام في المساواة، بطريقة مبتكرة حررتهم مما كانوا فيه من اضطهاد ديني وسياسي[5] كانوا يلاقونه من حكامهم، فقد رأت هذه الشعوب مبادئ الإسلام بوضوح فأعجبت بها واعتنقتها.

ولكن هل نستطيع أن نقول أن جميع الموالي الذين أسلموا كانوا عن اقتناع بالعقيدة؟ أم كانت هناك أسباب أخرى كالرغبة في الإفادة من الظروف الراهنة والقادمة. إذا كنا لا نستطيع أن ننكر الرغبة فلا يجوز أن نتجاهل الدوافع الثابتة.

لقد كان ممن أسلم، وكانت له مكانته الهرمزان الذي كان حاكماً لا مهرمز، فعندما حوصر في قلعة تُستُر ووجد أن لا مفر من الموت طلب النزول على حكم

---

(١) ابراهيم بيضون: الدولة الأموية والمعارضة، مدخل إلى كتاب السيطرة العربية للمستشرق فان فلوتن، ص٦٢.

(٢) حتي: العرب (تاريخ موجز)، ص١٠٣.

(٣) سورة البقرة، اية ٢٥٦.

(٤) بيضون: الدولة الأموية، ص١٠.

(٥) المرجع السابق، ص١٢.

عمر بن الخطاب[1]، ثم أرسل إلى المدينة فأعلن إسلامه بعد قصة مثيرة، فما كان من الخليفة إلا أن فرض له ألفين في العطاء[2]، ومعه عدد من زعماء الفرس وسادتها ليؤلف قلوبهم[3]

وكان ممن تظاهر بالإسلام فيروز، المعروف باسم ابن لؤلؤة، أحد سبايا نهاوند، وقد أصبح بعدها غلاماً للمغيرة بن شعبة[4].

ولعل فطنة عمر وسعة أفقه قد جعلته يفطن لما قد يحدثه هؤلاء الشباب من الأسرى من تأثير في المستقبل، مما دفعه إلى الكتابة إلى أمراء الجيش بعدم إرسال الأسرى الذين في بداية الشباب "لا تجلبوا علينا من العلوج أحداً جرت عليه المواسي"[5]، وعلى ما يبدو فإن الخليفة وقع تحت تأثير الصحابة ولذلك حين استظيف من طعنته قال: "ألم أقل لكم لا تجلبوا علينا أحداً فغلبتموني"[6].

وقد كان يستعيذ من السبايا وأبنائهم "اللهم إني أعوذ بك من أولاد سبايا الجلوليات"[7].

ويتبين من الرواية التاريخية، أن فيروز (أبو لؤلؤة) كان مشحوناً بالتعصب الشديد لفارسيته، إلى جانب كراهيته الشديدة لما آل إليه. فقد حدثنا الطبري بأنه

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٤، ص٨٦.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٢، ص١٩٥، الطبري: المصدر نفسه، ص٨٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص٣٨٥.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص١٥٣و ١٥٤.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٤، ص١٣٦. الكازروني: مختصر التاريخ، ص٦٥. أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٦٤. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٢٤.

(٥) أبو الفرج ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب ص٢٢٨.
السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٢٤. المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص٣٢٩ (المضمون).

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٥٦.
ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، ص٢٤١.

(٧) الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٢٩.

كان إذا لقي صغيراً من أسرى نهاوند يمس رأسه، ويبكي ويقول: "أكل عمر كبدي"[1].

على أن السؤال الذي ما زال يطرح نفسه: هل كان اغتيال فيروز للخليفة عمر بن الخطاب عملاً فردياً نابعاً من أعماق "أبي لؤلؤة" ذاته أم أنه كان نتيجة خطة مدبرة حيكت خيوطها بإشراف عناصر متعددة؟

روى ابن سعد[2] الطبري[3] على لسان عبد الرحمن بن أبي بكر عن اجتماع تم بين فيروز "أبو لؤلؤة" والهرمزان وجهينة (النصراني) الليلة التي سبقت اغتيال عمر، فعندما فاجأهم "عبد الرحمن" وضيق عليهم الخناق، ثاروا "ارتبكوا" وسقط منهم خنجر له رأسان، نصابه في وسطه، ولما جاءوه بخنجر الغدر عرفه، ولما سمع عبدالله بن عمر ما رواه عبد الرحمن اندفع فوراً وقتل الهرمزان وجهينة وزوجة أبي لؤلؤة وابنته[4]. ويرى البلاذري أن جهينة كان مشايعاً للقاتل[5]. وأن الهرمزان كانت له يد في ذلك[6].

إلا أن هذه المبادرة، الأخذ بالثأر دون الرجوع إلى السلطة كانت خروجاً على مبادئ الدين، فما كان من عمر إلا أن أوصى أن يقاد ابنه بالهرمزان[7]، ولما اجتمع المهاجرون وعلى رأسهم علي بن أبي طالب مع عثمان عندما تولى الخلافة

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٤، ص١٣٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٣. ص٢٥٨.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٤، ص١٦٠.

(٤) اليعقوبي، ج٢، ص١٦٠. البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٦٤. الطبري: المصدر نفسه، ص٢٤٠.

(٥) البلاذري: فتوح، ص٦٦٤. الاصطخري: المسالك والممالك، ص٨٥، (اتهم الهرمزان مع أبي لؤلؤة).

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص٥٢٧.

(٧) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص١٦١.

وطالبوه بقتله[1] "أي عبدالله بن عمر"، ولكن الخليفة الجديد أحس بحرج الموقف في تقديم ابن عمر للمحاكمة فيقتله ويلحقه بأبيه، ولم ينقذه من حرجه سوى عمرو بن العاص الذي أوجد مسوّغاً لخلاصه "إن الله أعفاك... إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك"[2].

فهل إشارة ابن سعد والطبري والاصطخري، بل اتهام البلاذري الصريح للهرمزان جهينة ما يبرئهما من التخطيط مع القاتل وتبرئة ساحتهما؟

لقد رأى بعض الباحثين المعاصرين[3]. في تفسير هذا الحدث أن في اشتراك مجموعة من العناصر في التدبير والممثلة بأهل الذمة (جهينة الصراني) والقومية الفارسية (الهرمزان وفيروز) بأن الدافع لم يكن شخصياً بل هو أعمق وأشمل من ذلك، ولكن لماذا طالب علي بن أبي طالب ومعه جمع من المهاجرين والأنصار الخليفة بإنزال العقوبة بابن عمر؟

إن مطالبة هؤلاء النفر من المؤمنين يعود إلى إيمانهم المطلق بالمبدأ الإسلامي الذي يقضي ببراءة المتهم مالم تثبت إدانته بالبرهان القاطع، والقتلة ينفذ فيهم الحكم بصورة قبلية وهو ما ينكره الشرع، فكان الأولى استدعاء الهرمزان وجهينة والتحقيق معهما وعلى ضوء النتائج تصدر الأحكام، فمطالبة علي ومن معه ليس مرده أن القتيلين كانا بريئين مؤكداً، وإنما لمخالفة ابن عمر

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص٢٥٩.
الطبري: تاريخ،ج٤، ص٢٣٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص٢٥٩. اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص١٦٠. الطبري: تاريخ، ج٤، ص٢٣٩.

(٣) محمد بديع شريح: الصراع بين الموالي والعرب، ص٣١، دار الكتاب العربي، القاهرة، سنة ١٩٥٤.
زاهية قدورة: الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي، ص٤٠-٤١، دار الكتاب االلبناني، بيروت، سنة ١٩٧٢..
النعمان القاضي: الفرق الإسلامية في العشر الأموي، ص٣٩.

لمبادئ الإسلام وقتله أناساً أبرياء كابنة أبي لؤلؤة وزوجته وهما ليس لهما علاقة بالحادث، والله يقول: "لا تزر وازرة وزر أخرى"[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه تكملة لمجموعة الأسئلة السابقة:

من المستفيد، ومن الخاسر من مقتل عمر بن الخطاب؟

مما لا شك فيه أن عمر كان من الرجال النادرين في التاريخ العربي الإسلامي، فقد خسره الضعفاء والفقراء -بالدرجة الأولى- لأنه كان يؤمّن لهم حقوقهم كاملة أينما كانوا وحيثما حلوا، أما الذين التقطوا بموته الأنفاس، فهم أولئك الأثرياء والشخصيات الحجازية الذين كان وجوده يكبح جماحهم بما كان يفرضه عليهم من رقابة[2]، وحال دون استيطانهم في البلاد المفتوحة.

وقبل تحديد هوية هؤلاء المستفيدين أرى من المفيد أن أطرح بعض الوقائع:

دخل عبد الرحمن بن عوف ومعه مجموعة من المسلمين فسأله أبو بكر عن رأيه بعمر فقال: "هو أفضل من رأيت فيه من رجل، ولكن فيه غلظة"[3]، وكان أبو بكر يعلم رأي ابن عوف وجماعته فيه فقال لهم يوم وفاته: "إني وليت أمركم خيركم في نفسي، وكلكم ورم أنفه من ذلك"[4]، ودخل ابن عوف وعثمان على أبي بكر بعد استخلافه لعمر معاتباً: "ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته"[5]

وثمة إشارة وتلميح من ابن عمر يعرض فيها بالمهاجرين أن لبعضهم يداً في

---

(١) سورة الأنعام، آية ١٦٤.

(٢) بيضون: التيارات السياسية، ص١٠١.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٣، ص٤٢٨. اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص١٢٧.

(٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج١، ص١٨. الطبري: ج٢، ص٤٢٩.

(٥) ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص١٤١.

قتل أبيه "والله لأقتلن رجالاً ممن شرك في دم أبي"[1] ولما نبهوه وتوعدوه قال: "والله لأقتلنهم وغيرهم، وعرض ببعض المهاجرين"[2].

وبناء على الوقائع السابقة نستطيع أن نقول إن عدداً من الأغنياء وأصحاب الجاه من المهاجرين لم يرتاحوا لاختيار أبي بكر لعمر، لأن الأخير وقف أمام طموحهم وغناهم، مما جعل أحد الباحثين المعاصرين الجادين[3]، يميل إلى أن قتل الخليفة كان نتيجة الصراع الاجتماعي لهذه الفئة الغنية معه، فقدم الحدث الخلافة لعثمان وأفاد هؤلاء الأثرياء من هذا الحدث فيما بعد.

ومع كل ذلك لم يثبت لدينا أن الفئة الغنية أسهمت بالقتل المباشر، وإن كان اغتيال الخليفة قد عاد عليها فيما بعد بالفوائد الجمة، كما نستبعد الدافع الشخصي، وإلا لماذا اجتمع القاتل مع الهرمزان وهو الزعيم السابق وجهينة النصراني، ولكن الذي يبرز أمامنا واضحاً ولا نستطيع تجاهله هو دافع القوميات المقهورة التي أزالها الإسلام[4] مما جعلنا نرجح هذا الرأي على غيره لثبوت أطرافه في المؤامرة.

إن اغتيال عمر بن الخطاب قد فتح الطريق أمام عثمان، وأحاطت بالخليفة الجديد مجموعة من الظروف جعلته يقع تحت نفوذ أسرته، فشكل جهاز الحكم من أقاربه، مما زاد في ثرائها، وهنا برزت ظاهرة جديدة، فقد رفض الرأي العام لجماهير المسلمين ممارسة السلطة من قبل الأمويين، فتحرك المسلمون معلنين استياءهم وفي مقدمة هؤلاء كان أبو ذر الغفاري، ثم تحركت وفود الكوفة

---

(١) الطبري، ج٤، ص٢٣٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص٢٥٨.

(٣) بيضون: التيارات السياسية، ص١٠١.

(٤) محمد بديع شريف: الصراع بين الموالي والعرب، ص٢١ .
زاهيةقدورة: الشعوبية، ص٤٠، (وقد رأت أن الشعوبية قد لعبت دوراً في قتل الخليفة).
النعمان القاضي: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، ص٣٩.

والبصرة ومصر مستنكرة ما تسير عليه سلطة المدينة، وتفقد السلطة ثقة الجماهير، ويضع المحتجون نهاية أليمة للخليفة، وهي وإن دلت على حيوية الشعب والأمة التي ترفض التسلط من قبل فئة معينة على الحكم، إلا أنها فتحت باباً لم يغلق حتى الآن، ولكن إذا كانت خلافة عثمان قد زالت فقد طغا بنو أمية على السطح في الحجاز بادئ الأمر (في عهد عثمان) والشام مما جعلهم يخططون للاحتفاظ بالسلطة.

وقبل الانتهاء من هذا الفصل، لا بد من الإشارة إلى عدد من القضايا؛ إذا كان الإسلام قد رفع الموالي المخلصين، ووضعهم في المكان الذي يستحقون بحسب إيمانهم، فهل يمكن أن نحكم حكماً مطلقاً باندثار العصبية عندهم؟ وكذلك هل زالت العصبية القبلية عند أفراد المجتمع العربي في العهد الأموي؟ وهل كان لمقتل عمر من أثر على الموالي؟ وكذلك الفتنة في عهد عثمان؟

مهما يمكن أن يقال، فالعربي يعتز بنسبه وكرامته، وهذه خصلة متأصلة فيه، على الرغم من أن عرب الجزيرة أسلموا إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بأن الإسلام قد تمكن حقاً أن يقضي على العصبية في نفوسهم في هذه الفترة التي لم تتجاوز ثلاثة عقود، وإن كان قد أضعفها لدى الغالبية[١]، بحيث أخذت تظهر عند الإثارة، ولعل اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة إثر وفاة الرسول، رغبة الخزرج أن يكون الخليفة سعد بن عبادة قد أبرزها على استحياء[٢]، كما أن مقتل عمر بن الخطاب قد أثار في نفس ابنه الحنين إلى العصبية، فلما هزّة الحدث تصرف بانتقام ولم يكتف بالفعلة ولكنه "أراد أن لا يترك سبياً في المدينة إلا قتله"[٣]، وحفصة ابنة عمر وزوجة الرسول تشجع أخاها للأخذ بالثأر، فقد قال

(١) محمد النجار: الموالي في العصر الأموي، ص١٩.

(٢) النعمان القاضي: الفرق الإسلامية، ص٢٣ .

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص٢٥٨.

أخوها عبد الله: "يرحم الله حفصة، فإنها ممن شتجع عبد الله على قتلهم"[1].

فإذا كان الأمر كذلك لدى من نشأ وعاش وتربي في كنف الإسلام فكيف لدى من أسلم لغاية أو هدف؟! فقد رأى بعض الباحثين أن مقتل عمر بداية مسلسل دبره الموالي الشعوبيون[2]

إن تصرفات نوي النفوذ من الأمويين في عهد عثمان، قد أثارت الحساسية بين المسلمين، كما ان مقتل عمر أدى إلى رد فعل عند جمهرة من الناس، وغيّرت من شعورهم تجاه الأعاجم، من أسلم منهم ومن بقي على دينه، فأصبح العرب ينظرون إليهم بحذر، فأخذت العصبية العربية تستيقظ من غفوتها شيئاً فشيئاً، ومع هذه اليقظة أخذت منزلة الموالي تتجه نحوالانحدار، ويزداد الأمر سوءاً في عهد عثمان، حيث كان إحساس الأمويين يزداد بمكانتهم، بينما شعور الهاشميين لم يكن يتحجم بنفس المقدار، فاتخذت نظرة الطرفين لوناً من العصبية القائمة على اعتزاز كل طرف بمآثره[3]، ومكانته في الماضي والحاضر، وبذلك أخذت الأنانية والعصبية تظهر بين الأسرتين من جديد، في حين انصرف قسم من زعماء الحجاز للاهتمام بالناحية الاقتصادية في الأقطار المجاورة، وانغمسوا في الترف والنعيم، وأخذت نظرتهم تصطبغ بلون جديد نحو الموالي، نظرة الغني للفقير، وتقترب من نظرة الغالب للمغلوب،[4]. بينما ظل أقوياء الإيمان ينظرون إلى الموالي نظرة إسلامية، فنرى علي بن أبي طالب في خلافته يساوي بين المسلمين في العطاء، دون النظر إلى الجنس أواللون كما فعل النبي وأبو بكر، فلم يفضل أحداً

---

(١) ابن سعد، المصدر السابق، ص٢٥٩.
اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص١٦١.

(٢) محمد بديع شريف: الصراع بين الموالي والعرب، ص٣٣.

(٣) المصدر السابق والصفحة.

(٤) محمد النجار: الموالي في العصر الأموي، ص٢٥.

على آخر[1].

وتولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة بعد حرب أهلية، رافقتها مؤامرات وتردد في السلوك واهتزاز في الإيمان وصل على أثرها السفيانيون[2]، إلى سدة الحكم، فحققوا انتصارهم الثاني على الهاشميين.

ومهما يكن من سلوك معاوية وسياسته، فقد كرّس مفاهيم جديدة في عمله السياسي، وكانت هذه المفاهيم تقوم على قاعدة التوازن في علاقته مع أنصار النظام، حتى في البيت الأموي، فقد أخذ يغري بعضهم بعض[3] كما استطاع أن يسخر القوى القبلية لخدمة الدولة بما فيها من تناقضات محلية وتاريخية، فصاهر اليمنيين (تزوج ميسون الكلبية) وعيّن الضحاك بن قيس حاكماً لولاية دمشق[4]

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل استطاع بقية خلفاء بني أمية أن يحافظوا على هذا التوازن؟ إن الجواب بالنفي. فقد لعبت العصبية القبلية دوراً مهماً في تعجيل نهاية الدولة الأموية، لعلاقة أفراد القبيلة الوثيقة، والذي يلتفون حول زعيمها وينفذون السياسة التي يراها مناسبة في تأييد الدولة أو مناهضتها.

لقد أخذت العصبية القبلية عند الأمويين مظهر عصبية الأسرة أيضاً، فمعاوية قام بخدعة هي أبعد ما تكون من مضمون الإسلام[5]، فأخذ البيعة لابنه يزيد على الرغم من وجود من هو أكفأ منه بين المسلمين بل وفي بني أمية، فمنع الأصلح وأعطى لمن هو دونه[6]، علماً بأن الرياسة عند القبائل العربية تورث في

---

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص١٣٦.

(٢) بيضون: الدولة الأموية والمعارضة، ص١٢.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٥، ص٢٩٣.

(٤) بيضون: التيارات السياسية، ص١٥١. الدولة العربية في اسبانيا، ص٩٨، النهضة العربية، بيروت، سنة ١٩٧٨.

(٥) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ص١٣٤.

(٦) يوسف العش: الدولة الأموية، ص١٥٤.

نطاق القبيلة أو العشيرة وليست وراثية في نطاق البيت الواحد[1]، وبايع مروان بن الحكم لولديه عبد الملك ثم عبد العزيز، وحاول عبد الملك أن يجبر أخاه على التنازل لولا القدر الذي تدخل بموت شقيقه فأراحه، مما ضمن له البيعة لابنيه الوليد ثم سليمان[2]، وهكذا بين أفراد الأسرة الواحدة نجد الأنانية والأثرة والتعصب.

أما سياسة الخلفاء الأمويين في مسألة العصبية القبلية فإنها تختلف من حاكم لآخر ولنتأمل في الوقائع التالية:

١) موقعة مرج راهط (٦٥هـ)، وفيها أيد القيسيين عبد الله بن الزبير بينما أيد اليمنيون الأمويين[3]. بقيادة مروان بن الحكم، وتمكن الفريق الثاني من الانتصار على القيسيين واعادت مرج راهط السلطة إلى بني أمية وحولتها إلى الفرع المرواني[4]. ولكن هذه المعركة تركت جرحاً عميقاً في قلوب القيسيين.

٢) موقعة خازر (٦٧هـ)، كان القيسييون بقيادة عمير بن الحباب، يقاتلون في جانب الأمويين، ولما بدأت المعركة صاح زعيمهم "يالثارات مرج راهط" ونكسوا أعلامهم وفرّوا فهزم أهل الشام أمام المختار[5]، وهكذا طوحت عصبيتهم بهم فحملتهم على الغدر والخديعة فهزم جيش الأمويين شر هزيمة بعد أن قتل قادة الجيش[6].

٣) قام يوسف بن عمر الثقفي -والي العراق للخليفة الوليد بن يزيد- بقتل خالد القسري (وهو من اليمانية) فسرَّ الخليفة وحبس ابنه محمد بن خالد

---

(١) فلهوزن: الدولة العربية، ص١٣٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص١٧٣.

(٣) الطبري: تاريخ، ج٥، ص٥٣٥.

(٤) ثورة عبد الله بن الزبير، ص١٣١ (رسالة ماجستير للباحث)، مخطوطة.

(٥) الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٩٥.

(٦) ثورة عبد الله بن الزبير، ص١٥٣ (قتل فيها عبدالله بن زياد الحصين بن نمير).

القسري فما كان من اليمنيين إلا أن جهزوا جيشاً، حاربوا الخليفة الوليد وانتصروا عليه، فعزلوه وعينوا بدلاً منه ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأجبروا القيسيين على مبايعته طوعاً أو كرهاً[1]، وبذلك يكون الوليد قد دفع حياته ثمناً لتعصبه الأعمى[2].

٤) كان الخليفة ابراهيم بن الوليد يؤيد ويقرب اليمنيين، فبايعت القبائل القيسية (تميم وقيس وكنانة) مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم، وتوجهت معه إلى دمشق، فعزلت الخليفة إبراهيم بن الوليد وولي عهده عبد العزيز بن الحجاج، ثم قتلهما مروان[3].

كانت هذه من أبرز العلامات الفارقة التي تبين مدى تأثير وفعالية العصبية القبيلة في الدولة الأموية، ناهيك عما كان يقوم به زعماء القبائل في المدن والمضارب من القتل، فكانت العصبية القبلية ميزاناً حساساً، تتأثر بأقل المؤثرات التي تؤدي إلى الاشتباكات الدامية بين القبائل مما ينعكس على الأوضاع الداخلية في الدولة الأموية والذي ساهم بدوره في نهايتها.

ولكن، ما علاقة الموالي بالعصبية القبلية العربية؟

لقد كانت علاقة الموالي بالعرب عامة شديدة الحساسية، سريعة التأثير، فكانت حالتهم تتأثر بالعصبية العربية واختفائها، وهذا التأثير يتناسب تناسباً عكسياً مع حالة الموالي، فكلما كانت العصبية عند العرب مستيقظة وفي أوجها انحدرت منزلة الموالي، وفي مثل هذا الحال تختلف النظرة إليهم بما يخالف مبادئ الإسلام، مما يجعلهم يتحلقون حول أنفسهم ويحاولون الخلاص بالاندفاع والتأييد لكل ثار ضد السلطة، وليس كما يرى بعض الباحثين أن العرب كانوا

---

(١) الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٤٩.

(٢) بيضون: الدولةالعربية في أسبانيا، ص٩٩.

(٣) الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٥٠، ٢٥١.

يرعون للموالي إخوتهم الإسلامية[1]، فالأخوة المذكورة كانت مأخوذة بعين الاعتبار من قبل أقوياء العقيدة والإيمان الذي يعتبرون الإسلام مقياسهم الصحيح، أما الولاة الحكام فهم ممثلو السلطة يسيرون حسب ما تقتضيه سياسة الدولة التي تقوم على العصبية العربية عامة وعصبية الأسرة خاصة.

(١) شوقي ضيف: العصر الإسلامي، ص٢١١. دار المعارف، القاهرة، طبعة٤، سنة ١٩٦٣.

الفصل الثاني

التفاعلات الحضارية في الحياة الاجتماعية

الفصل الثاني

التفاعلات الحضارية في الحياة الاجتماعية

التفاعلات الحضارية في الحياة الاجتماعية

اتخذت التفاعلات الحضارية مظاهر عدة، وهي تبدو واضحة في الحياة الاجتماعية، وذلك بنقل مظاهر الحياة في المجالس والملابس والاحتفالات والعادات وغيرها، وكان لا بد لهذه المظاهر من تفاعلها لترسخ وتصبح جزءاً من حضارة المجتمع، وقد قام بنقل المظاهر المسلمون الجدد من الموالي وقد شملت مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية وبرزت فيما يلي:

أ- المجالس الاجتماعية:

الإسلام نظام متكامل، نظمّ حياة الناس وأرسى المبادئ العامة لحياة أتباعه، بما فيها الجوانب الاجتماعية، فأوضح للمسلمين طريقة الاستئذان في الزيارة "ولا تدخلوا بيوتاً غي بيوتكم، حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها"[١]، وطبق الرسول بصورة عملية ذلك في مجالسه[٢] الخاصة والعامة حيث كان يتم فيها التباحث في أمور الدين والدنيا.

---

(١) سورة النور، آية ٢٧.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص٥٢ "استأذن رجل على النبي (ص) وهو في بيته، فقال: أألج؟ فقال النبي لخادمه: أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقُل له يقول: السلام عليكم، أأدخل؟".

والمجالس متنوعة الأهداف والغايات، فقد تكون للوعظ والإرشاد، أو للقضاء بين الناس، أو إعادة الحقوق للمظلومين، ومنها ما يتناول السياسة العامة للدولة (الداخلية والخارجية)، أو الشؤون الثقافية من علوم شرعية، أو فنية، أو أدبية تتم فيها المساجلات الشعرية أو غيرها.

ويظهر تأثير الموالي في مجالس الخلفاء والولاة في العهد الأموي مما أدخلوه من نظام الحماية، بتعيين حاجب ينظم الدخول على الخليفة، أو الموالي، وفق قوانين محددة، وترتيب للخاصة والعامة وسياسة الرعية وهذا كله لم يكن معروفاً من قبل بل اقتبس عن الفرس[١].

فقد سأل زياد بن أبيه حاجبه: "كيف تأذن للناس؟ قال على البيوتات، ثم على الأسنان، ثم على الأدب. قال فمن تؤخر؟ قال: من لم يعبأ الله بهم"[٢].

وقد كانت الوفود تفد على الخلفاء، فيتحادثون في شؤون الساعة وقد يشمل الأدب والأنساب، فقد كان بلاط معاوية موئلاً للعرب والأدباء والفقهاء والوجهاء، وممن وفد عليه عقيل بن أبي طالب[٣] والأحنف بن قيس وكان واسع الصدر معهما[٤]، كما استمع إلى دغفل النسابة[٥]، فحدثه عن أنساب العرب[٦]، وكذلك إلى عبيد بن شرية الجرهمي الذي أخبره عن ملوك اليمن وأنسابهم[٧]، وكثيراً ما كان يستمع بعد صلاة أصبح لناس يحدثونه بالقصص الدينية وغيرها[٨]،

---

(١) الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص٢١، الشركة اللبنانية، بيروت، سنة ١٩٧٠.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص٥٠ .

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص٤٦ .

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص١٨٦، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٩ (تحقيق إحسان عباس).

(٥) ابن قتيبة: المعارف، ص٢٣٢.

(٦) المصدر نفسه والصفحة.

(٧) المصدر والصفحة.

(٨) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص٣٩.

وبالإضافة إلى ذلك كان يطلب في مجالسه من ثقاته أن يخبروه بأخبار الأمصار بصراحة وصدق[1]، كما كان يفصل في المنازعات ويكرم الناس ويقضي حوائجهم كحمايته للفرزدق[2] ومحمد بن علي[3] والنابغة الجعدي وغيرهم[4]،

وسار بنو أمية على نهج مؤسس دولتهم، ولكنهم لم يرتقوا لمستواه وبتقادم الزمن أدخلت مواضيع جديدة في المجالس، فشملت الجد الهزل إلى جانب الثقافة، وحفلت بعضها بالغناء والخمر لدى بعضهم[5].

ويظهر تأثير آخر للموالي في المجالس باقتباس الكراسي واستعمالها في المجالس، وكان أول من استخدمها زياد بن أبيه عندما كان عاملاً على الفرس قلّد بها مرازبة الفرس[6]، ثم انتقلت إلى الشام فكان معاوية يجلس زواره على الكراسي بينما هو على السرير[7] كما كان يضع (أبو معاوية) الكرسي في المسجد بعد أن يسنده إلى المقصورة ويقضي للناس حوائجهم[8].

وقد شاع انتشار الكراسي والأسرة بين الخلفاء[9] والولاة، فقد حاكم الحجاج يزيد بن المهلب وهو جالس على السرير[10]، كما عرف الكرسي على

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٢٤٢ (طلب معاوية من عبدالله بن الكواء أن يخبره عن أهل البصرة، ثم أهل الكوفة، والمدينة، والجزيرة وأخيراً أهل الشام).

(٢) الطبري: تاريخ، ج٥، ص ٢٦٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٤٣.

(٤) ابن واصل الحموي: تجريد الأغاني للأصفهاني، ج٢، ص٦٠٦، كتاب التحرير، القاهرة، سنة ١٩٦٣.

(٥) سيتناول ذلك الباحث في فصل قادم.

(٦) زيدان: التمدن الإسلامي، ج٥، ص٦٦٧.

(٧) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص٣٩.

(٨) مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص٥٩.

(٩) الطبري: تاريخ، ج٦، ص٣٣٩، ٣٧٩، ٣٨٤.

(١٠) المصدر نفسه، ص٣٧٩.

مستوى العامة، فاستعمله أبسط الناس "أحد الزيانين"[1] وعرفت المجالس الندماء -وقد اختلفت مهمته بالنسبة للخليفة- فقد يكون ناصحاً أو مسلياً يلبي رغبة الخليفة، وقد عرفت مؤهلات النديم بأن عليه مراعاة حق الخلافة[2]، وأن يكون معتدل الذوق، سليم الجوارح والأخلاق، عالماً بالنادر من الشعر، والسائر من المثل، متضلعاً في كل فن، فإذا ذكرت الآخرة ونعيم أهل الجنة حدّثه، وإذا ذكرت النار حذّره[3]، كما يجب أن يكون الندي لبقاً يفهم بالإشارة فإذاشعر بنعاس الخليفة توارى من المجلس[4].

وقد استفاد الأمويون من الناصحين الوعاظ، فالوليد بن يزيد ابن عبد الملك كان من خاصته عمرو بن عتبة[5]، كما لبى بعض الندماء رغبات أسيادهم، فكان يزيد بن معاوية يحب اللهو والقنص والخمر والنساء والشعر[6] إلى جانب الطرب وسباق الخيول، وتربية الجوارح والكلاب والقرود والفهود[7]، فكان نديمه كما أراد، وكذلك بالنسبة للوليد بن يزيد الذي كان ظريفاً يحب الظرفاء والشراب وسماع الغناء وكان نديمه القاسم بن الطويل العبادي الذي خصت ندامته عليه[8].

وعلى الرغم من مكانة النديم لدى الخليفة، إلا أن البعض أبت عزة نفسه أن يكون كذلك، فقد رفض نصيب أن يكون نديماً لعبد الملك[9]، ورفض الحجاج تناول

---

(١) الطبري، ج٦، ص٨٢.

(٢) الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٩، ٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٨٤.

(٥) القيرواني: زهرة الآداب، ج٢، ص٤٥٩. دار الجيل، بيروت، سنة ١٩٧٢.

(٦) القيرواني: زهرة الآداب، ج٤، ص٩٧٥.

(٧) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص٧٧.

(٨) أبوالفداء: المختصر في أخبار البشر، ج١، ٢٠٥، ٢٠٦ الكازروني: مختصر التاريخ، ص١٠٢.

(٩) المبرد: الكامل، ج١، ص٢٣٤. تجريد الأغاني للأصفهاني، ج١، ص١١٥. مختصر التاريخ، ص١٠٢.

الشراب مع الوليد بن عبد الملك[1].

ومما نقله العرب عن مجالس الفرس، طريقة صرف الندماء والجلاّس وقد اتخذ كل خليفة أسلوباً معيناً أو عملاً، فإذا قام به انصرف الحاضرون، فكان معاوية إذا أراد صرف من في المجلس قال "إذا شئتم" وابنه يزيد يقول "على بركة الله" أما عبد الملك فكانت معه خيزرانة فإذا وضعها في يده انصرفوا[2]

واقتبس العرب عن الفرس الستارة، لتحجبهم عن الندماء[3] وقد استعملها الفرس (منذ عهد أردشير حتى يزدجرد) ثم نقلها الأمويون[4].

وكان معظم خلفاء بني أمية تحجبهم الستارة (كمعاوية ومروان، وعبد الملك والوليد وسليمان، ومروان الثاني)[5]، أما من لم يستعملها فأولئك الذين كانوا يتصرفون بأفعال لا تليق بهم كخلفاء[6].

وقد كان لهذه المجالس نظم وتقاليد، يلتزم بها الجلساء والحضور كالانصراف التام بالفكر والذهن، وإظهار السرور[7]، فالجليس لا يمل طالما هو متابع محدثه وفاهم ما يعنيه[8].

كما عرف من آداب مجالس الخلفاء أن لا يبرح أحد مجلسه إلا لقضاء حاجة[9]، ومن حق صاحب السلطة إذا أنس بإنسان أن يؤانسه ويضاحكه ويهازله

(١) المبرد: الكامل، ج١، ص٣٣٤.
(٢) ابن عبد ربه:العقد الفريد، ج٢، ص٤.
(٣) الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص٣٥.
(٤) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص١٥٢. فارمر: تاريخ الموسيقى ص٨٣.
(٥) الجاحظ: التاج، ص٣٨.
(٦) التاج، ص٣٩.
(٧) المصدر نفسه، ص٦٢.
(٨) المصدر نفسه، ص٦٢.
(٩) المصدر نفسه، ص٣٠.

ويفضي إليه بسره، كما لا يجوز لأحد أن يرفع صوته بحضرته[1] وكانت المجالس فواحة بالطيب[2]، وعرف عدد من الخلفاء بحبهم لذلك.

أما مجالس الولاة، فقد كانت تختلف في مظهرها وجوهرها من وال إلى آخر، وإن كان معظمهم يحاولون أن يتشبهوا بخلفائهم، فزياد بن ابيه سار على أسلوب معاوية، فاتخذ الشرطة والحجاب[3]، والسرير والكراسي للجلوس، وكان يدخل الناس حسب مفهوم خاص لتصنيفهم، وكان يحل الخصومات بين المتنازعين[4]، إلا أن مجلسه كان يضم علية القوم من الأشراف والوجهاء، بينما الضعفاء لا يصلون إليه، وإن دخلوا عليه لا يمنحون فرصة الكلام، لأن الأشراف والوجهاء كانوا يستأثرون بالحديث مما دعاه لنقد مجلسه "ليس كلٌّ يصل إليّ، ولا كل من وصل إليّ أمكنه الكلام، فاستشفعوا لمن وراءكم، فإني من ورائكم أمنع أن أردت"[5].

وعلى الرغم مما عرف عن زياد أنه جاد، إلا أنه كان له نديم ماجن عرف بحارثة بن بدر[6]، وقد سار ابنه عبيد الله في اتخاذه نديماً مثله[7]، ولما عاتبه الناس في مرافقته دافع عن لباقته وكياسته وذوقه "كيف اطّراحي لرجل ما راكبني قط فمست ركبتي ركبته، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه، ولا تأخر عني فلويت إليه عنقي، ولا سألته عن شيء إلا وجدت علمه عنده"[8].

وضم مجلس الأمير بشير بن مروان أمير البصرة (٧٣هـ) الفنانين والأدباء،

---

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٧.
(٢) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٢٠٤ (روي عن عثمان وزع الطيب والعفير).
(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٢٣٢.
(٤) المصدر السابق، ص٢٣٥.
(٥) المصدر السابق، ص٢٣٢.
(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٣٣٣.
(٧) المصدر السابق والصفحة، المبرد: الكامل في اللغة ج٥، ص١٨٤.
(٨) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٨، ص٤٩.

فقد اجتمع في مجلسه حنين المغني، واستمتع فيه وأعجب به[1]، وزاره ابن سريج برفقة الأول فوصله بعشرة آلاف درهم[2]، وكان يحب اللهو والطرب، ومجالس الأنس، فقد دخل عليه الشعبي وهو لابس غلالة صفراء، وملاءة مصقولة، وعلى رأسه إكليل ريحان[3]، بينما جلس إلى يمينه عكرمة بن ربعي وإلى يساره خالد بن عتاب بن ورتاء، وكأنما شعربأن جلسته خاصة، وحالته لا تسمح فقال للشعبي: "لو كان غيرك، لم آذن له على هذه الحال"[4]، فقد استحى من الشعبي، ولكن لم يستح من خالقه.

أما مجلسه الأدبي، فقد جمع أمراء الشعر في عصر بني أمية في الهجاء، الفرزدق وجرير والأخطل، وحفل مجلسه بالمساجلات الأدبية والنقائض مما لم يجتمع لغيره، وقد حاول الإصلاح بين جرير والفرزدق، فقال لهما: "لقد بلغتما وقربت آجالكما، فلو أنكما اصطلحتما، وهب كل واحد منكما ذنبه" فما كان منهما إلا أن تسابا، فقال: عليكما لعنة الله، لا تصطلحان والله أبدا[5].

أما الحجاج، فعلى الرغم مما عرف عنه بالجد والعبوس[6] فقد كان مجلسه لا يخلو من الوفود، وقد وفدت عليه الشاعرة ليلى الأخيلية وسألها عن حبها القديم، وفيما إذا كانت بينها وبين "توبة ابن الحمير" ريبة، فأجابته بالنفي[7]

أما مجالس العامة، فقد تعددت مجالسهم في المساجد، الأسواق، والبيوت، وقد دار فيها مواضيع متعددة، وأحاديث شتى.

---

(١) ابن واصل الحموي: تجريد الأغاني للأصفهاني، ج١، ص٢٧٦.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧٨.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٧، ٢٧٨.

(٤) المصدر السابق والصفحات.

(٥) المصدر السابق، ج٦، ص٢١٦٢.

(٦) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص١٤٨.

(٧) تجريد الأغاني، ج٣، ص١٢٥٩.

ففي المساجد، كان يجتمع عامة الناس لقراءة القرآن وسماع التفسير، وكان أول من قام بها جعفر بن الحسن في مسجد البصرة[١]، واستغل المسجد لبحث شؤون الشرع، كما فعل ابراهيم التيمي، وعبدالله بن عمر الليثي وكان من جلسائهم عبدالله بن عمر[٢]

وكان هناك مجالس الأدب، كما كان يحدث في المربد بالبصرة[٣] حيث كان يجتمع الشعراء والأدباء فيقولون أشعارهم، وعنهم ينقل الرواة إلى باقي الأقاليم ممن يعنيهم الأمر.

وكان الناس يجتمعون في المناسبات كالموالد والأعراس[٤]، فينشدون يغنون بما يتناسب مع المناسبة، وقد عرف حنين بأنه بطة الأعراس[٥].

والترف غزا المجتمع الأموي في كل مكان، فقد ضم أحد المجالس في العقيق كل من الشعراء نصيب والأحوص وكثير، حيث وجدوا وصائف ورجلاً من الموالي ونساء برزن في استقبالهم، فأدخلوهم وأجلسوهم على كراسي موضوعة في صف واحد، ثم برزت لهم جارية فرحبت بهم، ثم غنت لهم شعراً لنصيب[٦].

ولم يكن حديث الأدب حكراً على الرجال بل تعداه إلى النساء، فقد شاهد نصيب ثلاث نساء يتحدثن في شؤون الأدب عن الشعر والشعراء، في المسجد الحرام، فتحدثت الأولى عن شعر جميل[٧]، والثانية عن شعر كثير عزة[٨] أما

---

(١) الجاحظ: البيان التبيين، ج٢، ١٠، دار الفكر، بيروت، سنة ١٩٦٨.
(٢) المصدر السابق، ص٩.
(٣) سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص٤٠٨.
(٤) تجريد الأغاني، ج١، ص٢٧٨.
(٥) المصدر السابق والصفحة.
(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٩٠٣.
(٧) تجريد الأغاني، ج١، ص١٢٨.
(٨) المصدر نفسه، ص١٢٩.

الثالثة فقد تحدثت عن شعر نصيب[1]، وقد أعجب بهن واعتبرهن من أفصح النساء[2] لدقة تعبيرهن وفهمهن للشعر.

وعُرفت مجالس للفكاهة والدعابة والطرفة، فقد اشتهر أكثر من ظريف يسلون الناس ويضحكونهم بمداعبتهم كالمولى أشعب[3] الذي ملأ الحجاز ملحاً ونوادر[4]، وسعيد الدرامي (في مكة) الذي اشتهر بالنوادر إلى جانب الشعر[5]، وابن المولى (من قباء) الشاعر الظريف[6] وغيرهم

وإذا كانت المجالس تدوالتها مواضيع شتى، إلا أن العباسيين والعلويين استغلوا المساجد والأسواق ومواسم الحج لبث دعوتهم، وذكر أفعال بني أمية[7] مما مهد لقيام الدولة العباسية.

المجالس الفنية في بلاط الخلفاء والولاة:

عرفت في العصر الأموي مجالس اجتماعية ذات صبغة خاصة، وهي المجالس الفنية في قصور الخلفاء والأغنياء، وكانت تناقش فيها الفنون والفكاهة الأدبية والغناء في معظم الأحيان، وقد رعى هذه المجالس الخلفاء ومن تشبه بهم، واهتم بالفن بشكل عام، وكان الاهتمام بذلك قد أثر في تشجيع الفن والفنانين، بحيث جعل الموسيقا مباحة، وكسب لها احترام الناس[8] واهتمام أصحاب الميول

---

(١) المصدر نفسه والصفحة،

(٢) المدر نفسه، ص٦٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠١. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج١، ص٤٧٠.

(٤) انظر ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص٤٧٢. تجريد الأغاني، ج١، ص١٠١. القيرواني: زهر الآداب، ج١، ص١٠١.

(٥) تجريد الأغاني، ج١، ص٣٢٩.

(٦) المصدر نفسه، ص٤١٨.

(٧) اليعقوبي، ج٢، ص٣٤٣. روى حميد بن عطية ذلك عن أبيه.

(٨) فارمر: تاريخ الموسيقى العربية، ص٦٢، مكتبة مصر، القاهرة سنة ١٩٥٦م.

والهوايات، مما أوجد منتديات فنية أشبه بمعاهد لتعليم الموسيقا والغناء[1].

ولما كانت الموسيقا محببة إلى النفس، لإدخالها السرور إلى قلوب المستمعين بلاجهد، فقد سمعها خلفاء بني أمية، وتعلق بها آخرون.

ويروى أن معاوية كان ينكر الموسيقا وسماع الأوتار، بينما كان عبدالله بن جعفر لا يرى في ذلك بأساً. ولما زار الخليفة عبدالله ابن جعفر طلب من المغني بديع أن يغني "يالبينى أوقدي النارا" فطرب معاوية وحرك رجله وضرب بها الأرض، ولما سأله ابن جعفر عن ذلك أجابه "إن الكريم لطروب"[2].

وسمع مرة في إحدى الليالي غناء وموسيقا عند ابنه يزيد ولما عرف أن المغني كان سائب خاثر، طلب منه أن يجزل له العطاء لحسن أدائه[3].

وأصيب معاوية بالأرق في إحدى الليالي فتوجه إلى مجلس عبدالله بن جعفر، فلم يجد أحداً في المجلس، فأخذ يسأل عن أصحابها، ولما وصل إلى مكان المغني أجابه "مجلس رجل يداوي الآذان يا أمير المؤمنين" فقال له معاوية: "إن أذني عليلة، فمره أن يرجع إلى مجلسه"، ولما حضر بديع المغني قال له معاوية: "داو أذني من علتها"[4].

وشاهد معاوية جارية في حجرها عود عند ابن جعفر، ولما سأله: ما هذا يا ابن جعفر؟ أجابه: هذه جارية أرويها رقيق الشعر، فتزيده حسناً بحسن نغمتها. قال: فلتقل، فحركت عودها وغنت[5].

---

(١) انظر: الحياة الثقافية/ الفن من ٢٠٤-٢١٩.

(٢) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٨٩.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، القسم ٤ ج١، ص٢٧ (عباس).
المبرد: الكامل ، ج١، ص٣٩٢.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص١٧.
الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٤٩.

(٥) ابن عبدربه: المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢٥.

أما يزيد بن معاوية فقد اشهر بحبه للغناء، استمع إليه في عهد والده، وكان يغدق على المغنين إذا أجادوا كما فعل مع سائب[1] وسمع عن جارية عند عبدالله بن جعفر مطوعة وموهوبة، فكتب له"إما أهديتها إليّ وإما بعتها بحلمك"[2]، وقد اعتبره الجاحظ رائد المستهترين من خلفاء بني أمية، حتى إمام الندماء والجواري[3]، وهو الذي طلب من الأخطل هجاء عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، ثم حماه وأثابه[4].

ومن أكثر خلفاء بني أمية شهرة في اللهو واللذات يزيد بن عبد الملك فإنه على الرغم من حكمه القصير (حكم أربع سنين وشهراً)[5]، فقد اقترن اسمه بمغنيتين: حبابة وسلامة، وقد شغف بهما حتى نسي أمر الرعية، فخصمه محبوه كمسلمة[6] فلم يرتدع، مما جعل المؤرخين يطلقون عليه "خليع بني أمية"[7] تارة، و "صاحب لهو وطرب"[8] تارة أخرى، وذلك لاستهتاره ومجونه، وقد تمادى في حبه لحبابة، فطلب أن يتركوه للذاته وخلوته[9]، ويبالغ المؤرخون في تصرفاته، ولعله أصابه بعض الحيف مما نسبوا إليه، فلم يدفنها أياماً بعد موتها[10]، وأماتوه أسفاً وحزناً عليها[11]، وما حبابة سوى جارية لا تستحق كل هذه المبالغة، فباستطاعته الحصول على أمثالها متى شاء.

---

(١) عبد الرحيم محمود: مجلة المقتطف، ابريل سنة ١٩٢٩، ص ٤٢٨.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٥١.

(٣) الجاحظ: التاج، ص٩.

(٤) تجريد الأغاني للأصفهاني، ج٤، ص١٥٨٠.

(٥) ابن قتيبة: المعارف، ص١٥٩.

(٦) ابن عبدربه: العقد الفريد، ج٧، ص٥٦ .

(٧) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص١٣١.

(٨) أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢١٣.

(٩) المبرد: الكامل، ج١، ص٣٨٩.

(١٠) الكازروني: مختصر التاريخ، ٩٨.

(١١) المصدر والصفحة.

وإذا كانت حبابة قد أخذت بمجامع قلبه، فقد وجدت إلى جانبها سلامة، التي عرفت بالغناء أيضاً في الحجاز، وشغف بها أحد النسّاك "عروة بن أدية"[1]، وقد فاقت سلامة زميلتها صوتها، بينما فاقتها الأخرى جمالاً وأدباً، فكانت من أحسن الناس وجهاً، أكملهم عقلاً، وأفضلهم أدباً، حافظة للقرآن، راوية للأشعار، تقدم الكلام المناسب في وقته، مما جعله يعجب بها ويفضلها على زميلتها سلامة.

وكان يزيد ممن لا يتحاشى التصرف بما لا يليق بمكانته، فكان لا يتحرج في الرقص أو العري[2]، كما ملأ فم نصيب جواهر لمدحه إياه[3].

وقد سار ابنه الوليد على نهج أبيه في حبه للفن والغناء، فكان بلاطه موئلاً للفنانين على الرغم من حكمه القصير (حكم سنة وشهرين)[4] فقد التقى في بلاطه عدد من المغنين كمعبد، ومالك بن أبي السمح، وابن عائشة، وأبو كامل غزيل الدمشقي، والزبير بن خالد بن صمامة[5]، ونالوا عنده خطوة وإكراماً كبيرين. وقد وصف بالجنون والسفه والشراب، كما عرف عنه عمل الألحان لبعض الأشعار[6]، مما جعل بعض الباحثين يرجع له الفضل في ارتقاء فن الغناء والموسيقا العربية[7]، ووصفه بعض المستشرقين بالخليفة الفنان[8] لممارسته الموسيقا تأليفاً وعزفاً إلى جانب تشجيع الآخرين.

---

(١) الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٤٨.
(٢) الجاحظ: التاج، ص٣٩.
(٣) تجريد الأغاني، ج١، ص١٣٦.
(٤) ابن قتيبة: المعارف، ص١٦٠.
(٥) المبرد: الكامل في اللغة، ج١، ص٣٨٩.
(٦) ابن قتيبة: المعارف، ص ١٦٠.
(٧) يوسف غوانمة: مجلة أفكار، فن الغناء والموسيقى عند العرب، العدد ٤٨، ص١٣٥.
(٨) فارمر: تاريخ الموسيقا العربية، ص٧٧.

ومن أحب الموسيقا سليمان بن عبدالله، وقد كان يأنس بسنان بن يأنس[1]، الذي غنى له، وسمعته مرة الذلفاء[2] فبكت مما جعل الخليفة يعرف علاقة الحب بينهما[3]، وإليه ينسب كراهيته للمخنثين وقد كتب إلى عامله بالمدينة بخصيهم[4]، وإلى جانب لك فقد زاره عدد من الشعراء وأكرمهم كالفرزدق ونصيب الذي نال إعجابه[5].

ويقال إن عمر بن عبد العزيز عندما كان والياً على المدينة، كان يسمع الغناء، ولكن لا يظهر منه إلا كل أمر جميل، فلم يخرج عن مقدار السرور، ولما أفضت إليه الخلافة لم يسمع حرف غناء إلى أن فارق الدنيا[6].

والمجالس الفنية لم تكن حكراً على الخلفاء، ولكنها وجدت طريقها إلى حياة عدد من الولاة بصورة مصغرة أحياناً، إلا أنها فاقتها في إعطاء الحرية للفنان وللمستمع، فترك على سجيته بعيداً عن الرسميات مما أدى إلى ازدهار هذا الفن وتقدمه ثم تفوقه.

وقد مر معنا مجالس بشر بن مروان، وما رافقها من فن وغناء، أسهم فيها حنين وغيره[7]، كما زار معبد قتيبة بن مسلم "والي خراسان" وكان قد فتح خمس مدن، فأخذ يفخر بذلك عند جلسائه، فما كان من معبد إلا أن قال مفتخراً بألحانه "والله لقد صنعت خمسة أصوات إنها لأكثر من الخمس المدائن التي فتحت[8]، وغنى طويس بين يدي ابن عثمان (والي المدينة في عهد معاوية) فما كان منه إلا

---

(١) الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٥٧.

(٢) الذلفاء: إحدى جواري سليمان بن عبد الملك وكانت من المفضلات لديه.

(٣) الجاحظ: المحاسن الأضداد، ص٢٢٨، مكتبة العرفان -بيروت، بلا تاريخ.

(٤) المصدر نفسه والصفحة.

(٥) تجريد الأغاني، ج١، ص١١٣.

(٦) الجاحظ: التاج، ص٢٩.

(٧) تجريد الأغاني، ج١، ص٢٧٧، ٢٧٨.

(٨) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٢٥.

أن صفق بيديه، ثم سار إليه واحتضنه وقبّل ما بين عينيه وقال: "يلومونني على طويس"[1].

وشاع الغناء في العهد الأموي وخاصة في الحجاز (مكة والمدينة) وسمعه الناس على اختلاف درجات ورعهم، ولعله لم يصل إلى درجة المنكر والحرام وإلا لما سمعه رجال نالوا الثقة عند رجال الدين كعروة بن أدّية (كان ثقة في الحديث بحيث روى عنه مالك بن أنس) الذي كان شاعراً مجيداً، ويصوغ ألحان الغناء لشعره "ثم ينسبها لغيره"[2]. وعرف القس عبد الملك عند أهل مكة بكثرة عبادته، وكان بمنزلة عطاء بن رباح في التقوى والورع، ومع هذا سمع غناء سلاّمة، ولاحظها ثم شغف بها[3].

كما عُرف عبدالله بن جعفر بتقواه وعبادته، ومع هذا كان عنده عدد من الجواري والموالي الذين يمارسون الغناء في مجالسه[4].

وسمع عبدالله بنُ عمر ابنَ محرز، وأعجب به[5]، ورأى عوداً في حجر جارية عند أبي جعفر، ولما سأله عنه أجاب ابن عمر "هذا ميزان رومي" فضحك ابن جعفر وقال: "صدقت هذا ميزان يوزن به الكلام"[6]، كما استمتع صفيد بن أبي بكر معاذ المغني[7].

وعلى الرغم من ذلك كله فلم تكن مجالس الأنس والطرب محببة عند جميع المسلمين، فقد كرهها البعض بسبب ما كان يحدث فيها من استهتار وتصرفات

---

(١) المصدر السابق، ص١٢.
(٢) الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٤٨.
(٣) المصدر السابق، ص١٤٩.
(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص١٠.
(٥) المصدر السابق والصفحة.
(٦) المصدر السابق والصفحة.
(٧) المصدر السابق، ص١٨.

تبعد صاحبها عن السلوك المستقيم، كما تبعد المستمع لحظات استماعه وتَفْصِلُهُ -ولو قليلاً- عن الله.

ومما سبق يمكن أن نخلص إلى أن المجتمع الأموي قد عرف بتأثير الموالي فيه، كنظام الحجابة، واتخاذ الندماء، وآداب المجالس، بالإضافة لمعرفتهم بالكراسي والأسرة والستارة.

ب- المرأة في المجتمع الأموي:

نظّم الإسلام وكما يبدو المجتمع العربي تنظيماً معيناً[1]، لا مجال لذكره، أقر فيه للمرأة أهليتها في الحقوق المدنية والمالية، من أرث وهبة وصية وتملك وتعاقد وكسب دون أن يرتبط ذلك بموافقة الرجال وكذلك في التكالف العامة من زكاة وحج وصوم، ومنحها الحرية في أمور الزواج والبيع والإرث، وبذلك كرّمها بنتاً وزوجاً وأماً[2].

وقد وعت النساء المؤمنات هذا التكريم، فضربن الأمثلة الرائعة في التضحية، فشاركت أم عمارة، ونسيبة المازنية، وصفية بنت عبد المطلب، الرسول في غزواته، ونافست المرأة الرجل في العلم، فروت عائشة بنت أبي بكر الحديث والشعر والأدب والتاريخ[3].

وقامت أردة بنت الحارث بن كلدة "بحيلة عسكرية" استطاعت خداع الفرس بوهمهم بوصول المدد للمسلمين في معركة حيسان (١٤هـ). فقد عقدت خمارها على شكل لواء (وكذلك من معها)، وخرجن يردن المسلمين فظن الفرس أن المساعدة قد وصلت للمسلمين، فولوا مدبرين[4].

---

(١) صبحي الصالح: النظم الإسلامية، ص٤٤١، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة٢، سنة ١٩٦٨.

(٢) أنور الجندي: الإسلام وحركة التاريخ، ص٣٨. مطبعة الرسالة، القاهرة، سنة ١٩٦٨.

(٣) عبد الله عفيفي: المرأة العربية في ظلال الإسلام، ص٤٣. دار الكتاب العربي، بيروت، بلا تاريخ.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٣، ص٥٩٦.

وجاء العهد الأموي، وظلت المرأة العربية تتمتع بالميزات السابقة على الرغم من تسرب الجواري والإماء، فأعفيت المرأة غير المسلمة من الجزية[1]، كما لا تدفع سوى الخراج إذا ملكت أرض الخراج[2].

واستمرت المرأة العربية في هذه الفترة تزاحم الرجال في الثقافة إلى جانب تربية الأبناء للآداب العامة والاجتماعية وأسرار اللغة[3] فظهر عدد منهن كصاحبات مجالس وندوات فكرية، مثل سكينة بنت الحسين التي امتازت بالأصالة والذوق[4] والحس الأدبي في النقد[5] وقد أقرّ لها عصرها بما لم يقره لسيدة غيرها بالسيطرة الأدبية، فقد حكّمت بين جرير والفرزدق وكُثّير، فأنكرت على الفرزدق إفشاء سر صاحبته، وأثنت على جرير عفة شعره، وأعجبت بدقة التعبير عند كُثير[6]. كما قالت الشعر، فقد رثت زوجها مصعب بن الزبير[7]، هذا إلى جانب خفة روحها، حيث نقل عنها بعض الطرائف[8].

وسارت عائشة بنت طلحة تقتفي خطوات سكينة في نقد الشعر والرواة والأدباء[9]، فنقدت شعر كُثير[10] وشعر النميري[11]، وقد كانت واسعة العلوم، فقد زارت هشام بن عبد الملك، فبعث في طلب مشايخ بني أمية ليسمروا عنده، ولما

---

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص١٤٤. دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٧٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٢٨.

(٣) أنور الجندي: الإسلام وحركة التاريخ، ٤٧٤.

(٤) بنت الشاطئ: سكينة بن الحسين، ص١٧٣. دار الهلال، القاهرة، بلا تاريخ.

(٥) حتي: تاريخ العرب المطول، ج١، ص٣٠٦.

(٦) تجريد الأغاني، ج٣، ص٨٩٠، ٨٩١.
عفيفي: المرأة العربية، ص١٥٠.

(٧) القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب، ج١، ص١٠٢.

(٨) تجريد الأغاني، ج٤، ص١٦٦١.

(٩) تجريد الأغاني ج٢، ص٧٥٩ ، ٧٦٠. عفيفي: المرأة العربية ص١٥٠.

(١٠) تجريد الأغاني، ج٣، ص٩١٥، ٩١٦.

(١١) المصدر السابق، ج٢، ص٧٥٩، ٧٦٠.

تذاكروا أشعار العرب وأيامهم، كانت عائشة تسهم بنصيب وافر[1].

وهناك عدد آخر من النساء ممن أثبتن حضورهن في الساحة الأدبية كالشاعرة صفية بنت هشام المتقربة التي رثت ابن عمها الأحنف بن قيس[2]، وسودة بن عمار الهمذانية التي قالت العشر في صفين[3] والزرقاء بن عدي الكوفية التي كانت تنشد يوم صفين لإثارة حماس المقاتلين[4]، وكلثوم بنت علي التي رثت الحسين بكلمة بلغية[5]، وجروة بنت غالب التي كانت عالمة بالأنساب وخاصة قومها بني تميم، وبني حنظلة وبني مالك[6]، كما لا نستطيع أن نغفل الشاعرة عاتكة بنت زيد بن عمر بن نفيل التي تزوجت أربعة، أولهم عبدالله بن أبي بكر، وآخرهم الحسين بن علي، فرثت الأربعة[7].

وإذا ذكر الشعر والمرأة العربية في هذا العهد فلا يمكن أن نتجاهل ليلى الأخيلية، التي كانت من النساء المقدمات في الشعر[8].

هذا إلى جانب عدد من النساء العربيات اللائي كن يقلن الشعر ولا يكثرن هند بنت أسماء التي تزوجها الحجاج ثم طلقها بسبب قولها فيه الشعر[9].

---

(١) المصدر السابق ،ج٣، ص١٢٥٧.

(٢) عفيفي: المرأة العربية في ظلال الإسلام، ص١٧٩.

(٣) المرجع السابق، ص١٦١.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٨.

(٥) المرجع السابق، ص١٥٩.

(٦) عبد الله عفيفي: المرأة العربية في ظلال الإسلام، ص١٧١.

(٧) تجريد الأغاني، ج٥، ص١٨٥٥-١٩٥٠.

(٨) تجريد الأغاني، ج٣، ص ٢٠٨٥.

(٩) تجريد الأغاني، ج٥، ص٢٩٨٥.

الجاحظ: المحاسن الأضداد، ص١٩٠، ١٩١.

الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٥٢، ٥٤.

وما هند إلا مهرة عربية ... سليلة أفراس تحللها بغل

فإن ولدت فحلاً فلله درها ... وإن ولدت بغلاً فجاء به البغل

وطالما أن هناك عدداً من النساء كن يتظمن الشعر، فقد كان هناك عدد آخر ينقدنه، كتلك النسوة الثلاث اللائي نقدن الشعر في الحرم[1] وعمرة (زوج أبي دهبل) التي كان يجتمع إليها الرجال للمحادثة بهذا الشأن، وكان أبو دهبل لا يفارق مجلسها قبل الزواج وبعده[2].

واشتهر في هذا العهد بعض النساء بالزهد والتصوف، رابعة العدوية البصرية، التي ذاعت شهرتها في هذا المجال جداً جعلها تحتل مكانة دينية مرموقة[3].

وعندم تذكر شجاعة المرأة في هذا العهد، فلا بد من ذكر عدد من نساء العرب اللائي كن يشاركن أزواجهن في الحرب، وبخاصة نساء الخوارج، ولعل غزالة (زوج شبيب بن يزيد الخارجي وأمه) قد ضربتا خير الأمثلة في الشجاعة حينما قاتلتا ضد الحجاج وأبلتا في ذلك، حتى ولى الحجاج هارباً من الكوفة (٧٦هـ)[4]، كذلك هند بنت المهلب التي عرفت بالفصاحة إلى جانب الشجاعة[5].

واشتهرت المرأة العربية بالعفة، فكان العرب يتفاخرون بذلك، فكانت النساء تجتمع إلى الرجال في المجالس والأندية بغير ريبة، لأنها (أي العفة) كانت غالبة على طباعهن، ولكنهن بتأثير الموالي "الإماء والجواري" على المجتمع أصابها بنكسة في العهد الأموي، مما دعا خالد القسري أمير مكة في خلافة السليمان بن عبدالملك أن يقوم بالتفريق بين الرجال والنساء في الطواف، لسماعه شعراً عن

---

(١) الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص١٢٨، ١٢٩.
(٢) تجريد الأغاني، ج٢، ص٨٢١.
(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٨.
(٤) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٢٧٤.
(٥) عفيفي: المرأة العربية، ص١٧٢.

مزاحمة النساء للرجال عند الحجر الأسود داخل الكعبة[1].

كما نقل العرب عن الفرس الحجاب، وهو المبالغة في غطاء الجسم بحيث لا يظهر أي جزء من جسم المرأة لغير زوجها بما في ذلك الأب والأخ والحمو والسلف[2]، علماً بأن الإسلام دعا إلى ستر العورة عن الغرباء، وقد قام الموالي بنشره بنتيجة الفتح لوقوع الكثير من بنات الأحرار في فارس وغيرها بين أيدي الفاتحين[3]، وتوزيعهن في المدن، كما اقْتُنِيَ عدد كبير منهن في قصور الخلفاء[4] وعامة الشعب.

وقد انقسم الناس بالنسبة للزواج من الإماء بين راغب فيه وكاره له. وتعددت الأقوال فيه، فقد قيل "الجواري كخبز السوق، والحرائر كخبز الدور" و "لا تمازح أمة ولا تبك على أمة" و "لا تفترش من تداولتها أيدي النخاسين، ووقع ثمنها في الموازين"[5].

أما الراغبون في الزواج من الإماء، فقد أكثروا من ذكر الحسنات والترغيب فيهن، كقولهم "من أراد قلة المؤونة، وخفة النفقة، وحسن الخدمة، وارتفاع

---

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص١٨٤.
القالي: الأمالي، ج٢، ص١٠، المكتب الإسلامي، بيروت، بلا تاريخ "شوهد فتى من قريش يكلم جارية في الطواف الأمالي:

ياحبذا الموسم من موقف	وحبذا الكعبة من مسجد
وحبذا اللائي تزاحمننا	عند استلام الحجر الأسود

(٢) نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق والقديم، ج٦، ص ٤١٠، دار المعارف، القاهرة، طبعة ثانية، سنة ١٩٧٠ "عرفت عادة الحجاب منذ عهد داريوس".
الخربوطلي: تاريخ العراق، ص٣٣١، دار المعارف، سنة ١٩٥٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٦٨. الدينوري: الأخبار الطوال ص١٢٩.

(٤) القلقشندي: مآثر الأنافة، ج١، ص١٢٣. (تزوج الوليد ابن عبد الملك ٦٣ امرأة). السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٩١. (أحصن الحسن بن علي تسعين امرأة).

(٥) الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص٢٠٠.

الحشمة، فعليه بالإماء دون الحرائر"[1]، "عجبت لمن استمتع بالسراري كيف يتزوج بالمهائر".

وتفرع عن نظام الجواري التسري وهو اقتناء الجواري للتمتع بهن، وقد كانت السريّة أحط منزلة من الزوجة، كما كان ابناؤهن يلاقون عدم تقديرالعرب، بل قد يصل إلى احتقارهم[2]، وفي مجتمع كثر التسري فيه ليس عجباً أن نرى بعض العادات السيئة كالزنا[3]، ما ارتبط به من القوادات اللائي يجمعن بين الرجال والنساء على الفواحش[4]، والإدمان على الشراب[5]، مما يؤدي إلى تدنٍ في مكانة المرأة الاجتماعية.

وقد ارتقت بعض الجواري إلى مكانة مرموقة، فأكرمت غاية الإكرام في خراسان في عهد يزيد بن المهلب[6]، ولما كان التزين هي اللمسات لإظاهر مفاتنها وجمالها فقد بالغت الجواري فيه، وقلدتها المرأة العربية في ذلك، هذه الحقيقة، فكانت تخرج في الأعياد بعد أن تتزين وتظهر للرجال في هذه المناسبات[7]. كما عرف عن بعض متفتيات مكة (مراهقات) حبهن التنزه والخلو بالرجال[8]، وكانت المرأة لا ترى غضاضة في ذكر محاسنها وجمالها، فقد أعجبت عاتكة بنت معاوية بشعر أبي دجيل الذي قيل فيها فبعثت له بكسوة[9]، كما كان عبد العزيز ابن

(١) المصدر نفسه، ص٢٩٩.
(٢) الخربوطلي: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص٣٢٢.
(٣) الجاحظ: المحاسن الأضداد، ص٢٧٠.
(٤) تجريد الأغاني، ج٦، ص٢٣٩٣.
(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص١٧٠٥.
(٦) الطبري: تاريخ،ج٦، ص٥٢٨ (روي أنه أعطى لجارية من جواريه سهم ألف رجل).
(٧) تجريد الأغاني، ج٣، ص٩٠٣.
(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٠.
(٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٣٣.

مروان يكرم الشعراء الذين يمدحون أمه ليلى الكلبية[١].

ولكن هذا المدح كثيراً ما كان يخرج عن حدود الأدب فيصل إلى حد التشبيب كما فعل عمر بن أبي ربيعة، وابن أبي عتيق ونصيب والأحوص[٢] والعرب لا يشببون بغير خطيباتهم، وإلا منعوه الزواج منها[٣].

والزواج يبدأ عادة بالخطبة[٤]، ثم المهر وهو يختلف حسب مكانة الفرد ومركزه الاجتماعي، فقد يكون بسيطاً، وقد يصل إلى رقم خيالي فقد أمهر مصعب بن الزبير كلا من سكينة بنت الحسين، وعائشة بنت طلحة مليون درهم[٥]، والحجاج أمهر أم كلثوم ابنة عبد الله بن جعفر مليون درهم في السرّ ونصف مليون في العلانية[٦]، أما الخلفاء وإخوانهم فحدث ولا حرج، فقد اشترى سعيد بن عبدالملك الذلفاء بمليون درهم[٧].

أما عامة الناس، فكانوا يتزوجون بأقل المهور، كل حسب قدرته وطاقته، نقداً أو عيناً من جمال وشياه، فقد تزوج الفرزدق حدراء بنت ريق بن بطام على مئة من الإبل[٨]، بينما تزوج رجل آخر بثلاثين شاه[٩]، وزوج معاوية بن أبي سفيان

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١١٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٤٨.

(٤) الجاحظ: المحاسن الأضداد، ص١٧٧.
وجد خاطبات يقمن بهذا العمل أحياناً.

(٥) ابن واصل الحموي: تجريد الأغاني للأصفهاني، ج١، ص٤٤١.

(٦) المصدر السابق، ج٥، ص٢٠٨٥ (وزرسل الحجاج بثلاثين غلاما مع كل غلام عشرة آلاف درهم، وثلاثون جارية مع كل جارية تخت ثياب).
الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص٢٢٠.

(٧) تجريد الأغاني، ج٣، ص٥٥٥، ٥٥٦. وج٤، ص١٥٨١. (اشترى يزيد حبابة بأربعة آلاف دينار).

(٨) المصدر السابق، ج٣، ص١٠٨٠.

(٩) الجاحظ: الحيوان ج٣، ص٤٤١. مكتبة النوري – دمشق، والكتاب اللبناني، بيروت سنة ١٩٦٨.

الشاعر أبا دهبل إحدى بنات عمه وأصدقها ألفي دينار[1]، علماً أن النبي عليه السلام قال "أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة"[2].

ومن طرائف ما يذكر أن الحجاج استعد بدفع صداق من لم تعجبه زوجته[3]، وأن زياد بن أبيه، وابنه عبدالله كانا يفصلان في الخصومة بين الأزواج[4].

والزواج لدى العربي على جانب من الأهمية لما يقرنه بالحسب والنسب، فقد كان الواحد أقصى ما يتمناه الزواج من قريشية هاشمية كما فعل الحجاج، فقد خطب كلثوم ابنة عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ولما علم عبد الملك غضب لذلك واعتبر عمل الحجاج مجاوزة لحدوده، فحال دونه[5].

وعرف في هذه الحقبة زواج المصلحة، وهو زواج المسؤولين من القبائل لكسب تأييدهم وولائهم، فقد تزوج معاوية بميسون الكلبية، واقتدى به عدد من الخلفاء والولاة، فحرص الحجاج على الزواج من اليمن ومصر[6]، كما زوج ابنه محمداً من ميمونة ابنة محمد بن الأشعث بن قيس الكندي لاستمالة أهلها وقومها إلى مصفاته ليكونوا له يداً على ما ناوأه[7] إلى جانب جمالها وفضلها.

وقد تطور المجتمع العربي في العصر الأموي نتيجة تأثر العرب بالتقدم الحضاري الذي كان سائداً في البلاد المفتوحة، ويهمنا في هذا المجال مقدار ما أصاب المرأة من حب في اقتناء أنواع جديدة من الحلي والزينة، وكيف نما

---

(١) تجريد الأغاني، ج٢ص٨٣٧.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١٠، ص٧١.

(٣) الجاحظ: المحاسن الأضداد، ص٧٥.

(٤) المصدر السابق، ص١٨٢.

(٥) ابن واصل الحموي: تجريد الأغاني، ج٤، ص١٥٦٣، ١٥٦٤.
الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص٢٢٠.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص١٥٩.

(٧) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢، ص٣٦.

نوقها، فاستمالها كل ما هو جميل، وقد بلغ من شغفها أنها تتخذ حلياً خاصاً لكل موضع من جسمها[١].

وقد عرفت المرأة في هذا العصر تنظيم شعرها على شكل ضفائر متنوعة، فمنها على شكل نظم الودع المنضور، إلا أنها تفننت في إيجاد تسريحات جديدة كالعقاص[٢] والكعكبية[٣] (في أربع ضفائر) والعثاكيل[٤] والطرة (وهي تسريحة على شكل التون)، وقد عرفت سكينة بنت الحسين بهذه التسريحة حتى نسبت إليها[٥].

وامتازت هذه التسريحات، بأنها تغطي الرأس أو الجزء العلوي بشكل تام مع بروز جانبيه[٦].

وقد استعمل المغنون والمغنيات الشعور المستعارة، فجملية كانت تلبس وقـــرة[٧]، كما كانت تضع على رؤوس جواريها شعوراً مدلاة كالعناقيد إلى أعجازهن.

---

(١) علي ابراهيم حسن: نساء لهن نصيب في التاريخ، ص١٢٥، مكتبة النهضة، القاهرة، طبعة٢، سنة ١٩٦٣.

(٢) العقص: شكل رمانة المعجم الوسيط، ج٢، ص٦٢١.

زكية عمر العلي: التزين والحلي عند المرأة، ص٣٨، دار الحرية بغداد، سنة ١٩٧٦.

(٣) قال سويدين كراع:

وتصبح تذري الكعكبية قاعداً ... يُنتض من ليتك ما كان أزغبا

(٤) قال امرؤ القيس

وفرع يزين المتن أسود فاحم ... أثيث كقنو النخلة المتعثكل

(تسريحة على شكل قطف البلح).

(٥) علي ابراهيم حسن: نساء لهن نصيب، ص١٢٩.

(٦) انظر: زكية عمر العلي: التزين والحلي عند المرأة، ص١١٥.

(٧) الأغاني: ج٨، ص٢٢٦.

ولو تفحصنا التماثيل الجبصيّة المكتشفة في خربة المفجر "قصر هشام لرأينا شعوراً مختلفة معمولة على شكل لفائف صغيرة متجاورة أو على شكل دوائر متلاصقة مثقوبة في الوسط[1] كما أن بعضها حلزونية الشكل[2].

وإذا كان الساسانيون قد عرفوا العصائب المكللة بالجواهر، والأشرطة المغطاة بالأحجار الكريمة[3]، فإننا نرى تأثير ذلك واضحاً في الرسوم الجدارية والتحف المعدنية الحافلة بالعديد من الرسوم النسائية المتميزة بالعصائب، فإذا دققنا النظر في الرسوم الجدارية التي "كانت" تزين صدر القاعة الرئيسية في قصر عمرة، والمتمثلة في رسم امرأتين متماسكتين بالأيدي، وتعلو رأسيهما عصابتان على شكل إكليل غار، وكذلك تماثيل السيدات المكتشفة في خربة المفجر المعصّبات على الرؤوس، إذا اعتبرنا تلك الحبال الغليظة المزدوجة أو الثلاثية النتائة المنتهية في بؤرة سداسية الفصوص في مقدمة الرأس، والتي تزين رؤوس التماثيل عصابة[4].

وقد استعملت الجواري في هذا العهد العصابات، وكتبن عليهن أبياتاً من الشعر، وكذلك على الطرة القلانس والمراوح[5]

وعرف هذا العصر الأقراط بأنواعها، وما يعلق بالأذن وعرف منه الشنّوق[6] والقرط[7]. ولم يكن الشنّوق مقتصراً على النساء فقط بل تعداه إلى الرجال الأحرار، وإن كانت المصورات الساسانية تكثر من الإقراط كمانجد في غالبية

---

(١) Hamilton: Khirbat Al-Mafqar, PI. XXXV, 3. Oxford

(٢) Ibid. 4.

(٣) Chirshman: Iran, parthinian & Sassanian, Fig 255.

(٤) Hamilton: Khirbat Al- Mafqar, p1 IVI 4.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٨، ص١١٦.

(٦) الثعالبي: فقه اللغة ص١٥٩. (الشنّوق) هو ما يعلق في الأذن.

(٧) القرط: ما يعلق في أسفل الأذن.

تماثيل الملوك الساسانيين الممثلة على المسكوكات[1]، ولذلك نجد تأثيرهم واضحاً في هذا المضمار في التماثيل النسائية المكتشفة في قرية المفجر التي تشبه أقراط المصورات الساسانية مع المبالغة في حجوم الأقراط مع وجود التشابه في حبات الأقراط المخروطية المستعملة على النمط الساسانيين.

ونجد تأثيراً اخر للموالي ألا وهو القلائد[2]، فالمعروف أن ملوك الساسانيين كانوا يتحلون بها وبأكثر من واحدة[3]، فانتشرت القلائد المتنوعة ومنها المخنّقة التي تلتصق بالرقبة، وقد تكون من الأحجار الكريمة أو الخرز، كما هو في رسم لسيدة ضمن لوحة قصر عمرة[4]، أو على شكل ورقة نباتية تشد بشريط على الرقبة كما هو واضح لسيدة أخرى في نفس القصر[5].

وإذا كان أصحاب الغنى يتحلون بالقلائد المكونة من الجواهر والذهب واللؤلؤ، فالناس البسطاء صنعوا عقوداً تتناسب مع قدراتهم، فبثينة (صاحبة جميل) اتخذت قلادة بلح واسطتها تفاحة[6].

وإلى جاب القلائد عرفت الأطواق[7] التي كانت تتخذ من الذهب المزين بالجوهر، وقد أهدى معاوية بن أبي سفيان عائشة (أم المؤمنين) طوقاً من الذهب باعته بمائة ألف دينار وقسمته على أزواج النبي[8] وهناك في قصرة عمره (وغيره)

---

(١) Hamilton, Khirbat Al- Mafqar, P1, IV1, 4.

(٢) الثعالبي: فقه اللغة، ص١٥٩ (القلائد) هي كل ما يجعل في العنق.

(٣) زكية العلي: التزين والحلي عند المرأة، ص١٦٧. هناك تمثال في المتحف العراقي.

(٤) Musil: Kusayr Amra, Vo1, P1. XV.

(٥) Ibid: P1. XV111

(٦) الأغاني: ج٦، ص١٤٦.

(٧) الفيروزبادي: القاموس المحيط، ج٢، ص٢٢٨: الطوق: حلية مستديرة تحيط بالعنق.

(٨) الأبشيهي: المستظرف، ص٢٨.

من القصور الأموية مخلفات فنية لصور نسائية يتحلين بأطواق بسيطة في مظهرها(1).

ومما تزينت به المرأة في وسطها البريم(2)، وهو على شكل عقد قد يكون من الجواهر، أو الكافور، أوالعنبر أو القرنفل، أو خرز الذهب، وقد أعجب به شعراء العصر الأموي، فذكر في شعرهم(3)، كما في مخلفات قصر عمرة لسيدة ضمن الرسوم(4). وعُرف نوع آخر باسم السخاب كان يطعمّ بالدر والعنبر ذكره الشعراء(5) ووجد في تماثيل النساء الجصة المكتشفة في خربة المفجر(6)، كما تحلت المرأة أيضاً بالوشاح(7)،، وكان يرصع بالجوهر ويشد منْ على صدرها إلى عاتقي المرأة وكشحها.

وهكذا عرف العرب البسطاء الحلي من الذهب والؤلؤ والياقوت والمرجان والعقيق والزبرجد(8)، نتيجة تأثرهم بالموالي، فاستخدمت هذه الأحجار الكريمة في

---

(١) Musil: A. Kusayr Amra, Vol, 11. P1 XX

(٢) البريم: خيطان مختلفان (أبيض وأسود) تشده المرأة على وسطها قاموس المحيط، ج٤، ص٨٠.

(٣) قال عمر بن أبي ربيعة

نبهت بدر حليها ووشاحها ... ويرسمها وسوارها فالدبلخ

بعيني مهاة يحدر الدمع منهما ... يريك بريماً من دموع وأثمد

أثمد: حجر يتخذ منه الكحل، وقيل: ضرب من الكحل، وقيل هو الكحل.

لسان العرب مادة (ثمد).

ديوان عمر بن أبي ربيعة، ج١، ص٧٠٤.

(٤) Musil, A. Kusayr Amra, Vol, 11. XX.

(٥) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ج١، ص١٧١.

لقد كان حتفي يوم بانوا بجؤذر ... عليه سخاب فيه در وعنبر

(٦) Hamilton: Khirbat Al- Mafqar. P1. L.V.2.

(٧) الوشاح: نظمات من اللؤلؤ والجوهر يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر. القاموس المحيط، ج١، ص٢٦٤.

(٨) الجاحظ: التصير بالتجارة، ص١١، ١٦. المطبعة الرحمانية، القاهرة، طبعة ٢، سنة ١٩٣٥.

الحلي الإسلامية، وتهاداها الولاة والخلفاء، فقد أهدى يوسف بن عمر الخليفة هشام بن عبد الملك ياقوتة وحبة لؤلؤ[١].

وتزينت المرأة والرجل بالخواتم، إلا أن الظاهرة اللافتة للنظر كثرة الخواتم، فكانت المرأة تتختم في أكثر من إصبع واحد[٢] في يديها ورجليها[٣].

ومما تحلت به المرأة في معصمها الإسْورة، وتسمت بأسماء متعددة كالجبيرة[٤]، إذا وضعت بالساعد لكبرها، والوقف إذا كانت مصنوعة من العاج[٥]، والقلب إذا كان من الفضة[٦]، والبارقة[٧]، كما ذكرت لدى الشعراء[٨]، فقد وجدت في الرسومات الجدارية الأموية أنواع من الأساور البسيطة التي لا زخرفة ظاهرة عليها في قصر عمرة[٩].

أما إذا كانت الأسورة للعضد فعرفت بالدملج[١٠]، وقد أهدت سكينة بنت الحسين ابن سريج دملجاً، وأخرى لعزّة الميلاء[١١]، كما نجد ذلك واضحاً في الرسوم الجدارية في قصري عمرة[١٢] والمفجر[١٣].

---

(١) الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص٢٨.

(٢) جبور: عمر بن أبي ربيعة، ج٢، ص٣٣، الجامعة الأمريكية بيروت، سنة ١٩٣٥.

(٣) علي ابراهيم حسن: نساء لهن نصيب في التاريخ، ص١٢٥.

(٤) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج٣، ص٢١٢.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص١٤٥، القلب: سوار المرأة.

(٦) الجبيرة: إسورة توضع بالساعد. الثعالبي: فقه اللغة، ص١٥٩.

(٧) البارق: نوع من الأساور.

(٨) عمر بن أبي ربيعة: ديوانه ج٢. ص٢٣٧.

تعلق هذا القلب للحب معلقاً غلالاً تحلى عقد در وبارقا

(٩) Musil, A. Kusayr Amra, Vo1. 11. P1. XXIV

(١٠) الثعالبي: فقه اللغة، ص١٥٩. الدملج: حلي للعضد.

(١١) الأغاني: ج١، ص٢٥٥.

(١٢) Musil, A. Ibid, vo1. 11, p1. XXXIV

(١٣) Hamitlton, R.w. Khirbat Al- Mafjar, p1. XXXV.

ونالت رجل المرأة نصيبها من الزينة، فعرف الخلخال[1]، المصنوع من الذهب والفضة، فذكر في الشعركما وجدفي الرسوم الجدارية، حيث نجد نماذج من الخلاخيل البسيطة في قصر عمرة[2]، كذلك في التماثيل الجبصية في خربة المفجر[3].

وحظي الوجه بعناية فائقة في هذا العهد، فقد عرف الكحل بأنه أزين الزينة للعين[4]، كما دققت الحواجب[5] ، وسمي التزجيج[6] كان مارست المرأة الحف وأسمته التنمص[7].

ولقي الشعر حظه، من العناية أيضاً، فعرفت عدة أنواع من الأصباغ التي منحته اللون الأحمر حيناً، أو الأسود، أو الأصفر[8] أحياناً أخرى، فعرف الخضاب للحمرة[9] أو للسواد[10] كما استعمل الزعفران للصفرة. ومن الطريف أنه كان أحد مطالب الصلح في بلاد فارس تقديم أربعمائة وقر زعفران للمسلمين[11].

---

(١) الخلخال: هو ما يلبس في الساق. فقه اللغة، ص١٥٩.

(٢) Musil: Ibid, Vol 11 P1 XX.

(٣) Hamilton, Ibid 1p1. L.V 19.

(٤) لقد حث الرسول عليه السلام على الكحل (عليكم بالأثمد فإنه يجلو البصر) كما عرف عنه كثرة التكحل. ابن سعد: الطبقات، ج١، قسم ٢، ص١٧٠.

(٥) الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٥٦.

(٦) ابن منظور: لسان العرب، ج٢ ص١١.

(٧) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج٢، ص٣٣٢:

التنمص: إزالة الشعر من الوجه.

ديوان عمر بن أبي ربيعة ج٢، ص٥٥٣:

وجبين وحاجب لم يصبه ... نتف خط كأنه خط نون

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، قسم١، ص١٤٠:

قال عليه السلام "إن أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم".

(٩) القلقشندي: مآثر الأنافة في معالم الخلافة، ج١، ص١١١.

(١٠) المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٢٦٧.

(١١) البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٧١.

وإلى جانب صبغ الشعر، استعملت النساء الموسرات أصباغاً تكسب وجوههن الحمرة والإشراق، وعرفت اللآلئ يستعملن هذا الخليط بالعواتك(١).

ولما كانت المرة تهتم برضى الرجل سواء أكان زوجها أوغير ذلك وكان العربي معرفاً بالفراسة(٢)، كان لا بد أن تهتم المرأة اهتماماً زائداً بالطيب حتى لا ينفر منها زوجها، فقد عرفت أنواع متعددة من الروائح كالمسك(٣) (المعربة عن الفارسية)، التي سماها العرب الشموم(٤)، والعنبر المتعدد الأنواع(٥).

أما لباس المرأة فقد كان في بادئ الأمر محتشماً يتناسب مع طبيعتها وتقاليدها، فلبست الرداء والخمار والدرع والأزار(٦)، كما لبست ملابس خاصة في البيت لتظهر فيها أمام بعلها، إلا أن ريح التغيير هبت عليها فتأثرت بالجواري، فلبست الطيلس الأزرق(٧) والديباج الكستري والخز السوسي(٨)، حتى قال عطاء بن أبي رياح:

---

(١) الفيروز أبادي: القاموس المحيط ج٣، ص٣٢٢.
العواتك: جمع عاتكة وهي المرأة المحمرة.

(٢) رأى أحدهم امرأة من نمير فقال: والله إنها لرسخاء "أي شديدة العرق".
عرف النبي الطيب روي عنه أنه قال "أطيب الطيب المسك".
الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص٢٨.
روي عنه أنه قال لعائشة "مالي أراك شعثاء مرهاء سلتاء".
ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٢١٨.
شعثاء: لا تدّهن. مرهاء: لا تكتحل. سلتاء: لا تتطيب.

(٣) المسك: كلمة فارسيةمعربة. محمد موسى هنداوي: المعجم في اللغة الفارسية، ص٢٠١. سنة ١٩٥٣.

(٤) الفيروزأبادي: القاموس المحيط، ج٤، ص١٣٨ الشموم: المسك.

(٥) الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص١٦، ١٧. انظر ديوان ابن أبي ربيعة ج١، ص١٠٤.

(٦) ابن واصل الحموي: تجريد الأغاني، ج٤، ص١٧٧٧.

(٧) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص١٥٧.

(٨) المسعودي:مروج الذهب، ج١، ص٢٥٩. انظر ديوان عمر ابن ابي ربيعة، ج١، ص٥٦.

أماطت كساء الخزّعن حرّ وجهها وأدنت على الخدين برداً مهلهلاً[1]

ومما اقتبسته المرأة العربية الملابس الداخليةالرقيقة الشفافة التي عرفت بالبدنة[2].

وقد وصف أبو زيد الأسدي ملابس الذلفاء (جارية سعيد بن عبد الملك) فقال إنها كانت تلبس "قميص سكب اسكندري، يبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها"[3] ووصف أخر أحد جواري سليمان بن عبد الملك "عليها غلالة ورداء معصفران، وفي عنقها فصان من لؤلؤ وزبرجد وياقوت"[4] ولما كانت المرأة تحب أن تظهر محاسنها، فقد قامت بعضهن بشق الثياب لإبراز محاسنهن[5].

وأصحاب تطور الحياة في العهد الأموي لباس القدَم، فبعد أن كان العرب ينتعلون النعال البسيطة المصنوعة من الحلفاء أو الشعر[6] أخذوا يلبسون بأرجلهم النعال المبطنة بالوبر والقماش، وكانت واسعة أحياناً تتسع لسكين أو منديل[7]، ولبست المرأة الشفاف الملونة من الأحمر أو الأصفر[8]، كما حسنوا النعال الجلدية فصنعوها من جلد البقر المدبوغ، وقد كانت تمثل الترف والغنى مما جعل الحجاج يلبسها[9]، وقد سميت بالسيت والموزج[10] والتاسومة[11] وهي

(١) تجريد الأغاني، ج١، ص١٤٣.

(٢) البدنة: ما يلبس من الثياب على البدن.

(٣) الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٥٦.

(٤) تجريد الأغاني، ج٢، ص٥٥٥.

(٥) المصدر السابق، ج٦، ص٢٢٥٣.

(٦) ابتسام الصفار: الأحذية والنعال، ص٧، مطبعة النجف الأشرف، النجف، سنة ١٩٧٣.

(٧) المرجع السابق والصفحة.

(٨) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص١٠١.

(٩) المصدر السابق والصفحة.

(١٠) ياقوت:معجم الأدباء، ج٣، ص٥٧، المطبعة الهندية، القاهرة، سنة ١٩٢٧. تحقيق مرجليوت.

(١١) المصدر السابق، ص١٩٢.

أسماء تدل على أصلها الفارسي.

وفي خضم هذا الامتزاج والتفاعل في المجتمع الأموي، كان لا بد وأن تتسرب بعض العادات السيئة، فكان منها البغاء نتيجة لكثرة الإماء والجواري على الرغم من تحريم الإسلام له[1] ووضع القوانين الرادعة له، إلا أن الرادع الحقيقي في هذا العهد كان الإيمان الصادق الذي أصيب بنكسة في ضمائر عدد من الناس، فلا عجب إذا رأينا بعض الجواري يمارسن ذلك، كجارية طويس[2]، كما وجد من يسهل ذلك لمريديه من القوادين والقوادات للوصل بين الرجال والنساء[3] في مكة[4] وواسط[5]، بل توفرت بعض الأماكن لبيع الخمر والفاحشة في سجستان[6] حتى البصرة، عرفت انتشار الرذيلة والفسق فيها عندما قدمها زياد بن أبيه[7]، هذا إلى جانب الشذوذ[8].

وفي مجتمع كهذا ليس غريباً أن تهتز مكانة المرأة العربية السابقة من حيث العفة والغيرة، فالترف والبذخ وكثرة الجواري، وما أدخل من عادات جديدة، وأزياء مبتكرة، ومغريات كثيرة، أدت إلى صبغ المجتمع الجديد بمظاهر لم تكن مألوفة في الماضي القريب.

---

(١) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص٩ (عرف البغاء في العصر الجاهلي وعرفت صاحباته بصاحبات الرايات).

(٢) ابن واصل الحموي: تجريد الأغاني للأصفهاني، ج١، ص٣٢٦.

(٣) المصدر السابق، ج٦، ٢١٧٢.

ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١٠، ص١٠٣.

(٤) القالي: الأمالي، ج٢، ص٣١٢.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص١٥١.

(٦) تجريد الأغاني، ج٥، ص١٠٧٦.

(٧) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٧١.

(٨) المصدر السابق، ص٩٢ (كما عرف اللواط والحيوانات).

وليس عجباً أن نرى كثراً من الرجال ينساقون وراء نزواتهم، تأخذ نظرة الرجل للمرأة نظرة مختلفةتتضمن من الأفكار والمضامين الجديدة لهذا العصر.

ولكن هل يستطيع الرجل العربي أن ينسى تماماً عاداته وتقاليده؟ إن العربي مهما تأثر بالتقاليد، فلا بد أن يظل مشدوداً إلى ماضيه فالعربي استمر في هذا العصر يعتز بقبليته أولاً، ثم بأقرب القبائل إليه ثانياً، فإذا أراد أن يتزوج يبقي لهما الأفضلية، واعتزازه بنسبه جعله لا يحب مصاهرة الغرباء مع غير قبيلته، فكيف بالأعاجم؟ ولعل قصة النعمان مع كسرى وقصة الحجاج من أم كلثوم ابنة عبد الله بن جعفر حيلولة الخليفة عبد الملك الحجاج من ذلك على الرغم مما قدمه لتثبيت أركان الدولة الأموية، مما يدل على صحة ما نذهب إليه.

وهكذا كانت نظرةالعرب في الزواج نظرة قبلية تكن نظرة إسلامية،فنجد قبيلة باهلة، رفضت تزويج إحدى بناتها لأحد دهاقين الفرس[1]، بينما لم يزوجوا بناتهم لغيرهم، وهي نظرة قبلية بعيدة كل البعد عن ما جاء في الدين الحنيف.

وهكذا تأثرت المرأة في المجتمع الأموي بعناصر جديدة أهمها: الخمار، كثرة الجواري، وما ترتب عليه من عادات اجتماعية يتمثل في الملابس المبتكرة، والشعور المستعارة، والأحذية الجديدة، ومساحيق الزينة، ولعل هذا من تأثير الشعوب الوافدة (الموالي) في المجتمع الجديد.

جـ- الملابس:

عرف العرب بالبساطة والسذاجة قبل الإسلام، فكانت ملابسهم كذلك كما هوالحال عند معظم عرب البادية، وفي زمن الرسول (ص) والخلافة الأولى، وانصرفوا عن الاهتمام بلباسهم ولزموا جانب التقشف والبساطة بما يتلاءم مع طبيعة الدعوة، واقتداء بالرسول الكريم وخلفائه من بعده الذين ظلوا محافظين على سنته،ومقتدين بأسلوب حياته.

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص٦٠٨.

لبس المسلمون على رؤوسهم في هذه الفترة العمامة[١]، مع تعدد ألوانها[٢]، كما عرفت أيضاً القلنسوة، وكانوا يجعلونها فوق العمامة أو بدونها[٣]، بينما لبست النساء الخمار، فغطت به رأسها ولفته حول رقبتها[٤].

أما لباس البدن الداخلي للرجال فكان الإزار الذي يستر أسفل البدن كما استعمل السروال أيضاً، ولبس القميص الطويل الأكمام بحيث لا يظهر إلا أطراف الأصابع[٥] والبالغ طوله إلى منتصف الساقين[٦]، وارتدت المرأة من البدن الداخلي الدرع[٧] وهي جبة مشقوقة المقدم.

وارتدى الرجال البردة كلباس خارجي[٨] والجبة[٩] والخميصة[١٠] والرداء[١١]، العباءة التي كانت تلبس فوق سائر الملابس، بينما كان لباس البدن الخارجي للمرأة المسرط المصنوع من الصوف أو الخز أو الكتان[١٢].

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٩٧ (العمائم تيجان العرب).

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٣ قسم ١، ص١٨، ٩٣ السوداء ج٥ ص١٠٢. ١٤٣، البيضاء ج٦، ص١٧٦.

(٣) ابن سيدة: المخمص ج٤، ٨٢ (القلنسوه: لباس يلف على الرأس تكويراً) طبعة بيروت.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص٤٦٣ (لبست عائشة خماراً أسود).

(٥) ابن سيد الناس: عيون الأثير في المغازي والشمائل، ج٢، ص٣١٩. دار الجيل، بيروت، طبعة ٢، سنة ١٩٧٤.

(٦) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص١٠٣.

(٧) ابن سيد: المخمص، ج٤، ص٣٦ (درع المرأة قميصها).

(٨) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٢٧٥: خلعها الرسول على الشاعر كعب بن زهير عند مدحه: بانت سعاد.

(٩) المصدر السابق، ج٤، ص٣٦ (ضرب من مقطعات الثياب).

(١٠) ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٣١ الخميصة: كساء أسود مربع له علمان.

(١١) ابن سيدة: المخمص، ج٤، ص٧٦ جمعها أردية من الملاحف.

(١٢) ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٤٠١ المسرط: كساء من خز أو كتان ومثل الثوب الأخضر.

وانحصر لباس القدم في الخف والنعال، وذكر في السنة أن الرسول لبسها، كما توضأ ومسح على الخفين[1]، وفضل السود منها[2].

وحين احتك العرب بسكان البلاد المفتوحة، واختلطوا بهم وتأثروا بهم وبملابسهم الأنيقة، فلقد دهش الناس عندما رأوا ملابس الهرمزان أن من الديباج، وعلى رأسه التاج المرصع باللآلئ[3].

وكان ممن تأثر بملابس أهل البلاد المفتوحة عبدالله بن عامر الذي كان أول من لبس الخز والطوراني[4]، فأثار استغراب الناس ودهشتهم[5]، ولعل مشاهدة المقاتلين لقباءة مزربان دست ميسان بعد أسره في الأبلة[6] قد أثار تعجبهم آنئذ، ولكن الديباج التستري والزالسوسي السنور النصيبي[7] قد دخل أرض النبوة حتى اقتناه الناس بعد ذلك، فكان أول من لبس الطيلسان[8]، في الحجاز جبير بن مطعم[9].

ولما آلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان، كان ممن أولى الترف عناية خاصة، ولعل نشأته في بيت مال وغنى كان له تأثير في ذلك مما جعله لا يكتفي

---

(١) احمد بن حنبل: المسند، ص٢٨٠، ٢٨٨، ٤٣٩، ٤٤٠.

(٢) ابن الجوزي: تلبيس، ص١٩٩، بيروت، دار الكتب العلمية، بلا تاريخ.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ص٨٧.
أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٦٢.

(٤) أبو قتيبة الدينوري: المعارف، ص٢٤١.

(٥) البلاذري فتوح البلدان، ص٤٨٤ (أخذ الأعراب يقولون: على الأمير جلد دب).

(٦) الطبري: تاريخ، ٣، ص٥٩٥.

(٧) المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٢٥٩.

(٨) الطيلسان: عبارة عن منديل يتدلى فوق العمامة وعلى الكتفين ليقي العنق من الشمس، أمير علي: مختصر تاريخ العرب، ص٧٥.

(٩) ابن قتيبة: المعارف، ص٢٤١.

بلبس أنفس الملابس، بل ينعم بها على زواره، وإذا تردد أحدهم أقسم بذلك، كما فعل مع ابن عباس لأخذ برنس خز(١).

وسار ولاة معاوية على نهجه، فكان أول من لبس الخفاف الساذجة، والثياب الكتانية، واليه على البصرة زياد بن أبيه(٢)، كما شوهد آنئذ على والي مصر عمرو بن العاص ثياب موشية كأن بها عقيان(٣) تأتلق.

وأخذت الملابس الجديدة تغزو المجتمع الأموي، فعرف نوع جديد باسم الدراريع، وكان من أوائل من لبسه المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان لونه أسود، كما ارتاح الناس إلى لبس اليمنة (برود يمنية) في عهد ابن زياد(٤).

وظهرت في المجتمع في عهد سليمان بن عبدالملك ظاهرتان، العناية بالثياب الرقاق وانتشار لباس رسمي من الوشي. ولعل الظاهرة الثانية جديرة بالاهتمام لما أولاها الخليفة من عناية، فقد قام بنفسه بلبس الوشي، واتخذه لباساً رسمياً، فكان لا يسمح لأحد من عماله وموظفيه حتى أهل بيته إلا يلبسه مما جعل هذا اللباس ينتشر بين فئات المجتمع فلبس الناس جميعاً من الوشي جباباً أردية وسراويل وعمائم وقلانس، ومن شدة حبه لهذا الزي، أوصى أن يكفن به عند وفاته(٥).

ولعل هذه الظاهرة توحي لنا بأن سليمان بن عبدالملك، كان رائد توحيد الزي الرسمي لموظفي الدولة.

---

(١) مؤلف مجهول: اخبار الدولةالعباسية، ٤٥.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص٢٤١.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١، ص٧٣.
الثعالبي: فقه اللغة، ص١٥٧ (من ضروب الوشي: الرقم والعقم والعقل).

(٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص٥٠٨.

(٥) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص١٨٤، ١٨٥.

وأخذت الملابس المستحدثة عن الفرس وغيرهم تنتشر بن طبقات المجتمع، فقد لبس محمد بن الحنفية مطرف خز أصفر في عرفات[١]، وتميم الداري ارتدى حلة للصلاة، وابن عوف برنساً[٢]، وتعمم الحجاج بعمامة خز حمراء أثناء ولايته الكوفة[٣].

وعلى الرغم من أن الخز كان ثميناً، فقد كان الإقبال عليه من الخلفاء وأفراد الشعب شديداً، فاشترى يزيد بن عبد الملك حلة بألف دينار[٤]، كما أن بكر بن عبدالله المازني اشترى طيلساناً بأربعمائة درهم، وأحضر للخياط كافوراً لموضع القطع[٥]، مما يدل على مقدار غناه[٦].

وإذا كان بعضهم قد اتجه إلى كل ما هو جديد وثمين من الملابس، فقد وجد أناس ظلوا على بساطتهم في اللباس، فكان سالم بن عبدالله يلبس الصوف، بينما القاسم بن محمد يلبس الخز، وكانا يجلسان معاً في مسجد المدينة، فلا ينكر أحدهما على الآخر لباسه[٧]، فالصوف وغيره من الملابس بقي مستعملاً، فكان يلبسه قتيبة بن مسلم أثناء ولايته على خراسان، وقد عاتبه أحدهم على ذلك فأجابه: "أكره أن أقول زهداً فأزكي نفسي، أو أقول فقراً فأشكو ربي"[٨].

ولكن الذي بدا واضحاً من تأثير الموالي في طول الملابس، فبعد أن كانت في العهد الراشدي قصيرة تصل لغاية الركبة، أصبحت في العهد الجديد طويلة تمس

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ٢١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٥، ٢١٦.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٢٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ص١٠٠.

(٥) ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص٢٠١.

(٦) المصدر نفسه والصفحة (كانت كسوته تكلف أربعة آلاف درهم).

(٧) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٢١٧، ٢١٨.

(٨) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٢١٦.

الأرض[1]، وغيّر الناس النعال إلى الخفاف[2]، ولبسوا الملاءة ونبذوا العباءة[3].

وظهرت في المجتمع الأموي ظاهرة تنوع الملابس باختلاف المهن والمكانة الاجتماعية والمناسبة، فقد كان لكل فئة من فئات المجتمع زي خاص، فللقضاة زي ولأصحابهم زي آخر مختلف، وثالث للشرطة ورابع للكتاب وخامس للجند، بحيث كل واحد يختلف عن الآخر في زيه[4].

فقد اتدى أصحاب السلطة المبطنة أو الدرّاعة "الجبة المشقوقة" ويعلق عليها الخنجر[5]، واتخذ القضاة القلانس العظام -حتى في الحر الشديد-[6] بينما لبس الخلفاء العمائم المميزة بطولها حتى تكون فوق جميع قلانس الآخرين[7]. والخطباء لبسوا الملحفة أو الجبة أو الإزار أو القميص أو الرداء ولكن لا بد من العمة المخصّرة[8].

واتخذ الشعراء لباساً مميزاً لهم، فلبسوا الوشي والمقطعات والأردية السود والأثواب المشهورة[9]، بينما لبس عامة الناس الخفاف -صيفاً وشتاء- خاصة في المجالس الرسمية لدى الخلفاء أو لدى السادة العظام، باعتبار هذا اللباس دلالة التعظيم والإجلال[10]. وإذا حج الأفراد اتخذوا ملابس الإحرام[11]، وفي غير ذلك

---

(١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص١٠٦.

(٥) المصدر نفسه، ص١٠٧.

(٦) المصدر نفسه، ص١٠٩.

(٧) المصدر نفسه والصفحة.

(٨) المصدر نفسه، ص٩٣.

(٩) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص١٠٧.

(١٠) المصدر نفسه، ص١٠٦.

(١١) المصدر نفسه، ص٩٤.

تقلدوا القلائد وعلقوا عليها العلائق، أما الكهان فابتعدوا عن المصبّغ، كما لبست الحرائر من النساء الزي المستور، وللملوك زي، كما عرف للإماء زي يميزهن عن الحرائر[1].

وعرف للجنود لباس خاص، فالمشاة لبسوا القمصان المحبوكة على أجسامهم إلما تحت الركبة فوق السراويل، بينما وضع الفرسان الدروع المصنوعة من السلاسل، وعلى رؤوسهم الخوذ، وقد أمر المختار لبس الأقبية فوق الدروع[2].

ولبس المذنبون ملابس خاصة، فقد لبس يزيد بن المهلب ثياباً مشمرة بيضاء[3] عندما أدخل على الخليفة عمربن عبد العزيز للنظر في أمره، أما مجالس الطرب واللهو والمنادمة، فكانت لها ما يليق بها، فقد ارتدى بشر بن مروان غلالة رقيقة صفراء وملاءة كذلك، وعلى رأسه إكليل ريحان[4].

وإذا كان هؤلاء قد اتخذوا الملابس التي تليق بمكانتهم ومراكزهم ومجالسهم، فقد استمر رجال الدين والأتقياء يلبسون الملابس البسيطة المؤلفة من القميص ومن فوقه الرداء مع عدم مفارقة الصوف "الوبر" وعدم اتخاذ المصبغ[5].

وتتمثل عظمة الخلفاء الأمويين في نقش أسمائهم على أثوابهم بخيوط من القصب الذهبية والفضية، وقد أطلق على هذا النسيج الطرز[6]، وكانت الكتابة بلون مخالف للأصل[7]، وكان إنتاجه في دور خاصة قاصراً على استعمال الخلفاء

---

(١) المصدر نفسه، ص٩٥ (وكان لذوي الرايات كذلك).

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٨٢.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج٣، ص٣٠٢.

(٤) ابن واصل الحموي: تجريد الأغاني للأصفهاني ج١، ص٢٧٧، ٢٧٨.
الغلالة: ثوب رقيق يلبس تحت ثوب صفيق. فقه اللغة، ص١٥٦.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٩٥.

(٦) الهنداوي: المعجم الفارسي، ص٩٧ الطرز: اشتقت من الفارسية ترازيدن وتعني التطريز.

(٧) القلقشندي: مآثر الأناقة في معالم الخلافة، ج٢، ص٢٣٠.

وكبار رجال الدولة[١]، كما وجد طرز للعامة تقوم بعمل المنسوجات لأفراد الشعب تحت إشراف ورقابة الدولة[٢].

والعرب لم يعرفوا طرز الخلفاء، في حين كان ذلك معروفاً عند الأكاسرة فاقتبسه العرب منهم، وحسنوه وطوروه وأدخلوا عليه تعديلاً يناسب الخلفاء المسلمين، وبذلك يتضح دور الموالي في المجتمع الأموي بإدخالهم الملابس الجديدة المنوعة، واقتباس أفراد المجتمع لها، مما جعل العرب يلبسون الثياب الحريرية المنوعة حيناً والكتانية حيناً آخر، وكذلك الموشية آخذين بعين الاعتبار ما أدخل من تطور على طولها بحيث أصبحت تمس الأرض.

ومما يلفت النظر في هذا العهد ظاهرة توحيد الزي حيناً، وتنوع الملابس باختلاف المهن والمكانة الاجتماعية حيناً آخر، فضلاً عن إيجاد دور الطرز التي أخذت تنسج ملابس الخلفاء بمواصفات خاصة تتناسب مع عظمتهم ومكانتهم.

كل ذلك يعطينا صورة عن مكانة ودور الموالي وتأثيرهم في المجتمع الأموي، وقابلية العرب للاقتباس والتطوير بما يتناسب مع العصر، ورغبة الخلفاء في إظهار مكانتهم بكل ما يوحي بالعظمة وأبهة الملك.

ونتيجة دخول الموالي في المجتمع العربي الجديد بأزيائهم التقليدية، جعل العرب يتفاعلون مع لبس الحرير بأنواعه والسروايل والأقبية الدراريع والقلانس والطرز، وتوحيد الزي لأصحاب المهنة الواحدة.

---

(١) مصطفى محمد حسين: دراسات في تطور فن النسيج والطباعة، ص٤٧، دار النهضة المصرية، القاهرة، سنة ١٩٦٧.

(٢) Lewis B. The Arabs in History, p 87.

مصطفى حسين: دراسات في تطور فن النسيج والطباعة، ص٤٨.

سيد محمد عاشور: صناعة وتجارة الأقمشة، ص٥٤، دار الاتحاد العربي، القاهرة، سنة ١٩٧٢.

د- الاحتفالات:

كان المجتمع الأموي يحتفل بالأعياد الإسلامية الرسمية، وهما عيد الفطر والأضحى وكذلك أول رجب، ونصف شعبان، وبداية السنة الهجرية في الأول من محرم، فكان الناس يلبسون أحسن ما عندهم ويتزينون.

كما كان أهل الذمة يحتفلون بأعيادهم في حرية وتسامح[1]، وكانت الأديرة فرصة يتنزه فيها المسلمون لكثرة حدائقها[2].

والجديد في هذه الاحتفالات -في العهد الأموي- ما أدخله الموالي من الاحتفال بأعيادهم القديمة قبل الإسلام، ولاقت القبول من الخلفاء، فقد احتفلوا بعيد النيروز في أول أيام الربيع، وبالمهرجان في أول أيام الشتاء[3]، وقد كانت تقدم في هذين العيدين الهدايا للأكاسرة فلما تولى معاوية الخلافة جدد هذه العادة، حتى بلغت قيمة الهدية في السنة عشرة ملايين درهم[4]

هـ- الحمامات:

إذا كان الإسلام قد حث على النظافة والزينة، فقد حرص الخلفاء الأمويون على بناء الحمامات الجيدة التي تليق بهم، واعتبروها عنصراً أساسياً في مخططات بناء قصورهم، ولعل قصر عمرة وخربة المفجر "قصر هشام" أكبر شاهد على ذلك.

ولم تكن الحمامات مقصورة على الخلفاء، فقد وجدت أخرى لعامة الشعب، وانتشرت في كل مكان، ففي البصرة أقام مسلم بن أبي بكرة أول حمام لذلك،

---

(١) القزويني: آثار البلاد، ص٣٠٤.

(٢) الخربوطلي: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص٣١٥.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٢٠٢، التنبيه والإشراف ص١٨٤.

(٤) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٢٤، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، سنة ١٩٣٨.

وكان رواده كثيرين بحيث بلغ دخله اليومي ألف درهم عدا الطعام[1]. ثم كثرت بعد ذلك فيها.

وبنى عمرو بن العاص أول حمام في الفسطاط، ولما رآه الروم استحقروه لصغره، وقالوا لا يصلح إلا لفأر، فسمي حمام الفأر[2].

كما وجدت حمامات كثيرة في دمشق[3]، وأنطاكية[4] وخراسان[5] عدا الكرك[6].

ومما يلفت النظر أن هذه الحمامات العامة كان لايسمح بها لأحد إلا بإذن السلطة[7]، كما أصابها التطور والتحسين بحيث أصبحت واسعة وفرشت بالفصوص، وأدخلت فيها الأنابيب بينما كان سقفها من الزجاج المتعدد الألوان[8].. وهذا كله بفضل التأثر بما شاهدوه من حمامات الفرس والروم.

ويظهر أن الاهتمام بالحمامات ليست مقصوراً على النظافة، ولكن على أهميتها الاجتماعية، فقد كانت بمثابة نوادٍ رياضية ومجتمعات يتبادل فيها الناس مختلف الحديث.

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٩٣.

(٢) ياقوت الحوي: معجم البلدان، ج١، ص٤٣٥.

(٣) محمود عكوش: مصر في عهد الإسلام، ص٢٥٤ (نقلاً عن ابن دقاق)، مطبعة دار الكتب، القاهرة سنة ١٩٤١.

(٤) منير كيال: الحمامات الدمشقية وتقاليدها ص٨ وزارة الثقافة والسياحة، سنة ١٩٦٦. ذكر ابن عساكر ٥٧ حماماً ونقلهم عنه.

(٥) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٥١.

(٦) المرجع السابق والصفحة.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٩٣.

(٨) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٨٤.

و- الأخلاق:

أرسى الإسلام مبادئ وقواعد اجتماعية مستقرة، فجعل الناس سواسية في الحقوق والواجبات، وجعل الفرد جزءاً من مجتمع مترابط، بأن حث الأفراد على التعاون والتعاضد، ونظم العلاقات بينهم، وجعل الزواج فريضة محببة، وحرّم البغاء، وأوجد علاقة بين الفرد وربه تقوم على الطاعة التامة لمبادئه.

ومع بدء الفتوحات العربية الإسلامية، دخلت شعوب جديدة في هذا الدين، وأقبلت عليه ومعها رصيد من الثقافة والحضارة والمعرفة، فامتزجت مع الفاتحين، وأدخلت أشياء ليست من الدين في شيء، فتأثر بها البعض مما جعل الوازع الديني يقل في نفوسهم، فأصبح المجتمع الجديد مزيجاً من نوازع الخير والشر.

أما أهل التقوى، فلم يتأثروا واستمروا في أداء واجباتهم الدينية، والتدارس والتعمق في مبادئ الدين، حتى غلب عليهم الزهد الناتج عن مخافة الله، وقد كان هذا واضحاً بين الفئات الشعبية وبخاصة في الحجاز، مركز المعارضة لخلافة بني أمية[1]، وقد دفعهم إيمانهم إلى طرد الأموين عند بدء خلافة يزيد بن معاوية، فكان رد فعل السلطة الحاكمة عنيفاً، لدرجة إباحة المحرمات عند احتلال المدينة ومكة[2]، وقد أدى هذا العنف، والسياسة التي خططت لها الدولة فيما بعد إلى تحول جذري بين أفراد المجتمع، جعلهم ينبذون السياسة ويتجهون نحو الترف واللهو من غناء وشعر، وسرعان ما انتشرت في مهبط الوحي وعاصمة الخلفاء الراشدين دور خاصة للغناء[3]، ونال هذا التيار الدنيوي رضا السلطة الحاكمة من الأمويين، فشجعوه لإلهاء الناس عن شؤون الخلافة والسياسة. وهكذا وجد في بداية الدولة الأموية وفي المجتمع الأموي تياران متعاكسان بينما انتقلت المعارضة السياسية إلى العراق.

---

(١) شوقي ضيف: الشعر والغناء في المدينة ومكة، ص٢٠، دار المعارف القاهرة، سنة ١٩٧٦.

(٢) ثورة عبدالله بن الزبير، ص٨٤، (رسالة ماجستير مخطوطة للباحث).

(٣) شوقي ضيف: الشعر والغناء، ص٣٦.

لقد وجد نشاط عقلي في المجتمع الأموي وبخاصة في العراق، نتيجة لتأثره بالمؤثرات الإغريقية والساسانية[1]، وأولى مظاهر التأثير كان الزهد والتصوف، ويرى المستشرق نيكلسون إن ذلك ناتج عن التأثر بالمبادئ اليهودية والمسيحية[2]، بينما يرى باحث آخر أن الزهد جاء من الديانة المانوية[3]، وهذه أثرت في كلتا الديانتين منذ القرن الرابع الميلادي، وطالما أن الديانة المانوية قد انتشرت في المجتمع العربي الأموي ولو بشكل غير مباشر عن طريق الموالي (الذين أسلموا)، فالأولى أن التأثير المباشر لذلك لهذه الديانة لما لها من جذور ممتدة منذ ثلاثة قرون قبل الإسلام.

ومن الظواهر الواضحة في المجتمع الأموي أيضاً، ظهور الشعر السياسي والقبلي، فقد برز لكل طائفة سياسية شعراؤها، الذين أخذوا يؤيدونها ويدافعون عنها، ويبرز في هذا الخضم شعراء النقائض الذين أذكوا نار الكراهية والبغضاء بين أفراد المجتمع، وأحيوا حمية الجاهلية[4] المتمثلة في العصبية القبلية، وإذا كان هذا العصر قد دفع الشعر في الأدب العربي إلى الأمام بما أوجد من صور وتشبيهات وغزارة في الإنتاج فإنه قد أظهر مثالب القبائل وكشف عن عيوبها بما أوجد من رصيد في ذلك استفاد منه الشعوبيون فيما بعد.

وعلى الرغم من ذلك، فنحن لا نستطيع أن ننسى مكانة الفقه في الكوفة التي وصفت بأنها كنز الإيمان وحجة الإسلام[5]، فقد انتشر فيها الفقه حتى قال سفيان بن عيينة: "خذوا المناسك عن أهل مكة، وخذوا القراءة عن أهل المدينة،

---

(١) شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص٣٨، دار المعارف، سنة ١٩٧٧.

(٢) Nicholson: Aliterary of the Arabs, P. 220.

(٣) جورج حداد: المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص١٩٧، جامعة دمشق، سنة ٩٥٨.

(٤) سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص٤٠٠-٨.

محمد محمد حسين: الهجاء والهجاؤون، ص٢١، ٧٣. سنة ١٩٧١، دار النهضة، بيروت.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٩٢ (قال ذلك الإمام علي).

وخذوا الحلال والحرام عن أهل الكوفة"[1]، وإذا كان الزهد قد أخذ طريقه في الحجاز والكوفة، إلا أن زهّاد العراق رأوا في الاتجاه نحو الزهد ملاذاً كلما مالت الحياة العامة إلى الحركة الدنيوية -في معظم الأحيان- وما أكثرها، بسبب كثرة الحركات السياسية والثورات في هذه الولاية.

ولم يكن الزهد قاصراً على الرجال بل تعدى ذلك إلى النساء، فقد روى لنا الطبري أن أحد الجنود الشاميين (في عهد الحجاج) حاول أن يعتدى على امرأة كوفية، فكان يأتي لبيتها ويدق عليها الباب وهو في حالة سكر، مما دفعها لقتله، ثم ذهبت للجاج، واعترفت له فعفا عنها[2].

وإذا كان للفضيلة والزهد مكان، فقد وجدت المفاسد لها مكاناً أيضاً، فقد قيل في البصرة "دينكم نفاق، وأخلاقكم دقاق، وماؤكم زعاق"[3]. ولما قدم زياد بن أبيه والياً عليها، وجد الرذيلة والفسق كثيراً ومنتشراً[4]. فخطب خطبته التي حدد فيها سياسته نحو أهلها بعد أن اتهمهم بالغواية والضلال والفساد، ثم وضع خطة جديدة لسياسته[5]، أعاد بموجبها الأمور إلى نصابها.

وانتشرت بعض العادات السيئة في المجتمع، فكان المولى "فند" (في الحجاز) خليعاً يجمع بين الرجال والنساء[6] وأبو سعدة (في الكوفة) يتعرض للإماء في العراق ويصف نفسه "بير مفتون"[7] كما ظهرت في الحجاز ظاهرة التخنث، وكان المخنثون يقلدون النساء في اللباس، وتسريح الشعر وتمشيطه

---

(١) ياقوت: المصدر السابق، ص٤٩٢.

(٢) الطبري: تاريخ، ج٦، ص٣٨٣، ٣٨٤.

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٤٣٦. دار إحياء التراث، بيروت سنة ١٩٨٠.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٧١.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص١٤٩.

(٦) ابن واصل الحموي: تجريد الأغاني، ج٦، ١٨٠٨.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٩١، ٣٩٢.

والتخضب بالحناء، كابن نعاش في المدينة[١] ورهيث[٢] والدلال[٣] المولى "أبو الهر" الذي جمع إلى جانب الخنوثة أنه كان يدل على النساء[٤]. ومارست بعض الجواري البغاء كجارية طويس[٥] كما وجدت بعض القوادات والقوادين للوصل بين الرجال والنساء[٦] في مكة[٧] وواسط[٨]، هذا عدا عن بيع الخمر "والفاحشة" في سجستان[٩].

وفي بيئة كهذه، لا غرابة إذا وجدنا بعض التصرفات الشاذة كمراودة الغلمان، التي عرف بها الأصوص[١٠] كما اتهم بها الوليد بن يزيد[١١]، وكذلك المجاهرة بالمعاصي واللذات[١٢] كيزيد ابن معاوية.

وإذا كانت السياسة في رأي أصحابها لا دين لها، وأن أصحابها لا يهمهم سوى تحقيق أهدافهم التي رسموها، فلا عجب أن يقترن بالغدر والخديعة، فقد غدر الخليفة عبد الملك بعمه عمرو بن سعيد بن العاص بعد أن أعطاه الأمان[١٣].

---

(١) تجريد الأغاني ج١، ص٣٢٨. النويري: نهاية الأدب، ج٤ ص٢٤٨.

(٢) تجريد الأغاني، ج١، ص٣٢٣.

(٣) المصدر السابق،، ج٢، ص٥٥٥.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ٩٨.

(٥) ابن واصل الحموي: تجريد الأغاني للأصفهاني، ج١، ص٣٢٦.

(٦) المصدر السابق، ج٦، ص٢١٧٢. ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١٠، ص١٠٣.

(٧) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص١٥١.

(٨) الغالي في الأمالي، ج٢، ص٣١٢.

(٩) تجريد الأغاني، ج٥، ص٢٠٧٦.

(١٠) المصدر السابق، ج٢ ص٥٤٧ (الأصوص).

(١١) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٤٩، وزارة الثقافة القاهرة، سنة ١٩٦٠.

(١٢) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٢٦٤، ٢٦٥ دار القراءة بيروت سنة ١٩٦٠. ممن استحضر بذلك الوليد بن يزيد، ويزيد ابنه، ويزيد بن معاوية.

(١٣) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص١٠٩.
ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢، ص٣٠٧.

ويصبح المجتمع الأموي زاخراً بظواهر ثقافية متباينة، بسبب انفتاحه من جهة، والانتشار الثقافي المعاكس من جهة أخرى، مما مهد لعناصر ثقافية وافدة أن تصارع العناصر القديمة، وتستقر في الخريطة الثقافية، وتأخذ شكلاً ثقافياً/ حضارياً يتسم بالثنائية الضدية.

ز- الطعام:

كان طعام العرب قبل الإسلام وحتى بداية الدولة الأموية يكاد يكون قاصراً على الألبان وما يستخرج منها (سمن، جبن، زبدة) والتمور والحبوب، أما اللحوم، فكانوا يأكلونها على أبسط ما يكون كما يفعل معظم أهل البادية الآن.

وقد تنوعت أسماء المأكولات التي يشترك فيها اللبن والبر والشعير حتى بلغت أثني عشر نوعاً[(١)]، وقد أحبها الجميع[(٢)] حتى الزعماء، فقد عُرف عن الأحنف حبه للزبد والكمأة[(٣)].

ولما فتحت بلاد فارس، وقع العرب على ألوان من الأطعمة لم يعرفوها، وحينما أقاموا في تلك البلاد تعرفوا على مآكل الشعوب الجديدة كالفالوذج، والجلاب[(٤)] وغيرها ثم تفننوا في معالجتهم للحوم بالألبان والخضار والتوابل.

ولعل من الطريف ما حدث مع الفاتحين العرب بعد فتحهم للمدائن فقد وجدوا كافوراً فظنوه ملحاً فوضوعه في الخبز[(٥)]، كما أن أحد الأعراب فضل لحم الجمل على سائر اللحوم أمام كسرى فعجب من ذلك "كيف يكون لحم الجمل

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٨، ص١٠٢-٣.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٩، ص١٩٧ (سأل عمر بن الخطاب الأحنف بن قيس: أي الطعام أحب إليك؟ قال:الزبد والكمأة).

(٣) الكمأة: نبات مستدير القلقاس، يوجد في الربيع تحت الأرض.

(٤) ابن قتيبة: المصدر السابق، ص٢٩٣ (اللوز مع الكباج الخشاب).

(٥) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص١٢٧.

أطيب من البط والدجاج والفراخ والدراج والمداء"[1] وغاب عن فطنة كسرى أن هذه الطيور ربما لم يسمع بها ذلك الأعرابي.

وهكذا اشتهر الفرس بحبهم للحم الطيور بأنواعها إلى جانب الحلوى بأنواعها، كما أحب الروم المحاشي[2].

وغزت الطيور مآكل العرب في عهد معاوية حباً في التنعم[3] فكان لا يكتفي بذلك لنفسه، ولكنه كان يقدمها لضيوفه أيضاً[4]، وسار على نهجه بقية الخلفاء والولاة.

كما عرف المجتمع الأموي أدوات الطعام، فعرفوا الصحف[5] والقدح[6] ولكنها كانت مفضضة[7]، كما اقتبسوا السكاكين وطريقة استعمالها في تقشير الفاكهة[8]، وكذلك الملاعق والفوط، واستعملوا الكراسي للجلوس أمام المائدة المغطاة بمفرش من القماش، لتوضع عليها الصحاف الكبيرة من الطعام[9].

والجدير بالذكر أن قتيبة بن مسلم عند فتح سمرقند فرش في صحن أحد الدور قدوراً كبيرة يُرتقى إليها بسلالم[10].

ونظم العرب وجبات أكلهم، فأولها في الصباح تبدأ بأكلة خفيفة من الألبان

---

(١) المصدر السابق، ص١٩٩. ابن خلدون: المقدمة، ١٧٢.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص٢٠٤.

(٣) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص٥٩ المكتبة الإسلامية بيروت، بلا تاريخ.

(٤) الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص٢٢، ٢٣ (قدم لحم الطيور للحسن بن علي).

(٥) الصحف: ما يوضع فيه الأكل.

(٦) القدح: ما يوضع فيه الماء أو اللبن.

(٧) ابن واصل: تجريد الأغاني للأصفهاني، ج١، ص٢٩١.

(٨) مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص١٣٨ (استعملت لبابة بن عبدالله بن جعفر زوجة عبد الملك السكين لقطع التفاح وتقشيره).

(٩) الألوسي: نهاية الأرب، ج١، ص٣٨٧. المطبعة الرحمانية، القاهرة، طبعة ٢، سنة ١٩٢٤.

(١٠) المرتضى: آمال المرتضى، ج١، ص٢٨٧، دار الكتاب العربي بيروت، طبعة ٢، سنة ١٩٦٧.

والسكر والعسل، ثم يليها الفطور عند شروق الشمس، فالغداء مع الظهيرة، وأخيراً العشاء بعد صلاة العشاء[1].

كما جعل العرب لكل مناسبة طعاماً خاصاً، وأطلقوا عليه اسماً ليميزه عن غيره، فعرفت البقيعة، والإعذار، والخرس، والوكيرة، والمأدبة[2]، ونقلوا عن الفرس عدم الأفراط في الأكل وعدم التحدث أثناء تناول الطعام[3].

وعرف بين العرب طعام الاستجارة، فإذا تناول المستجير طعام (المستجار) حماه، كما حصل مع عبدالله بن زياد عندما طلب خبزة وتمراً من غلام مسعود بن عمر وسيد الأزد[4].

وإذا كان العرب قد اقتبسوا المظاهر الحضارية، فقد بقيت صفاتهم الأصلية الممزوجة بتعاليم الإسلام مع ما تقتضيه دبلوماسية الحكم في تسيير بعض أعمالهم.

فقد كتب معاوية إلى عماله بإطعام السابلة والفقراء وذوي الحاجات فكان الولاة يقدمون الطعام، فقدّم زياد بن أبيه في كل يوم أربعين مائدة[5]، وكان يغدي ويعشي كل يوم ما عدا يوم الجمعة فكان يكتفي بوجبة العشاء فقط[6]، وسار

---

(١) الخربوطلي: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص٣٠٧.

(٢) البقيعة: طعام الزفاف.
الخرس: طعام الولادة.
الإعذار: طعام الختان.
الوكيرة: طعام بناء الدار.
المأدبة: طعام الضيوف.
ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص٢٩٢.

(٣) الجاحظ: التاج، ص٢٢.

(٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢١ (إنما أراد زياد أن يتحرى لطعامه).

(٥) الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص٢٣.

(٦) البيهقي: المحاسن والمساوئ، ج٢، ص٥٠.

الحجاج على نهجه، فكان يرسل رسوله صباحاً إذا طلعت الشمس وعند المساء إذا غربت[1]، وكان يقدم في كل يوم ألف مائدة[2] ويضع على كل مائدة عشرة ألوان وسمكة مشوية، وأرزاً مسكراً[3]، وكا بين الأكلة ساقيان أحدهما يسقي الماء والعسل (المجلوب من فارس)[4] والآخر يسقي اللبن[5].

وسار يزيد بن المهلب (وأبو سليمان بن عبد الملك)، فكان يطعم الناس ألف خوان[6] بينما يوسف بن عمر (والي العراق لهشام) يضع خمسماية خوان لمن حضر[7]. ورأى يزيد بن عمر بن هبيرة (الوالي في عهد مروان بن محمد) أن يقسم في كل شهر خمسماية ألف درهم في كل شهر إلى جانب تقديم طعام الإفطار في رمضان[8].

ولم يكتف العرب بالاقتباس لأدوات الأكل وأنواع الأطعمة وتطويرها، ولكنهم استعانوا بالطباخين المهرة في الولائم والحفلات كما فعل الحجاج عندما ختن أحد أولاده واستشار بعض الدهاقين لذلك[9]، وقد تعلم العرب كذلك صناعة الطعام باحتكاكهم بالموالي، فقد عرف يزيد ابن المهلب بإتقانه لذلك، فقد كان يصنع ذلك

---

(١) الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٥٠.
(٢) المبرد: الكامل في اللغة، ج١، ص١٧٩.
الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٥٠.
العقد الفريد: ج٥، ص٢٥٦ (وإن كان يرى ابن عبد ربه ٥٠٠ فقط وألف في رمضان).
(٣) المبرد: الكامل في اللغة، ج١، ص١٧٩.
ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٢٥٦.
(٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٩، ص٢٠٥.
(٥) المبرد: الكامل: ج١، ص١٧٩.
(٦) الطبري: تاريخ، ج٦، ص٥٢٤.
(٧) ابن عبد ربه:العقد الفريد، ج٥، ص٢٥٦.
(٨) ابن قتيبة: المعارف، ص١٧٩.
(٩) ابن خلدون: المقدة، ١٧٣، ١٧٤، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة، بلا تاريخ.

لسليمان بن عبد الملك عندما استجار به في الرملة[1].

وهكذا دخل التغيير في أنواع المأكولات والأدوات بالاقتباس حيناً والاستعانة المباشرة بالموالي حيناً آخر واتضح ذلك باقتباس الحلويات والمحاشي واستطابة لحم الطيور ونقل الصحاف والأقداح المفضضة والسكاكين والملاعق. هذا إلى جانب الاستعانة بمهرة الطباخين ونقل آداب المائدة.

الخاتمة

وهكذا أظهر لنا الفصل الثاني دور الموالي في الحياةالاجتماعية في عهد بني أمية، واتضح أنهم أسهموا في المجالس الاجتماعية بتأثيرات لم تكن معروفة لدى العرب من قبل، وأهمها:

١) نظام الحجابة: وهو إدخال الناس على الخليفة، أو الموالي ضمن تصنيف معين، فيدخل أناسٌ قبل غيرهم طبقاً للتصنيف، مما لم يكن معروفاً في عهد الرسول (ص) وخلفائه.

٢) اتخاذ الندماء لتسلية أولي السلطة أو عظهم، وتقديم النصح لهم وظهر نتيجة ذلك فريقان متضادان في معظم الأحوال، إما من الماجنين أو الزاهدين حسب الخليفة أو الوالي.

٣) إدخال الأسرة والكراسي إلى المجالس، واستعمالها من قبل الخاصة والعامة من الناس.

٤) نقل تقاليد المجالس الفارسية، والتقيد بهافي حضرة الخليفة والالتزام بما هو متعارف عليه في تلك المجالس.

٥) اقتباس أسلوب صرف الزوار من المجلس بطرائق متباينة.

٦) استعمال الستارة للفصل بين أصحاب السلطة والفنانين، من مغنين وعازفين.

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٦، ص٤٥٢ (لقد عرف ذلك أثناء ولايته في بلاد فارس).

٧) تقريب الفنانين والاهتمام بشؤونهم وتلبية مطالبهم بإغداق الأموال عليهم.

٨) إيجاد مجالس فنية خاصة للمغنين والموسيقيين يحضرها الناس ويستمعون إلى الغناء والأنغام.

وكان لما تقدم أثرابارز في مكانة المرأة العربية في تلك الحقبة وكان تأثير الموالي عليها مباشراً حيناً أو غير مباشر حيناً آخر، ويظهر ذلك من القضايا التالية:—

أولاً: اقتباس الخمار: من المعروف أن الإسلام دعا إلى ستر العورة وعدم ظهورها على المحرّم، أما اللباس المتشدد الذي يغطي الوجه بحيث لا يظهر منه شيء، فقد أخذ عن الفرس حيث كان معروفاً لديهم منذ عهد "داريوس".

ثانياً: كثرة الجواري والإماء أدت إلى التسري وهذا أثر على المرأة العربية في المجتمع الأموي، مما دفعها إلى محاولة الظهور أمام زوجها بمظهر تشده إليها وتصرفه عن غيرها من الجواري.

ثالثاً: تعلق بعض أصحاب السلطة بالإماء، وشراؤهم لهن بمبالغ خيالية فكان ثمن "الذلفاء" مليون درهم، "وحبابة" أربعة آلاف دينار.

رابعاً: مبالغة الإماء في الزينة، فكانت الجواري يظهرن بشتى أنواع الزينة حتى يبقين مقبولات من أسيادهن، فاستعملن المسك والطيب ونشرنه، والصباغة وبخاصة "الأصفر" أو "الزعفران" والقلائد والأقراط، وهذه كلها كانت منتشرة ومعروفة لدى الفرس قبل الإسلام.

خامساً: استعمال الشعور المستعارة، فقد كانت "جميلة" تضع وفرة كما كانت تضع شعوراً على رؤوس الجواري من العازفات

والمغنيات.

سادساً: إدخال العصائب والقلانس والمراوح والأوشحة والتزين بالجواهر واللآلئ.

سابعاً: استعمال الملابس ذات المزايا الجيدة، كالطيلس والأزرق، والديباج والتستري والخز السوسي، وانتشاره في المجتمع الأموي.

ثامناً: إدخال الملابس الشفافة التي تبرز مفاتن الجسم كالغلالة والبذة.

تاسعاً: ابتكار تقليد جديد في الملابس، كشق الثياب من أحد جوانبها.

عاشراً: لبس الأحذية الجميلة المعروفة بالخفاف، وكثرة أنواعها وألوانها مع تعدد أسمائها "كالموزج" و "الناموسة".

حادي عشر: انتشار بعض العادات السيئة كالبغاء.

وترتب على اهتزاز مكانة المرأة العربية، تغير في الملابس ونوعيتها وأناقتها، مما يدل على أثر الموالي في ذلك، فبعد أن كان العرب يلبسون الملابس القطنية والصوفية المصنوعة من وبر الجمال وصوف الأغنام، فقد عرفوا الخز بألوانه المتعددة، والديباج المستورد من بلاد الفرس، كما اقتبس العرب الأنواع التالية من الملابس:

أ. السراويل.
ب. الأقبية.
جـ. الثياب الكتانية.
د. الثياب الموشاة.
هـ. الدراريع.
و. الحلة.
ز. الملاءة.
ح القلانس.
ط. الثياب الرقيقة الشفافة.

وترتب على المعطيات السابقة انشغال الناس واندفاعهم نحو البذخ والترف، وبخاصة في المجتمع الحجازي (مكة والمدينة) وانشغالهم في الأمور الدنيوية من أجل إلهائهم عن شؤون السياسة والخلافة، ناهيك أن عدداً من الخلفاء وقع تحت تأثير الجواري والمغنيات مما جعل بعضهم ينسى شؤون الرعية ويصبحون بالتالي ورقة رابحة في أيدي المعارضة لاستثارة الناس ضد الحكم، وهذه نتيجة بديهية حين يصبح المجتمع مملوءاً بعناصر ثقافية متصارعة، أصيلة أو وافدة، بسبب انفتاحه من ناحية، والانتشار الثقافي المعاكس من ناحية أخرى، مما مهد لعناصر ثقافية وافدة أن تصطدم وتصارع العناصر القديمة، لتستقر في الخريطة الثقافية السائدة، وتأخذ شكلاً ثقافياً يتسم بالثنائية في معظم الأحيان.

الفصل الثالث

التفاعلات الحضارية في الحياة الاقتصادية

الفصل الثالث

التفاعلات الحضارية في الحياة الاقتصادية

تتضح التفاعلات الحضارية في الحياة الاقتصادية بأشكالها وأنواعها مما أدى إلى نمو الحياة الاقتصادية وازدهارها، وتبدو التفاعلات في المظاهر الاقتصادية التالية:

أولاً: الزراعة

عرف الموالي الزراعة المتقدمة قبل الفتوحات الإسلامية، وعندما آلت بلادهم إلى المسلمين نتيجة الفتح، واجه العرب مشكلة "الأرض المفتوحة".

وهذه المشكلة أخذت عدداً من المظاهر، فبعضها بعد جهاد (عنوة) وأخرى بدون قتال، أي صلحاً، وثالثة أسلم أهلها بدون حرب، ورابعة أقطعت للمقاتلين، وخامسة تم استصلاح بعضها إلى جانب الصوافي.

واختلفت الأحكام في هذه الأرض، وإن كانت الأولى هي التي واجهت المشكلة[1]، ولكن الرأي النهائي استقر في زمن عمر بن الخطاب، أن تكون وقفاً،

---

(١) عرض المشكلة عمر بن الخطاب على الصحابة، فرأى بعضهم أن تقسم الأرض كما تقسم الغنائم، إلا أن علي بن أبي طالب قال: "دعهم يكونوا مادة للمسلمين" فأعجب الخليفة بالرأي،

تدفع الخراج لتبقى مورداً دائماً لأعطيات المسلمين[1] ودفعت الثانية نفس الضريبة (الخراج) بالأرض التي جرى عليها الصلح[2]، وبقي عليها أهلها.

أما الأرض التي أسلم أهلها عليها بدون حرب[3] أو اقطعت للمقاتلين بدل عطائهم[4] أو الأرض التي تم إجباؤها. باستصلاحها[5] فإنها تدفع ضريبة العشر.

فلما عاد في اليوم التالي قال" فماذا لمن جاء بعدكم من المسلمين" وكتب إلى سعد بن أبي وقاص "اترك الأرض والأنهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يبق لمن بعدهم شيء" وكذك أرسل لبقية الأمراء في مصر والجابية.

انظر: أبو يوسف: كتاب الخراج، ص٢٦.

ابن سلام: الأموال، ص١٢٨٢، القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٦٨.

ابن رجب الحنبلي: الاستخراج لأحكام الخراج، ص٩، بيروت، دار المعرفة، سنة ١٩٧٩.

ابن الجوزي: عمر بن الخطاب، ص٢١ دمشق دار المعرفة سنة ١٩٧٩.

البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٧١ بيروت: دار النشر للجامعيين، سنة ١٩٥٧.

ابن آدم القريشي: الخراج، ص٤٤، بيروت:دار المعرفة سنة ١٩٧٩.

(١) يؤدي الفلاحون الخراج ولو أسلم أصحابها، قال علي بن أبي طالب لأحد الدهاقين الذين أسلموا "إن أقمت في أرضك رفعنا عنك جزية رأسك وإن تحولت عنها فنحن أحق بها "ابن آدم القرشي: الخراج، ص٢٧.

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص١٤٧، ابن سلام: الأموال، ص٢٢٨.

(٣) ابن سلام: الأموال، ص٧٢، ٩٥، ٢٢٨.

(٤) أقطع النبي تميم الداري قرية عيفون من قرى (بيت لحم).

ابن آدم القرشي: الخراج، ٢٢. ابن سلام: الأموال، ص٣٨٨.

واقطع عمر بن الخطاب: نافع أبو عبدالله أرضاً ليست من أرض الخراج ولا تضر أحداً.

أقطع عثمان بن عفان الأراضي لقسم من الصحابة والتابعين وقادة الجيش رغبة منه في كسب رضاهم أو تقديراً لخدماتهم الكبيرة وجهادهم في سبيل الإسلام وهي على:

أ. قطائع خاصة: قطائع داخل مدينة الكوفة لتشييد المنازل والدور عليها وكان عددها تسع عشرة إقطاعية، طلحة، والزبير، وأسامة وسعد وابن أخيه هاشم بن عبه، وأبوموسى الأشعري، وحذيفة العبي، وعبدالله بن مسعودسلمان الباهلي، المسيب الغزاري عمر بن حريث المخزومي، أبوجبير الأنصاري، عدي بن حاتم الطائي،، وجرير البجلي، الأشعث الكندي، الوليد بن عتبة وأخيه عمار، الفرات بن حيان العجلي، جابر بن عبدالله الأنصاري، أم هانئ (امرأة هبيرة المخزومي) وهي أخت علي بن أبي طالب.

وبعد معرفة نوع الضريبة المستحقة على كل نوع من الأرض السابقة، كان لابد من مسحها، فأرسل عمر بن الخطاب كلاً من عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان لمسح الأرض وأمرهما بأن لا يحملا أحد فوق طاقته[1] وأن لا يمسحا تلاً ولا أجمة ولا مستنقع ماء، ولا مالا يبلغه الماء[2].

ولما عاد المبعوثان من مهمتهما راضيين بما قاما به، وضع ابن الخطاب ضريبة الخراج[3].

انظر: ابن الفقيه: المعارف، ص٧٩.

ب. قطائع عامة: أعطي عدد من الصحابة من الأراضي الساسانية الواسعة "الصوفي" لتكون لأصحابها مورد رزق ثابت لا تتعلق بالعطاء أو غيره. طلحة بن عبدالله التسانيج، عدي بن حاتم الطئي، الرحاء وائل بن حجر المقدمي، ضيعة زرار خباب بن الأرث-صعينا، خالد بن عرقطة أرضاً عند حمام أعين، الأشعث الكندي، جرير ابن عبدالله البجلي(الجواقين) على شاطئ الفرات، عبدالله ابن مسعود: النهرين، عبدالله الزهري: قرية هرمز، عمار بن ياسر، اسبينا، الزبير بن العوام وأسامة بن زيد أرضاً ثم باعها.

انظر البلاذري، ص٥٠٣. ابن آدم القرشي: الخراج، ص٢٢.

ابن سلام: الأموال، ص٣٩٢. أبو يوسف: الخراج، ص٥٨.

الماوردي: الأحكام السلطانية، ص١٩١.

حكم الإقطاع: الماوردي الإمام بحيث لا يجابي أحد، كما يشترط في الإقطاع الإحياء فإن لم يحييها قبل مضي ثلاث سنين بطل الإقطاع.

(٥) قال عليه السلام: "من أحيا أرضاً ميتة فهي له". كما هو الحال في المستنقعات ونحوها. ابن سلام: الأموال، ص١٢٥، ٤٠١.

ابن آدم القرشي: الخراج، ص٢١، ٦١.

ابن رجب الحنيطي: الاستخراج لأحكام الخراج، ص١١، ١٢.

(١) أبو يوسف: الخراج، ص٢٧٧. اليعقوبي: تاريخ ج٢، ص١٥٢.

(٢) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص١٥٢.

ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٢٧٤ (سواد).

(٣) وضع عمر بن الخطاب على أرض الخراج: إمامة السواد ٣٦ مليون جريب الخطيب البغددي: ج١، ص١١.

كل جريب:درهما وقفيزا، جريب الرطبة: خمسة دراهم وخمسة أقفزة.

جريب الكروم: عشرة دراهم. جريب القضية: ستة دراهم.

وسار الخلفاءعلى نهج عمر من بعده، وبقي الأمر كذلك حتى ثورة ابن الأشعث (سنة ٨٢هـ) حيث احترق الديوان وأخذ كل فلاح ما لديه من الأرض فتوحات الأرض من أرض خراج إلى أرض عشر[1].

وهكذا كانت سياسة الخلفاء نحو الأرض المفتوحة سياسة رشيدة، أدت إلى تدعيم الدولةمادياً بما وفرته من أموال الخراج والعشر، كما أرست قاعدة حفظ الحق، بعد أن منعت تقسيم الأرض فحافظت على وحدتها[2]، وفرضت الضرائب العادلة، مما دفع الفلاحون الموالي إلى استغلال الأرض جيداً مما حسن مكانتهم المالية.

الإصلاحات الزراعية:

كانت الأقاليم المفتوحة تختلف مناخاً وتربة عما هو في شبه جزيرة العرب،كما كانت على جانب ملموس من التقدم الزراعي، فالساسانيون اهتموا بالزراعة في وادي الرافدين، فحفروا بعض الأقنية والترع، وقدموا للبعض أرضاً وبذوراً ومواشيَ، وأدخلوا زراعة حاصلات جديدة عن طريق الأسرى[3] من أجل الحصول على المال اللازم للجيش.

وكذلك كان الأمر في مصر والشام بالنسبة للزراعة، على الرغم مما أصاب البلاد من الخراب بسبب الحرب الفارسية البيزنطية.

جريب البر: أربعة دراهم، وعلى الشعير درهمين.

ابن سلام: الأموال، ص٩٨. البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٧٥، ٣٧٦.

الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص١١.

الجريب= ٣٦٠٠ ذراعاً مربعاً= ٢٤٠٠ متربع مربع.

الدوري: مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص٢٨. بيروت: دار الطليعة، طبعة٢، سنة ١٩٧٨.

(١) ابو يوسف: الخراج، ٥٧. الماوردي: الأحكام السلطانية ص١٨٣.

(٢) أمير علي: مختصر تاريخ العرب، ص٤١.

(٣) جورج حداد: المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص١٨٩. جامعة دمشق، سنة ١٩٥٨ (كانت تلك سياسة أردشير مؤسس الدولة الساسانية ٢٢٤-٢٤١م.

ولما جاء العرب الفاتحون لم يكونوا قد اعتادوا الزراعة ولم يكن لديهم معرفة تامة بأساليب الزراعة[1]، وحفاظاً على هذه الثروة تركت الأرض بأيدي أصحابها لخبرتهم بالأساليب والطرق الضرورية اللازمة لاستمرار جودة إنتاجها، هذا إلى جانب انشغال العرب بالحروب وبقائهم في حالة استعداد تام للنجدة وتقديم العون للفاتحين.

ولكن العهد الأموي شهد اهتماماً ملموساً بالزراع تمثل ذلك بمسح الأراضي، ونقل المزارعين وحفر الأنهار والترع وتجفيف المستنقعات وإقامة القناطر والجسور مما أدى إلى ازدهار الزراعة وتقدمها.

أما مسح الأراضي فقد كان لتنظيم زراعتها وملكيتها، ومعرفة الضرائب المفروضة إلى جانب معرفة ما كان يضر المزارعين[2] وقد قام بذلك كل من عمر بن هبيرة (١٥٠هـ=٧٢٣م) أثناء ولايته للعراق[3]، وعبيد الله بن الحجاب في مصر[4]، ولعل نقل المزارعين إلى الأراضي الزراعية يجلب إلى الأرض الجديدة خبرات وتجارب جديدة إلى جانب زيادة الاستفادة عن طريق استغلالها مما يعود بالخير على الفلاح والدولة.

وقد يكون النقل نتيجة للرغبة أو بقوة القانون، فقد هرب فلاحو السواد (العراق) عند بداية الفتح، ولكنهم ما أسرع أن دعوا إلى الرجوع فلبوا[5] . وكما طلب ممن أسلم في القادسية (١٥هـ=٦٣٦م) النزول إلى الكوفة والبصرة[6]

---

(١) الخربوطلي: العراق في ظل الحكم الأموي ص٢٢٨.
محمد الزبيدي: الحياة الاجتماعية الاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، ص١٢٤، بغداد- جامعة بغداد سنة ١٩٧٠.

(٢) اليعقوبي: تاريخ ج٢، ص٣١٢.

(٣) المصدر السابق والصفحة، (كان والياً ليزيد بن عبد الملك).

(٤) المقريزي: الخطط ج١، ص٧٥ (كان والياً لهشام بن عبد الملك).

(٥) الطبري: ج٣ ص٥٨٩.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٩٢، ٣٩٤.

كالديالمة الذين نزلوا الكوفة[1].

أما النوع الثاني فيتمثل بالسيايجة والزط الذين أتى بهم أبو موسى الأشعري وأنزلهم البصرة[2]، وكذلك من نقلهم معاوية بن أبي سفيان والوليد بن عبد الملك من الزط والسيابجة إلى سواحل الشام وأنطاكية[3]. وإسكان عبيد الله بن زياد جماعة من أهل بخارى[4]، البصرة ثم نقلهم الحجاج[5] ولفئة أخرى من خراسان وبخارى منها البصرة أيضاً[6] كما أتى الحجاج بجماعة من زط السند وأنزلهم كسكر[7] وأخيراً ما أمر به هشام بن عبد الملك بنقل مائة من بني النضير ومائة من بيت سليم وأسكنهم بليسي ليعملوا بالزراعة[8].

والمياه هي العماد الذي تقوم عليه الزراعة، وهي إما أن تكون أمطاراً أو أنهاراً جارية تتخذ لها مسارات تتعمق مع الأيام، فتصبح الأرض الزراعية أعلى منها مستوى، فاقتضت حركة الإصلاح الزراعي حفر القنوات التي تصل بين الأنهار والأراضي الزراعية، وقد أبدى الخلفاء في هذا العهد اهتماماً بمشاريع الري ليتفق مع الحاجة الماسة لها، وكان الحفر إما على نفقة الدولة[9] وهو الأعم والأغلب أو كانت تتخذ طابعاً فردياً على نفقة المنتفع.

---

(١) المصدر السابق، ص٤٤٩.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص٥٢٢.

(٣) المصدر السابق، ص٥٢٤

(٤) المصدر السابق والصفحة.

(٥) المصدر السابق والصفحة.

(٦) المصدر السابق، ٥٧٧، ٥٧٨.

(٧) المصدر السابق، ص٥٢٢.

(٨) المقريزي: الخطط ج١، ص٨٠.

(٩) أبو يوسف: الخراج، ص١١٠. ابن تيمية: السياسة الشرعية، ص٥١.

وقد أعاد زياد بن أبيه حفر نهر الأبلة حتى أوصله البصرة[١]، وأجرى يزيد بن معاوية النهر المسمى باسمه في دمشق[٢]، أما عمرو ابن العاص فقد حفر الحلجان من الخربة كما ربط النيل بالبحر الأحمر وأجرى فيها السفن في عام الرمادة (٢٣هـ)[٣] من قبل.

وعلى الرغم مما واجه الحجاج من ثورات فقد اعتنى بشؤون الري فحفر نهراً وسمّاه زابيا[٤]، وشق خالد بن عبد الله العشري نهر الجامع[٥]، وكذلك عدي بن أرطأة شق النهر المسمى باسمه[٦]، وحفر ابن عمر بن عبد العزيز نهراً بواسط[٧]، وسعيد بن عبد الملك حفر النهر الذي عرف بنهر سعيد الخير[٨]، وأمر هشام بن عبد الملك بشق عدة أنهار قرب الرقة[٩].

هذا وقد وضع ولاة مصر مقاييس على نهر النيل تبين ارتفاع مياهه كل عام، وأول من بدأها عبد العزيز بن مروان[١٠].

أما من شق بعض القنوات على نفقاتهم الخاصة فيبرز منهم:

---

(١) حفر هذا النهر أبوموسى الأشعري بأمر من عمر بن الخطاب ثم ردم.
البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٩٧. الجهشياري: الوزراء والكتاب ص١٩. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٧٧.

(٢) الاصطخري: المسالك والممالك، ص٥٤.

(٣) الطبري ج٤، ص١٠٠. المقريزي: الخطط ج١، ص٧٦ (في عهد عمر بن الخطاب).

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٠٨.

(٥) المصدر السابق، ص٢٠٤. الطبري، ج٧، ص١٥٢.

(٦) ابن قتيبة: المعارف، ص٢٤٦ (في عهد عمر بن عبد العزيز).

(٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص٥١٦.

(٨) المصدر السابق، ص٢٤٧.

(٩) محمد كرد علي: خطط الشام، ج٤، ص١٤٦.

(١٠) انظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج١، ص١٢٠، ١٢٢، ١٢٥. وفي كل سنة يذكر الزيادة أو النقص.

معقل بن يسار الذي أوصل المياه إلى الأرض التي منحها له عثمان بن عفان[1]، وفيروز مولى ربيعة بن كلدة الثقفي[2] والعلاء بن شريك الهذلي، ومكحول بن عبدالله السعدي[3] وغيرهم.

وكان أهل البصرة يجدون ملوحة في مياه نهر دجلة، مما دعاهم إلى حفر صهاريج للماء يخزنون فيها مياه الأمطار، وقامت الدولة من جانبها بحفر صهاريج أخرى للعامة، فقد قام بذلك كل من الحجاج بن يوسف الثقفي، وعبدالله بن علم، ومن قبلهما زياد وابنه عبدالله[4] هذا إلى جانب إنفاق الأموال الطائلة على حفر أبار الرملة وقنواتها[5].

ولعل تجفيف البطائح (المستنقعات) كان من أهم عناصر الإصلاح الزراعي في هذا العهد، فإن إحياء الأرض الموات قد زاد في مساحة الأراضي المستغلة مما أعطى إنتاجاً إضافياً ودخلاً أكبر..

وأول من قام بذلك عبدالله بن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان وعامله على خراج العراق، فقد استخرج له أراضي واسعة بلغت غلتها خمسة ملايين درهم[6]، وأنفق مسلمة بن عبد الملك على أرض "طيبيا" ثلاثة ملايين درهم حتى أصبحت صالحة للزراعة[7]، كما استخرج حسان القبطي أراضي البطيحة للخليفة هشام بن عبد الملك[8]، وكذلك أراض في كسكر على نهر الجنب[9].

(١) ابن قتيبة: المعارف، ص٢٤٦.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص٥٠٣.

(٣) المصدر السابق، ص٥٠٤.

(٤) المصدر السابق، ص٥١٦.

(٥) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٢٤١، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٦٩.

(٦) البلاذري: المصدر السابق، ص٤١١.

(٧) المصدر السابق والصفحة: (كان المشروع للوليد بن عبد الملك) فاستكثرهافقام به الحجاج لصالح مسلمة حفر النهرين المسميين بالسيبين.

(٨) البلاذري: المصدر السابق، ص٤١١ (مولى بني خبة).

ومما اهتم به ولاة بني أمية إقامة القناطر والجسور والمسنّيات[1] لمكافحة الفيضانات وتسهيل حركة المزارعين والتجار وسرعة نقل الإنتاج.

فقد بنى زياد بن أبيه جسراً كبيراً في الكوفة لمنع فيضان الماء وظل هذا الجسر طوال عهد الأمويين وأجريت عليه إصلاحات كثيرة من قبل الولاة أمثال: عمر بن أبي هبيرة، وابنه يزيد، وخالد القسري[2] الذي أقام (خالد) القناطر في منطقة السواد[3]، وهي إلى جانب ما أنشأه عمرو بن العاص في مصر، الذي أوجد القناطر عند قليوب[4] بالإضافة إلى عبد العزيز بن مروان الذي أقام قنطرة على نهر النيل[5].

نتائج الإصلاحات الزراعية:

لقد كان للإصلاحات الزراعية نتائج ملموسة أثرت على المجتمع الأموي بإيجابياتها أو سلبياتها.

النتائج الإيجابية:

١. إقبال العرب على الأرض وتعلقهم بها، وقد اتخذ هذا الإقبال مظاهر متعددة:

أ. الإقبال على شراء الأرض[6]، باعتبارها أحد مظاهر الثراء لما تقدمه من مورد مالي.

---

(٩) المصدر السابق، ص٤١٣.

(١) المسنّيات: السدود، وتتكون من قش وتراب في وجه المياه الجارية.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٠٢، ٤٠٤.

(٣) المصدر السابق، ص٤٠٢.

(٤) محمد عكوش: مصر في عهد الإسلام، ص٢٥٦.

(٥) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمطار، ج١، ص١٢٠.

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص٣٤.

ب. المطالبة بالإقطاعات بدلاً من الرواتب الثابتة[1] (العطاء). وهذا أوجد قواعد عسكرية دائمة، وزاد من تعلق المقاتل بالأرض ونظره نحو الاستقرار.

جـ. استبدال الأرض البعيدة بأرض قريبة، برضاء الطرفين، يستطيع كل واحد أن يقدم نتيجة أفضل، وقد سن هذا الخليفة عثمان بن عفان[2].

د. إقطاع الخلفاء لأقاربهم ومن يخصونهم أرضاً ليضمنوا لهم زيادة في الدخل، كما فعل معاوية يحث أقطع بني أخوته[3].

٢. زيادة الأراضي الصالحة للزراعة:

ويتمثل ذلك فيما يلي:

أ. إحياء الأرض الموات، كما كان يفعل زياد بن أبيه حيث يقطع الأرض للعامة مدة سنتين فإن لم يعمروها خلال هذه المدة استردها[4].

ب. حرص الأمويون بأن لا تبقى أرض شاغرة غير مستغلة، ويتضح ذلك من أمر معاوية بن أبي سفيان لمولاه عبد الله بن دراج[5] وما قام به سلمة بن عبدالملك وحسان النبطي[6].

جـ. قام الحجاج بقطع أشجار القصب لاستصلاح الأراضي للخليفة عبد الملك بن مروان[7].

د. أنفق الخليفة عمر بن عبد العزيز من بيت المال ولحساب الدولة على أرض حتى أصبحت صالحة للزراعة.

---

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية، ١٩٥.

(٢) ابن العربي: العواصم والقواصم، ص١٧.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ٥٠٤.

(٤) المصدر نفسه، ص٥٠٥ (بينما يرى أبو حنيفة ثلاث سنوات). الأحكام: ص١٩١.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص٤١١.

(٦) المصدر السابق والصفحة.

(٧) المصدر السابق، ص٤٠٨.

٣. تعدد المزروعات من بقول وخضار وفواكه نتيجة الاحتكاك والانتقال من مكان إلى آخر.

٤. زيادة دخل الدولة نتيجة تقدم الزراعة وتحسنها، مما أدى إلى زيادة الإنتاج وهذا بدوره زاد من دخل المزارع في الدولة[١].

٥. المحافظة على الثروة الحيوانية. فقد منع الحجاج أكل لحوم البقر خوفاً من انقراضها، فقد كانت مما يستعان به في الزراعة[٢] والري. كما صرف عبدالله بن الحجاب (والي مصر في عهد هشام ابن عبد الملك) لأبناء النضير وبني سليم من صدقة العشر مالاً لشراء إبلٍ وخيولٍ في منطقة بلبيس[٣].

وروى لنا البلاذري بأنه وجد بعد مقتل يزيد بن المهلب أربعة آلاف جاموسة بكور دجلة وكسكر[٤].

٦. تطبيق النظام التعاوني: انطلاقاً من الدين الحنيف وتطبيقاً لمبادئه، تعاون الفلاحون على حفر القنوات[٥]. مما أكسب الزراعة مفهوماً جديداً، وأعطى نتائج إيجابية عادت على المتعاونين بالفائدة المرجوة.

وهناك نتائج سلبية أحس بسببها الفلاحون بالضيق والألم وتتمثل بما يلي:

١. إلزام الموالي وإجبارهم بالبقاء في الأرض الزراعية وبخاصة في عهد الحجاج الذي ألزم كل مزارع غادر أرضه بالعودة إليها بالقوة[٦].

---

(١) ابن آدم القرشي: الخراج، ص٦٣.

(٢) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٥. الطبري، ج٦، ص٢٨١.
ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٢٧٤.

(٣) المقريزي: الخطط، ج١، ص٨٠.

(٤) المقريزي: الخطط، ج١، ص٨٠.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٢٠.

(٦) أبو يوسف: الخراج، ص٩٤. الخربوطلي: العراق في ظل الحكم الأموي، ص٣٥١

٢. انتقال الأرض الجيدة إلى أفراد الأسرة الحاكمة[1] وكان معاوية قد استصفى لنفسه ضياعاً عامرة وجعلها لنفسه، ثم أقطع بعضها جماعة من أهل بيته[2].
٣. تكليف المزارعين -أحياناً- العمل بالسخرة أي بلا مقابل[3].
٤. إلزام المزارعين تقديم الهدايا بالمناسبات وخاصة عيدي النورز والمهرجان[4].

وهكذا نجد أن الإصلاحات السابقة قد وفرت في المجتمع الأموي الأيدي المدربة على الشؤون الزراعية، وأوجدت وسائل الري المختلفة والمتعددة، تنوع الإنتاج وزاد دخل الفرد والدولة، ولعل ما قامت به الدولة من إقامة للجسور، وشق للقنوات، وتقديم للقروض، قد دفع الزراعة خطوات إلى الأمام على الرغم من بعض السلبيات السابقة.

موقف الدولة الأموية من الزراعة:

وقفت الدولة من الزراعة موقف التشجيع، وهذا يتمثل في مواقفها التالية:

---

(١) الطبري: ج٦، ص٢٨١. ونقش على يد كل منهم اسم قريته.
(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٤١٦.
(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص٥٠٤.
(٤) عيد النورز: عيد كان لدى الفرس، وهو أول أيام الربيع ٢٢ آذار، وكان السكان يهدون الملك هدايا تبلغ الملايين، ويهدي الملك لقواده.
عيد المهرجان: يقع أول أيام الشتاء، من أعياد الفرس، كان القواد ورجال الخليفة تخلع عليهم فيه ملابس الشتاء.
المسعودي، ج١، ص١٩٧. ١٩٨.
عندما جاء الإسلام أوقف تقديم الهدايا واعتبرها مخالفة للإسلام.
ظهرت لأول مرة في عهد عثمان بن عفان، ضج الناس فأبطلها عثمان: أدب الكتاب، ص٤٠.
أعيدت في عهد معاوية ولما تولى عمر ابن عبد العزيز أبطلها. ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز ص٩٩، ١٦٠. ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٢٧٦. الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص١٥. أبو يوسف: الخراج، ص٤٩.

١. إحياء الأرض الموات[1]، فكانت تمنح الأرض للمزارعين لإحيائها وإقامة المشاريع الزراعية عليها، فإن لم يف الممنوح بذلك، سحبت الأرض منه[2].

٢. مساواة الأرض المزروعة بالبور في الخراج، وقد يكون هذا في ظاهره ظلماً ولكن الهدف الحقيقي، دفع المزارعين للعمل والنشاط واستغلال جميع الأراضي طالما أنها ستدر خراجاً[3].

٣. أخذ الضريبة مرة واحدة (سواء أكانت خراجاً أو عشراً) وزرعت مرة في العام[4] أو أكثر. وهذا يدفع المزارعين إلى الاستفادة من أرضهم مراراً كما في مصر[5] واليمن[6] خاصة.

٤. إعفاء الخضروات والبقول والأعلاف والنباتات التي تؤكل من الضريبة وليس لها أصل من الزكاة[7]، وكذلك ثمار الجبال والأودية (من الخراج والعشور). ولقد دفعت هذه الإعفاءات الفلاحين إلى استغلال هذه الأماكن لزيادة دخلهم ومن ثم تحسين أوضاعهم.

٥. إقامة الخلفاء وأقاربهم المشاريع النموذجية في الضياع الواسعة وخاصة مشاريع الري، فاستفاد الفلاحون من هذه القنوات مما عاد عليهم بالخير العميم[8]، كما أخذ المزارعون يقلدون الأساليب والوسائل المستعملة فقد

---

(١) أبو يوسف: الخراج، ص٥٩. ابن آدم القرشي: الخراج، ص٦٣.
الماوردي: الأحكام السلطانية، ١٨٧.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص٥٠٤. (وكان يفعل ذلك زياد بن أبيه بعد سنتين).

(٣) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص١٥٠.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص٥٦. ابن آدم القرشي: الخراج، ص١٥٤.

(٥) المقريزي: الخطط، ج١، ٧٦ (كانت الأرض تزرع أكثر من مرتين في السنة).

(٦) ابن رسته: الأعلاق النفيسة ص١١١ (كانت الأرض تستغل أربع مرات في السنة).

(٧) أبو يوسف: الخراج، ص٥٥. القرشي: الخراج، ص١٤٦.
الماوردي، ص١١٨.

(٨) البلاذري: فتوح البلدان، ص٤١٢، ٥٠٤.

أنفق مسلمة بن عبد الملك مبلغ ثلاثة ملايين درهم[1] في سبيل استصلاح وتطوير الأرض التي منحه إياه أخوه عبدالملك.

٦. تخلص المزارعون من الدهاقين واحتكارهم الذي كان سائداً أيام الفرس[2] وجعلهم مرتبطين مع الدولة، وأصبحوا مسؤولين مباشرة عن ضرائبهم بزوال واسطة الاحتكار التي كانت تستغل ظروفهم لمصالحهم الشخصية.

٧. تقديم القروض للفلاحين، فقد أسلف الحجاج مزارعي السواد مبلغ مليوني درهم من بيت المال من أجل إعمار الأرض وتحسينها[3]، كما حض الخليفة عمر بن عبد العزيز ولاته على تقديم المساعدات للمزارعين لتشجيعهم وزيادة إقبالهم على الزراعة[4].

أشهر الحاصلات الزراعية:

المناخ متكامل في الدولة الأموية لسعة مساحتها وموقعها من خطوط العرض، وهكذا فإننا نجد المناخ المداري والصحراوي والمعتدل، وهذا أوجد بيئات مناسبة لمحاصيل زراعية متعددة، فلا عجب إذا تردد بين الناس "جنات الدنيا ثلاث: غوطة دمشق، نهر بلخ، نهر الأبلة"[5].

وقد عرف المجتمع الأموي أنواعاً متعددة من الفاكهة منها:

الكمثرى والسفرجل والخوخ والتفاح والتين والأجاص والمشمش والرمان

---

(١) المصدر السابق، ص٤١١.

(٢) ابن آدم القرشي: الخراج، ٥٠. أبو يوسف: الخراج، ص٣٨. ابن رجب الحنبلي: الاستخراج لأحكام الخراج، ص٨.

(٣) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٥. ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص١٠٥. ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٢٧٤.

(٤) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٣٠٦. الطبري، ج٦، ص٥٦٩.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٧٧.

واللوز والبطيخ والجزر والموز[1].

واشتهرت الأقاليم الشرقية بما عرفت به مصر وبلاد الشام[2]، فزرعت خراسان وما وراء النهر النخيل والزيتون والجوز والرمان وقصب السكر والبنفسج والنرجس[3] واشتهرت سابور بالنخيل والجوز واللوز والعنب وقصب السكر[4] إلى جانب البنفسج والياسمين.

وأصفهان عرفت بالتفاح والكمثرى[5] والري بالتين والخوخ والعنب[6] وقم بالفستق والبندق[7] وتكثر البقول في نيسابور[8]، واشتهرت طبرستان بالأرز والثوم والبقول[9] وخراسان بالبقول، والبطيخ[10] وجرجان بالزيتون والفواكه والتين[11].

أما بلاد السند فقد أكثرت من زراعة الموز والأرز وقصب السكر، كما ربت النحل وأنتجت العسل الجيد[12].

---

(١) ابن آدم القرشي: الخراج، ص١٤٦.
(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٣.
(٣) القزويني: آثار البلاد، ص٣٤٩.
(٤) ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص١٦٨. القزويني: آثار البلاد ص٢٠٠.
(٥) المصدر السابق، ص٢٩٧.
(٦) المصدر السابق، ص٣٢٧٦، ياقوت، ج٣، ص١٦٦.
(٧) المصدر السابق، ص٣٤٣.
(٨) المصدر السابق، ص٤٧٣.
(٩) الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٢٤.
(١٠) الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٤٧.
(١١) المصدر السابق، ص١٢٥. القزويني: آثار البلاد، ص٣٤٩.
ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص١٢٠.
(١٢) الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٠٥.

وفي بلاد كرمان كثر النخيل والجوز[1]، وزرع في خوزستان الحبوب والشعير والبقول والأرز[2]، ويلنج قصب السكر والأترج[3].

واشتهرت الأجزاء الشرقية بزراعة جديدة لاقت استحساناً من المجتمع الأموي وأخذت تزحف نحو العاصمة ألا وهي زراعة أزهار الورد لاستخلاص العطور.

فجور تشتهر بالورد المنسوب إليها "الجوري"[4]. وزرعت سابور الرياحين والأزهار، وجرجان بالبنفسج والنرجس[5] وطورت شيراز البنفسج والياسمين من روائح إلى أشربة ريحانية[6].

وعرفت بلاد الرافدين المحصولات الزراعية كالحنطة (القمح) والشعير[7]، وكانت منطقة السواد مركزاً هاماً لزراعة الأرز الذي كان إنتاجه كثيراً فصنعوا منه الخبز[8] ومن المحصولات المهمة النخيل والفواكه والقطن[9] وقصب السكر[10] والسمسم[11] والذرة والعدس والدخن[12].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٤.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٥. الاصطخري: المسالك، ص٦٣.

(٣) الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٥٧.

(٤) القزويني: آثار البلاد، ص١٨١.

(٥) القزويني: آثار البلاد، ص٣٤٩. ياقوت: معجم، ج٣، ص١٦٣.

(٦) القزويني: آثار البلاد، ص٢١١.

(٧) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج١، ص٢٩٤.
خزاعة بن جعفر: الخراج، ص١٣٩.

(٨) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص١٨٠.

(٩) البلاذري: فتوح البلدان، ص٦١٣.
ياقوت: معجم، ج١، ص٤٤٠ و ج٥، ص٣٥٠.
ابن بطوطة، ١٨١، ١٨٥.

(١٠) القزويني: آثار البلاد، ص١٥٢.

(١١) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج١، ص٢٩٤.

كما انتشرت زراعة الفواكه وكانت الكروم من أشهرها، وقد كثرت أصنافها وتعددت أنواعها منها عنب "دير العاقول" وعكسبرا، و (سروج) و (حلوان)[1].

وقد امتازت الأديرة بأشجارها الباسقة وثمارها اليانعة وأزهارها الجميلة، وكثرة الغلال فيها، وكانت الأنهار تجري من هذه البساتين[2].

كما زرعت أنواع من الزهور والرياحين، وكان من أشهرها البنفسج والزنبق الأبيض (أزاذ)[3] والنرجس والورد الجوري والأقحوان.

تاثير الموالي في الزراعة:

لم تكن للزراعة في الجزيرة العربية لدى العربي الحظوة اللازمة عند الفتح، فلم يكن يعتني بها كما يجب، لأن قسماً كبيراً من السكان كانوا رحلاً متأهبين للانتقال دائماً،وجاء الفتح ليضعهم تحت السلاح مستعدين للحركة، بينما عماد الزراعة الاستقرار، فلا عجب إذا كانت معلوماتهم وخبراتهم الزراعية تكاد تكون لا تذكر ومحصورة بين من قدّر لهم الاحتكاك بأطراف الجزيرة العربية المتقدمة، أما أهالي البلد المفتوحة، فقد كانوا على جانب من التقدم الزراعي، شقوا الأقنية والترع، وعرفوا آلات السقاية المتطورة، وزرعوا أنواعاً متعددة من المزروعات.

ولما تم الفتح رأى الخليفة عمر بثاقب نظره أن تبقى هذه الأرض مع أصحابها يستغلونها ويقدمون ما يطلب منهم للدولة.

ولهذا فإننا نجد أن هؤلاء المزارعين الذين أسلموا، والذين أطلق عليهم اسم الموالي كانوا هم دعامة الحياة الاقتصادية، يهمنا في هذا المجال الناحية الزراعية

---

(١٢) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٣، ١٤.

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٢٢، ١٢٣، ١٢٥.

(٢) الشابستي: الديارات، ص١٧١.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ١٢٨.

حيث يظهر تأثيرهم متمثلاً فيما يلي:

١. كانت الغالبية العظمى من المزارعين من الموالي في المجتمع الأموي - وخاصة في العراق وخراسان وما وراء النهر، ومصر وبلاد الشام- فعندما أراد عمر أن يقسم مزارعي السواد بين المقاتلين كان نصيب الواحد "٢٢" مزارعا[١] فأصدر عمر تعليماته بإبقائهم على أرضهم يمارسون الفلاحة[٢] ويؤدون ما عليها من الخراج أو العشر.

٢. أسهم الموالي في حفر الأنهار والقنوات بالطرق التعاونية، فكان الحفر يتم معاً أو يقسم بين المستفيدين كل بقدر استفادته[٣]. وهذا دفع العملية التعاونية والزراعية خطوات إلى الأمام، بما وفرت مياه الري، وأعطت مردوداً إنتاجياً أكبر، وعمقت أواصر المحبة بين الفلاحين.

٣. استعمل الموالي وسائل الري الصناعية الراقية[٤] إذا قيست بمعرفة العرب آنئذ، فاستعملوا الناعور[٥] والدولاب[٦] والدالية[٧] والعربات التي تشبه طواحين الهواء[٨]، وذلك لتوفير ونقل المياه اللازمة للزراعة.

٤. تعمير الموالي للأرض ومساحات جديدة، كانت معطلة[٩] عند الفتح، للاستفادة من زراعتها.

---

(١) أبو يوسف: الخراج، ص٣٦.

(٢) ابن آدم القرشي: الخراج، ص٤٤. ابن سلام: الأموال، ص٨٢. البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٧١.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص٩٤.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن هذه الوسائل يمكن الرجوع إلى كتاب:
El-Samarrail: Agriculture in Iraq, P 26-30 Beirut, 1972

(٥) الناعور: دولاب يديره تيار الماء، وكانت منطقة النهرين من المناطق التي تستعمله.

(٦) الدولاب: يدار من قبل حيوان (حصان أو بقرة).

(٧) الدالية: دولاب يديره ثور أوبقرة.
أبو يوسف: الخراج، ص٢٨. ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٢٧٣.

(٨) القزويني: آثار البلاد، ص٤٥٩.

(٩) أبو يوسف: الخراج، ص٤٨.

٥. أخذ البدو والأعراب يتعلمون الزراعة من الموالي، وهم الذين كانوا يأنفون من ذلك من قبل[1].

٦. نقل نباتات ومزروعات جديدة. كشجر النارنج، والأترج، فقد نقله الموالي من السند والمناطق الشرقية وزرعوه بالبصرة والعراق والشام، وكثر فيما بعد في الثغور الشامية وأنطاكية وسواحل بلاد الشام وفلسطين، ومصر[2].

وهذا أمر بدهي نتيجة الاختلاط والامتزاج، فلا بد من نقل مالم يتوافر من النبات من مكان إلى آخر عند توفر شروط المناخ والبيئة الصالحة لاستمرار الحياة.

ولكن هناك سؤال يطرح نفسه:

هل كان الفلاحون والموالي في وضع مرضٍ تماماً؟ فمما لا شك فيه أن الفلاحين كانوا يتمتعون بمكانة هامة من الناحية الاقتصادية لحاجة الناس لهم، إلا أن هناك عدداً من العوامل كانت تبرز فتأخذ دوراً مؤثراً في حياتهم مما جعلهم يبدون سخطهم وعدم رضاهم لما كانوا يكلفون به، وقد تمثل ذلك فيما يلي:

١. استغلال الموالي -أحياناً- للعمل بلا مقابل "سخرة" وهذه كانت متذبذبة تختلف من والٍ إلى آخر، على الرغم من مخالفتها لتعاليم الدين وقد أعاد التذكير بالنهي عنها عمر بن عبد العزيز، وأمر بمنعها[3].

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص١٢٥، ١٢٦ "مر الحجاج على أحد الشيوخ فسأله: كيف علمك بالزراعة؟ قال: إني لأعلم من ذلك علماً. قال الحجاج: فأي الزرع خير؟ قال: ما غلظ سوقه واعْتمّ نسبته وعظمت حبته وطالت سنبلته، غلظ عموده وعظم عنقوده. قال: ما خير التمر؟ قال: ما غلظ لحاؤه ودق نواه ورق سماه".

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٣٧٨.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٢٧٦. اليعقوبي، تاريخ ج٢، ص٣٠٢.
ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص١٦٠.
العيون والحدائق، ج٣، ص٤٧.

٢. تكليف المزارعين بالهدايا في المناسبات، وقد بدأها معاوية واستمرت، ثم منعها عمر بن عبد العزيز وأعادها عمر بن هبيرة[1] وقد كانت عبئاً على المزارعين[2].

٣. تعرض المزارع ومنتوجاته -أحياناً- لتخريب من قبل الجيوش أوأصحاب السلطة، وقد شكا بعض المزارعين إلى عمر بن عبد العزيز مما أصابه من تلف في المزروعات فعوض عليه الضرر[3].

٤. سوء تصرفات بعض الولاة، وما كان يصاحبها من شدة تثير حقدهم وكراهيتهم كما فعل الحجاج، الذي أجبر الفلاحين على العودة إلى أراضيهم بالقوة وختم أسماء قراهم على أيديهم[4]، وكذلك منعهم من ذبح أبقارهم[5]، وإلزمهم بدفع الجزية بعد الإسلام.

٥. انتزاع الأسرة الحاكمة، والموسرين من العرب للأراضي الجيدة[6] عن طريق الإقطاع حيناً، والشراء أو التبادل حيناً آخر، ومن ثم استغلالها لصالحهم بعد إقامة المشاريع الزراعية عليها.

٦. هذا إلى جانب نظرة العرب لمهنة الفلاحة، فهي في نظرهم دونهم منزلة، لأنها تبعدهم عن الروح القتالية والشجاعة والمغامرة، وتقربهم من الاستكانة والهدوء،

ولذلك كان العرب يأنفون -بادئ الأمر- من العمل بالزراعة، وينظرون لمن

---

(١) عمر بن جبيرة: كان والياً على العراق ليزيد بن عبد الملك.
اليعقوبي، ج٢، ص٣٠٢.

(٢) بيضون: الدولة الأموية والمعارضة، مدخل إلى كتاب السيطرة العربية لفلوتن، ص٧٤.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص١١٩.

(٤) الطبري: تاريخ، ج٦، ص٣٨١. ابن عبد ربه:العقد الفريد ج٣، ص٤١٦.

(٥) ابن خردانبة: المسالك والممالك، ص١٥. الطبري: المصدر والصفحة.
ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٢٧٤.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٠٨.

يعمل فيها بشيء من الاستهانة[1].

وعلى الرغم مما سبق، فقد كانت منزلة الفلاحين الموالي أعلى مستوى، وأحسن مكانة مما كانوا عليه في العهود السابقة للإسلام.

فقد مُنِحوا الفرص المتعددة لاستغلال الأرض لإنتاج أكثر ما يمكن إنتاجه مع إعفاء الخضروات والبقول من الضرائب الشرعية.

ويكفي أنهم في هذا العهد تخلصوا من ظلم الدهاقين واستغلالهم واحتكارهم لهم، هذا إلى جانب أنهم أخذوا القروض والسلف من أجل إعمار الأرض وإحيائها مما انعكس على حياتهم العملية والاقتصادية.

ثانياً: الصناعة:

لم يكن لدى العرب -في شبه الجزيرة- حتى بداية العصر الأموي صناعة حقيقية بالمعنى المفهوم اليوم، وإنما اقتصرت على صناعات بسيطة ساذجة لسد حاجات السكان الاستهلاكية الضرورية.

ولكن هذه الصناعة البسيطة تطورت تبعاً لحاجة المجتمع النامي بفضل خبرات الشعوب الجديدة ومهارتهم.

لقد قامت الحرف والصناعات الفنية المختلفة على أيدي هؤلاء الوافدين الذين أصبحوا جزءاً من المجتمع الجديد، وأخذوا يقومون بدور المنتج والمعلم المرشد مع استمرار تحسين وتطوير الأساليب الفنية.

فإلى الموالي يعود الفضل في تعريف أسرار الصناعة لغيرهم، كصناعة

(١) بيضون: الدولة الأموية والمعارضة، ص٨١، وليس كما رأى فلوتن نظرة أقرب إلى الاسترقاق.

النسيج الفاخر، والتحف الفضية والذهبية[1] وأساليب نسج السجاد.

لقد تظافرت عدة عوامل أثرت على الصناعة ودفعتها نحو الأمام وأهمها ما يلي:

١. زوال الحدود القديمة، فقد امتدت الدولة الأموية من حدود الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، مما سهل انتقال المواد الخام ويسر حركة التجار والصناع فانتقلوا بيضائعهم المصنوعة أو الخام بحرية تامة[2] في مختلف أنحاء الدولة.

٢. الموقع الممتاز للبلاد التي حكمتها دولة بني أمية، عند ملتقى القارات الثلاث في وسط العالم القديم، أعطى الصناعة مكانة ممتازة[3].

٣. زيادة دخل أفراد المجتمع الأموي نتيجة الفتوحات الإسلامية، والعطاء اللذين أديا إلى توفر النقد بن أيدي الأفراد.

٤. الإقبال على شراء الألبسة والمنسوجات، في الحجاز وبلاد الشام والعراق، حيث رأوا ما لم يشاهدوه من قبل، فأقبلوا عليها بلهفة.

٥. لقد أدى الإقبال للتحسين الدائم والتطوير المناسب لصناعة النسيج لتلائم أذواق المستهلكين[4] وتلبي رغباتهم المتزايدة.

٦. توفر الأمن والحرية من قبل الدولة شجع أصحاب المؤسسات الصناعية لتحسين إنتاجهم[5].

٧. ترف الخلفاء والولاة وإقبالهم على الملابس الفاخرة.

---

(١) محمد حسن الزبيدي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، ص١٩٠. بغداد، جامعة بغداد سنة ١٩٧٠.

(٢) فريال المختار: المنسوجات العراقية الإسلامية ص٣٧.

(٣) مصطفى محمد حسن: دراسات في تطور النسيج والحياكة، ص٤٤.

(٤) فريال المختار: المنسوجات العراقية، ص٣٧.

(٥) سيد خليفة:تاريخ المنسوجات، ص١٤٤.

ولعل من أهم الصناعات وأبرزها كانت صناعة النسيج التي تقدمت لإقبال الناس عليها، لاحتوائها على معروضات لم يألفها الناس من قبل.

ومن أهم أسباب تقدم صناعة النسيج في المجتمع الأموي:

١. توفر المواد الخام الضرورية للصناعة في أماكن عدة من أنحاء الدولة[١] كالقطن في فارس والعراق بكثرة، والكتان فاقت فيه مصر غيرها، والحرير كان متوفراً في بلاد فارس والأجزاء الشرقية منذ عهد الساسانيين.

٢. توفر المواصلات البرية والبحرية، فبالإضافة إلى الطرق التي كانت معروفة قبل الفتح، اتحدت معها طرق الأقاليم المجاورة تحت ظل الدولة الجديدة.

٣. المناخ الملائم للمزروعات الصناعية، فتكامل المناخ أوجد بيئات متعددة صالحة لزراعة القطن والكتان، وأخرى لتربية دودة القز[٢].

٤. اتساع منطقة العرض وكثرة السكان[٣]، فلقد أصبحت بلاد فارس والشام ومصر والجزيرة العربية مكاناً لعرض البضائع، إلى جانب كثرة السكان، إذا قورن بما قبل الفتح.

٥. عدم وجود الحواجز الجمركية بزوال الحدود السابقة بين الأقاليم، ما منح حرية الحركة والانتقال للعرض والتسويق، ونقل البضاعة من مكان إلى آخر دون صعوبة[٤].

٦. توفر الأيدي العاملة المدربة ذات الخبرة الطويلة في الصناعة في مصر وفارس، حيث عرفتا الصناعات المختلفة قبل الفتح[٥].

---

(١) المرجع السابق، ص٨٢.

(٢) فريال المختار: المنسوجات العراقية، ص١٢، ١٣.

(٣) سيد خليفة: تاريخ المنسوجات، ص٨٢.

(٤) مصطفى محمد حسين: دراسات في تطور فن النسيج والطباعة، ص٤٤.
فريال المختار: المنسوجات العراقية، ص٣٧.

(٥) أبو الفرج الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، ص١٣٢.

٧. شهرة بعض البلاد ببعض الصناعات النسيجية قبل الفتح (مصر وفارس)[١] جعل هذه الأقاليم تستمر في صناعتها مع الحرص على تحسينها وتجويدها.

صناعة النسيج:

كانت صناعة النسيج متقدمة في بلاد فارس والشام ومصر عند الفتح الإسلامي. فبلاد فارس[٢] اشتهرت بالديباج التستري والخز السوسي والفرش والستور في نصيبين، كما عرفت صناعة الحرير منذ عهد الإغريق واستمر في عهد الروم والبيزنطيين في الشام[٣]، أما مصر، فقد تعددت المنسوجات المختلفة فيها[٤].

وعندما فتح المسلمون "الأنبار" كان أحد شروط الصلح أن يقدم أهلها ألف عباءة مطوانية في كل سنة[٥] ولعل بساط كسرى الذي غنمه المسلمون من المدائن[٦]، قد أثار دهشة أهل المدنية لزخرفته ومساحته الكبيرة[٧].

ولما استتب الأمر للعرب في البلاد المفتوحة، ودانت لهم بالولاء، أغرت الملابس المتنوعة العرب على الإقبال عليها، مما شجع على تسويق البضائع

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٣٦٠، دار الكتاب العربي.

(٢) سيد خليفة: تاريخ المنسوجات، ص٨٢.
ديماند: الفنون الإسلامية، ص٢٤٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٤٤.
المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٢٥٩.

(٤) المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٢٥٩.
"عندما غزا شابور الجزيرة الفراتية وآمد قام بنقل جماعة من أصحاب الصناعة وأسكنهم السوس وتستر".

(٥) سيد خليفة: تاريخ المنسوجات، ص٩٨ (انظر التفاصيل).

(٦) ديماند: الفنون الإسلامية، ص٢٤٩.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٤٤.

وانتقالها إلى الأسواق الجديدة، لوم تمض عدة عقود حتى تنوعت بشكل غريب، فأصبح لكل جماعة أو طبقة نوع خاص بها، وكذلك كان لكل مناسبة زي أيضاً، فضلاً عن إقبال الأمراء والأغنياء، مما شجع على الاستيراد ونمو الصناعات المقتبسة[1] التي كانت تصنع وفق الأساليب المقتبسة عنهم (أساليب الساسانيين والأقباط) وغيرهم، غير أن أسلوباً جديداً أخذ ينمو تدريجياً ويتطور ويسود جميع البلاد.

صناعة الحرير:[2]

عمت الصناعات الحريرية بلاد فارس والأجزاء الشرقية، وكانت مزدهرة بهذه الصناعات عندما تم فتحها، فقد دفعت بعض المدن منسوجات كجزء من المال في شروط الصلح.

وقد تردد اسم الخز بالسوس على لسان زياد بن أبيه[3] لأحد ولاته كما روي بأنه بعث بقطعة من الديباج منسوجة بالذهب إلى الحربية[4].

ومن المدن التي اشتهرت بالمنسوجات الحريرية، تُسْتُر التي عرفت بالملاحف[5] إلى جانب الديباج والحرير والخز والستر والبسط والفرش[6]، وعملت اصطخر الأكسية[7]، والسوس الثياب المصنوعة من الخز الجيد[8]، وطبرستان

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص٣٥٨ (اقتبست الصناعات عن الفرس في الدرجة الأولى).

(٢) مصطفى جواد: مجلة غرفة تجارة بغداد، الصناعات الفنون القديمة ص٨٥٧، سنة ١٩٤١. يسمى الحرير الخام قبل غزله قزاً، وبعد غزله الإبريسم، وإذا خلط بالصوف سمي خزاً، وإذا صبغ الإبريسم حريراً.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، القسم ٤، ج١، ص٢٠٠، إحسان عباس.

(٤) المصدر السابق، ص١٩٦.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٧، ص٢٤٤، سميت الملاحف التسترية.

(٦) الاصطخري: المسالك والممالك، ص٦٤. القزويني. آثار البلاد، ١٧١.

(٧) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٢٤٤.

بالحرير والأكسية[1]، وقد كان لها شهرة واسعة لحقتها من تربية دودة القز، حيث كانت تصدر إلى كافة البلاد الإبريسم[2].

وفاقت تبريز غيرها بالأطلس[3] وسمرقند بالأثواب المنسوجة[4] وامتازت نيسابور بالحرير السندسي الجميل[5] وشيراز بالثياب الحريرية[6] وكذلك ميسان[7].

كما وجدت دار في بخارى لصناعة البسط والوسائد والبرود والثياب[8] هذا إلى جانب الري، وتبلغ وجرجان وقوهي[9] وغيرها.

وعرفت عدة مدن في العراق بصناعة الحرير، فالكوفة اشتهرت بالخمر[10] والوشي[11] والخز[12] والعمائم الكوفية المشهورة بجمالها وجودتها[13] والمناديل

(٨) البلاذري: أنساب الأشراف، قسم ٤، ج١، ص٢٤٠.
الاصطخري: المسالك والممالك، ص٦٤.

(١) القزويني: آثار البلاد، ص١٢٥

(٢) المصدر السابق، ص٤٠٤.

(٣) القزويني: آثار البلاد، ص٢٣٩ .

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد ،ج٧، ص٢٤٥.

(٥) القزويني : آثار البلاد، ص١٤٧.

(٦) المصدر السابق، ص٢١١.

(٧) ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص١٨٧.
الجاحظ: التبصّر بالتجارة، ص٢١.

(٨) النرسخي: تاريخ بخارى، ص٢٧.

(٩) ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص١١٩.

(١٠) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٢٤٥.

(١١) الأصفهاني: الأغاني، ج٢، ص١٧٣ (الخمر التي كانت تضعها النساء على وجوههن، وكانت تحمل إلى الحجاز وسوقها رائج).

(١٢) الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص١٩.

(١٣) ابن الفقيه: البلدان، ص٢٥٢ (الخز: نسيج رقيق يعمل من الصوف والحرير).

الحريرية المستعملة لتغطية الرأس[1] وهي بذلك ورثت الحيرة التي كانت مركزاً هاماً في عهد الساسانيين[2]، كما كانت الأنبار[3] مركزاً لنسج العباءات القطوانية والأقمشة الحارية (نسبة إلى الحيرة) واشتهرت النعمانية بالأكسية البديعة والطنافس الجيدة[4]، كما كانت مدينة قصر ابن هبيرة مملوءة بالحاكة[5]، ولم تخل مدينة من الحاكة ونساجي الأقمشة[6].

أما في مصر، فقد انتشرت صناعة الحرير، وأنشئت المصانع خصيصاً لإنتاج المنسوجات، وكانت خيوط الحرير الطبيعي تستورد من الصين ثم يخلطه النساجون بخيوط كتانية رفيعة، طالما اشتهروا بها منذ عهد الفراعنة[7] واستمر الأقباط يعملون بذلك في دور الطرز[8] إلى جانب الموالي.

والجدير بالذكر أن الصناعة عامة اتجهت باتجاهين، أحدهما شخصي والآخر رسمي، فالأول كانت تملكه بعض الأسر يبيعون ما يصنعون لحسابهم بينما الآخر يتمثل في إشراف الدولة على مصانع النسيج واحتكارها وهو ما عرف باسم الطرز[9] وكانت من أهم مظاهر التحضر، وكانت تدل على أبهة الملك أو السلطان[10].

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٢٨.

(٢) ولا يزال يطلق على الحطة تحت العقال اسم الكوفية نسبة لها.

(٣) مدينة بضواحي الكوفة.

(٤) الحيرة: اشتهرت بالطيلسان، وقد كانت هذه الألبسة من جملة ما فرضه خالد بن الوليد على النصارى وزعيمهم عبد المسيح بن بعيلة.
البلاذري: فتوح، ص٣١٤.

(٥) فريال المختار: المنسوجات العراقية، ص٤٨.

(٦) ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص١٢١.

(٧) مصطفى محمد حسين: دراسات في تطور فنون النسيج والطباعة، ص٤٦.

(٨) ديماند: الفنون الإسلامية، ص٢٤٩.

(٩) Lewis, B. The Arabs In History, P. 86, 87.

(١٠) حسن الباشا: المدخل إلى الآثار الإسلامية، ص٣٤٧.

وإلى جانب دمياط وذبيق وتنيس[1] عرفت الاسكندرية بنسج الوشي وقوص[2] بالملابس.

وازدهرت هذه الصناعة في صيدا وحلب ودمشق[3]، وأخذت تتطور حتى نسب إليها القماش، والرصافة لعبت دوراً بارزاً في عهد هشام بن عبد الملك، فقد وجدت فيها صناعة خاصة بالألبسة والأثواب[4] الأنيقة. كما اشتهرت اليمن بالوشي اليماني الثمين[5].

كان ذلك أشهر أماكن النسيج في الدولة الأموية، ولقد راجت صناعته بعد فترة الزهد والتقشف التي كانت سائدة في عهد الخلفاء الراشدين.

فلما أفضت الخلافة إلى بني أمية، وخالطوا الفرس والروم، أخذوا عنهم مظاهر الترف، ولعل أبسطه بالنسبة إليهم ارتداء الحرير لقد روي أن هشام بن عبد الملك كان لا يلبس إلا الخز والوشي[6] وقلّده الاس وساروا على نهجه[7]، كما أسرف الوليد بن يزيد في اقتناء الثياب[8]، لذلك أصبحت الحاجة ماسة إلى صانع النسيج، فاعتنى بها الخلفاء منذ عهد عبد الملك الذي قام بإبدال الطراز المعروف سابقاً لدى القياصرة والأكاسرة بطراز عربي كتب عليه سورة التوحيد والشعارات الإسلامية، فكان ينقش كل دور الطرز الرسمية على نسيج الكسوة من

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص٢٦٦.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٢٤٦.
سيد خليفة: تاريخ المنسوجات، ص٨٢.

(٣) ابن عبد ربه: المصدر والصفحة.

(٤) سيد خليفة: تاريخ المنسوجات، ص٩٨.
ريسلر: الحضارة العربية، ص١٢٥.

(٥) القزويني: آثار البلاد، ص١٩٨.

(٦) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٣٢٨.

(٧) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص٢١٧.

(٨) زيدان: التمدن الإسلامي، ج٥، ص٦٤٢ (لقد بلغت ثيابه الآلاف).

الحرير والذهب بلون مخالف[1] وبخيوط من الفضة[2].

هذا وقد شاع في عهد سليمان بن عبد الملك لبس الوشي حتى أصبح اللباس الرسمي فكان لا يسمح لأحد أن يدخل عليه -حتى من أهل بيته- إلا في الوشي، وكذلك عماله وأصحابه[3]. وهذا يعطينا فكرة واضحة عن مقدار ما وصلت إليه صناعة المنسوجات الحريرية من تقدم وتطور سواء على الصعيد الرسمي أو الشخصي، بحيث وصلت إلى كتابة الآيات بخيوط ذهبية، تدل على قدرة وتمكن في الصناعة.

المنسوجات الكتانية:

توفرت في عهد بني أمية كافة العوامل المساعدة في سبيل تقدم وازدهار صناعة الكتان، فنسجت منه الملابس الفاخرة، فأقبل عليها أفراد المجتمع مما أثار اهتمام الخلفاء للعناية بصناعته وتجارته فعملوا على مراقبته[4] في كافة المدن الصناعية.

وتفوقت عدة مدن في صنع الأنسجة الكتانية في مصر، كدمياط، وتنيس[5] ودلاّص والفيوم اللتين اشتهرتا بالخيش[6] بجانب دبيق ذات الشهرة الواسعة في الثياب الرقيقة[7]، فقد تمكن المصريون في هذه المدن من صنع الأنسجة الرقيقة التي تصنع منها الملابس الداخلية وتلف بها العمائم، وتعمل منها الخمر التي

(١) القلقشندي: مآثر الأنافة، ج٢، ص٢٣٠.
(٢) القلقشندي: المصدر والصفحة.
مصطفى محمد حسين: دراسات في تطور النسيج، ص٤٨.
(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص١٨٥.
(٤) ريسلر: الحضارة الإسلامية، ص١٢٥.
(٥) القزويني: آثار البلاد، ص١٩٢. سيد خليفة: تاريخ المنسوجات، ص١٤٥.
(٦) سيد عاشور: صناعة وتجارة الأقمشة، ص١٠.
(٧) ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص١٩٣. القزويني: آثار البلاد، ص١٤٧.

تغطي رؤوس النساء[1].

وهكذا تفوقت مصر في هذه الصناعة على غيرها، فلم يصل إنتاج العراق إلى مستواها[2] وكذلك الأجزاء الشرقية[3] حتى قيل: الكتان لمصر[4].

المنسوجات القطنية:[5]

اشتهرت العراق بزراعة القطن وخاصة الكوفة والبصرة اللتان كانتا تنتجان كميات هائلة منه في العهد الإسلامي حيث صنعت المنسوجات المتعددة[6] إلى جانب كسكر[7] وواسط[8].

وعرفت إيران صناعته ونسجه، وكانت منسوجاته مقصورة على الطبقات الفقيرة بينما الأغنياء كانوا يفضلون الحرير والكتان[9]، واشتهرت كرمان بالأقمشة الجيدة بينما الأنسجة المطبوعة في وسط فارس وبخارى[10] وتميزت خراسان بصناعة القطن حتى قيل "القطن الخراسان"[11] وصنعت أصفهان

(١) أحمد مختار العبادي: مجلة عالم الفكر: من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية"، مجلد١١، العدد١، ص١٤٤.

(٢) فريال المختار: المنسوجات العراقية، ص٣٨.

(٣) زرع الكتان في المناطق الشرقية وصنع في كازردن، وسينين، وجرجان وطبرستان، والديلم. انظر: الاصطخري: المسالك والممالك، ص٩٤، ١١٠. انظر: ابن علي الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٤٦.

(٤) الجاحظ: التبصّر بالتجارة، ص١٩.

(٥) عرف العرب قبل الإسلام الملابس القطنية، وكانوا يرتدونها، وقد زرعه العراقيون منذ الأشوريين، انظر: فريال المختار: المنسوجات العراقية الإسلامية، ص٢٧.

(٦) فريال المختار: المرجع والصفحة.

(٧) سيد خليفة: تاريخ المنسوجات، ص٢٢٩.

(٨) ريسلر: الحضارة العربية، ص١٢٥.

(٩) الجاحظ: التبصّر بالتجارة، ص١٩.

(١٠) القزويني: آثار البلاد، ص٢٩٧.

(١١) الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٦١.

الخمارات[1] بجانب اصطخرستان[2] وخوارزم[3].

وامتازت بخارى بنسج الكرياس (نسيج يشبه الدمور) الذي كان يصدر إلى جمي الولايات للمترفين وكان يثمن بالديباج[4].

وعرفت مصر نسيج القطن وكانت من المدن التي تنسج الكتان (تنيس والاسكندرية ودبيق) وتخصصت دمياط بإنتاج الأقمشة البيضاء[5].

كما وجدت المنسوجات القطنية في بلاد الشام عند الفتح الإسلامي بجانب العراق وإيران[6].

وهكذا توفرت العوامل المساعدة لإنبات القطن وصناعته من مناخ ملائم ومياه وفيرة وأيدٍ خبيرة مما ساعد على تقدم هذه الصناعة إلى جانب الصناعات الأخرى.

المنسوجات الصوفية:

عرفت المنسوجات الصوفية في المجتمع العراقي قبل الإسلام، فقد صالح أهل الأنبار المسلمين على الجزية بدفع ألف عباءة من الصوف الأسود كل سنة، عرفت آنئذ بالعبي القطوانية[7].

كما اشتهرت النعمانية (من بغداد والكوت) بالنسيج والبسط[8] النعمانية،

---

(١) المصدر السابق، ص١٧٠.
(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٢، القسم ١، ص١٩.
(٣) ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص١٥٣.
(٤) النرسخي: تاريخ بخارى، ص٣٠، ٣١.
(٥) سيد عاشور: صناعة وتجارة الأقمشة، ص٩.
(٦) ريسلر: الحضارة العربية، ص١٢٥.
(٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٤٤.
(٨) ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ١٨٦.

بجانب عمل الصوف والأكسية البديعة والثياب الملونة إلى جانب البصرة[1]، كما اهتمت الكوفة بصناعة البسط والخيام من المواد المتعددة[2]. وأوجد هشام بن عبد الملك صناعة أكياس الصوف الجيدة في الرصافة[3].

أما المناطق الشرقية، فعرفت خوارزم بالثياب الصوفية[4]، وصنعت في جهرم الأصواف المنسوجة[5] وفي أذربيجان البسط والوسائد[6] هذا إلى جانب عمائم وملابس أسيوط وأخميم[7].

وقد لخص الجاحظ تفوق البلاد ونوع المنسوجات بقوله وخيرة الأكيسة من الصوف المصرية، ثم الخورية الفارسية والمرعرى الفارسية الشيرازية ثم الأصفهانية ثم الطبرية»[8].

وقد استلزمت صناعة النسيج بأنواعها (الحريرية والقطنية والكتانية والصوفية)، وجود صناعة التلوين أو ما يعرف بالصباغة، وذلك لإعطاء القماش مظهراً جمالياً أنيقاً، فاللون الأزرق كان يؤخذ من النيلة[9] بينما الأحمر استخرج

---

(١) القزويني: آثار البلاد، ص١٩٨.

(٢) الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٧٠.

(٣) المصدر السابق، ص٩٢.

(٤) المصدر السابق، ص١١٠.

(٥) الجاحظ: التبصّر بالتجارة، ص٢٢.

(٦) أحمد مختار العبادي: مجلة عالم الفكر، الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، مجلد١١، عدد١، ص١٤٤.

(٧) خيمة الصوف تسمى خباء، خيمة الشعر تسمى فسطاط، خيمة الوبر تسمى السجاد، خيمة القطن تسمى السرادق، خيمة الجلد تسمى الطراف.

(٨) السجادة إذا فرشت على الأرض وكانت كبيرة تسمى بسطاً، وإذا كانت مستطيلة تسمى الأنخاع، وإذا علقت للزينة تسمى الأنماط، وإذا كانت للصلاة سميت السجاد.
الألوسي: بلغ الأرب، ج٢، ٣٩٣، ٣٩٤.

(٩) النيلة: نبات يزرع في إيران، يستعمل في صبغ الألوان الزرقاء وأخذت تجلب في الآونة الأخيرة من البنغال.

من القوة[1]، والأصفر من الزعفران[2]، كما تفنن الصباغون، فأوجدوا ألواناً عدة، وذلك بخلط الألوان الأولية بعضها مع بعض بنسب مختلفة[3]، كما جلبت بعض الألوان كالقرمز[4] والورس من اليمن[5].

وقد أدى صبغ الخيوط إلى تطور صناعة النسيج والبسط خاصة، فأخذنا نشاهد الرسوم الحيوانية للخيول والجمال والفيلة والطيور والأشكال الهندسية المتنوعة كالمستطيلات، المربعات بألوان زاهية جذابة. مما منح هذه الصناعة شهرة واسعة، وزاد الإقبال عليها، فراجت أسواقها ولعل شهرة موالي الكوفة في هذا العهد يرجع إلى أنها ورثت ذلك عن الحيرة[6] في العهد الأموي.

صناعة العطور والدهون:

عرف المجتمع الأموي صناعة العطور والدهون، فالعطور للتطيب، والدهون لتطرية الجسم ومنحه اللون المناسب، واشتهرت بذلك جور[7] التي عرفت بمائها، وكذلك ماء الياسمين والبنفسج[8].

---

(١) القوة: اسم نبات يستعمل لصبغ الأقمشة باللون الأحمر.

(٢) الزعفران: زرع في جور، انظر الاصطخري، ص٩٢، وفي حماه.
اليعقوبي: تاريخ ج٢، ص٢٢٤. وفي برقة ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٢، ص١٤.

(٣) محمد حسين الزبيدي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ص١٩٤.

(٤) الجاحظ: التبصّر بالتجارة، ص٢٤.

(٥) الاصطخري: المسالك والممالك، ص٢٦. الثعالبي: فقه اللغة ص١٥٦.

(٦) زكي محمد حسن: فنون الإسلام، ص٣٩٧.

(٧) الاصطخري: المسالك والممالك، ص٩٢، (ماء جور).
ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٢٤٤.

(٨) القزويني: آثار البلاد، ص٢١١..

أما الدهون المطرية للبشرة والتي تمنحها الحيوية، فقد عرفت في دار ابجراد[١] (فارس) وادهان سابور[٢]، وهناك أدهان ريحانية وردية في شيراز[٣].

واستخرج دهن القطن في العراق في عهد الحجاج، بعد نقع القطن المحلوج بالخل وتجفيفه في الظل ثم نقعه ثانية في الماء وطبخه[٤] وكانت الكوفة والبصرة من أشهر المناطق في هذا العهد في صناعة العطور، وخاصة ماء الورد، ودهن البنفسج[٥]، وكانوا يستخرجونها من الأزهار التي يزرعونها لهذا الغرض[٦].

أما المصريون فقد استخلصوا دهن البيلسان من شجر البيلسان[٧].

كما عرفت الأشربة المعطرة كماء الورد في جور[٨] والأشربة الريحانية في شيراز[٩]، وقام الموالي إلى جانب صنعها بنقلها وتعريف الناس عليها باستعمالها.

معادن الزينة:

استعمل المجتمع الأموي أدوات الزينة المنوعة المعدنية وغيرها، فقد صيغ الذهب والفضة كحلي للنساء نتيجة للترف وتطور المجتمع، ولاقت هذه الصناعة رواجاً وإقبالاً كأدوات للزينة، فصنعت منها الأكاليل والأساور والخلاخيل

---

(١) الاصطخري: المسالك والممالك، ص٩٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٢. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص١٦٨.

(٣) القزويني: آثار البلاد، ص٢١١.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ٦١٣.

(٥) ابن الفقيه: البلدان، ص٢٥٢.
الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٥٢.

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٢٤٠، (زرعوا الورد والأترج في الكوفة).

(٧) الاصطخري: المسالك والممالك، ص٤٢. الجاحظ: التبصّر بالتجارة، ص٢٥.

(٨) الجاحظ: التبصّر بالتجارة، ص٩٢.

(٩) القزويني: آثار البلاد، ص٢١١.

والمعاضد والقلائد والعقود والخواتم.

كما استعمل الأغنياء المترفون، أدوات ذهب وفضة للمباهاة والتفاخر كالأواني والكؤوس[1] إلى جانب أدوات الزينة المطعمة بالجواهر[2].

وقد وجد الذهب[3] والفضة[4] في مناطق متعددة، وكان ينقل من أماكن التعدين إلى حيث الصياغة والتصنيع.

وتزينت النساء أيضاً باللؤلؤ والحجارة الكريمة. أما اللؤلؤ فقد استخرج من

---

(١) البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، ص٣٠. حيدر أباد سنة ١٣٥٥هـ.

(٢) المصدر السابق، ص٦٨، (أهدي إلى مصعب بن الزبير نخلة مصنوعة من الذهب عليها أنواع الجواهر منظومة بين السعف على مثال "البسر والتمر" وقد قدر ثمنها بمليوني دينار).

(٣) كان الذهب موجوداً في المناطق التالية: انظر

سجلمانه (المغرب العربي) الاصطخري: المسالك والممالك، ٢٤.

قرب أسوان. المصدر السابق.

سلوق (اليمن). القزويني: آثار البلاد، ص٤٥.

خرخير (خراسان). الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٥٧.

ما وراء النهر. المصدر السابق، ص١٦١، ابن خرداذبة. المسالك والممالك، ص١٧٩.

قم. القزويني: آثار البلاد، ص٢٤٣.

الري. المصدر السابق، ص٣٧٥.

(٤) الفضة:

إفريقيا الغربية. القزويني: آثار البلاد، ص١٤٨.

سلوق. المصدر السابق، ص٤٥.

ما وراء النهر. الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٦١. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٣٩.

قم. القزويني: آثار البلاد، ص٤٤٣.

خراسان. الاصخطري: المسالك والممالك ١٥٢، ١٥٦.

كرمان. المصدر السابق، ص٩٨.

أعماق البحار، وقد تميز بعضه عن بعض بسبب الموقع[١] والحجم، مما أدى إلى إطلاق تسميات على حباته تبعاً للحجم[٢].

وكان للأحجار الكريمة نصيب في الأغراض السابقة عرف منها الزبرجد[٣] والزمرد[٤] والياقوت الجيد كالبهرماني[٥] والمكراني[٦] إلى جانب العقيق اليماني الممتاز[٧] وتعود هذه الصناعات وإدخالها للموالي لمعرفتهم التامة بها من قبل.

---

(١) وجد مقابل عدن، انظر الاصطخري: المسالك والممالك، ص٢٦.
ابن الأكفاني: نخب الذخائر في أحوال الجواهر، ص٣٢.
الاصطخري: المسالك والممالك، ص٠٣.
ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص٨٧.
ابن الأكفاني: نخب الذخائر، ص٣٢. (وقد قيل: خير اللؤلؤ العماني الصلفي)، انظر الجاحظ: التبصّر بالتجارة، ص١٢.

(٢) إذا كانت حبة اللؤلؤ كبيرة تزن نصف مثقال سميت درة، بينما يطلق على الصغار المرجان، الجاحظ: التبصّر بالتجارة، ص١٣.
أعظم ما وجد من اللؤلؤ اليتيمة التي كانت عند عبدالملك، فقد كان وزنها ثلاث مثاقيل، ابن الأكفاني: نخب الذخائر، ص٣٤، تحقيق أنسطاس الكرملي، القاهرة: المطبعة العصرية، سنة ١٩٣٩.

(٣) استخرج الزبرجد من صعيد مصر. الاصطخري: المسالك والممالك، ص٤٠.
ابن الأكفاني: نخب الذخائر، ص٤٩.

(٤) استخرج الزمرد من قرية الملك، القزويني: آثار البلاد، ص١٨٧.

(٥) الجاحظ: التبصّر بالتجارة، ص١٣.
البهرمان: ضرب من العصفر في اللغة الفارسية. انظر ابن الأكفاني: نخب الذخائر، ص٨.

(٦) ابن الأكفاني: المصدر السابق، ص٧.

(٧) الجاحظ: التبصّر بالتجارة، ص١٥. القزويني: آثار البلاد ص٦٢.

معادن أخرى:

وهناك معادن أخرى تم الاستفادة من تصنيعها، وفي مقدمتها الحديد[1] الذي كانت تصنع منه الأسلحة من سيوف ورماح ودروع وأسنة، وقد نشأت هذه الصناعة في العراق في هذا العهد باعتبارها مركز انطلاق، ودعم لجيوش الفتح الإسلامي.

كما وجد الرخام الجيد والفسيفساء في بلاد الشام[2] كمادتين مهمتين في الزخرفة الإسلامية في فن العمارة.

هذا إلى جانب النفط والقير[3] والزئبق[4] والملح والكبريت والشب وغيرها.

الصناعات الخشبية:

كانت البلاد الخاضعة للحكم الأموي كثيرة الأشجار، فقد تم الاستفادة منها في الصناعات الخشبية التقليدية كالأبواب والشبابيك، والكراسي والمناضد، فعرفت صناعة الموائد والصحون في دار أبجراد[5] وصناعة الأمشاط والأثاث

---

(١) كان الحديد موجوداً في بجلة بالحجان، انظر الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٦١.
ما وراء النهر، انظر يوسف غنيمة، المقتطف، الأثاث والأواني في الحيرة، إكتوبر سنة ١٩٣٢، ص٢٩٥.
كرمان. انظر الاصطخري: المسالك والممالك، ص٩٨.
ريحان، انظر القزويني: آثار البلاد، ص٣٨٣.
إفريقيا العربية. المصدر السابق،، ص١٤٨.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٢٦٥.

(٣) وجد في خوزستان، انظر الاصطخري: المسالك والممالك، ص٦٤.
السن، الجزيرة العربية، المصدر السابق، ص٥٢.

(٤) وجد في اصطخر. انظر ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٢١١.
دار أبجراد. انظر القزويني: اثار البلاد، ص٢٨٨.
ما وراء النهر. انظر الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٦١.

(٥) القزويني: آثار البلاد، ص١٨٨.

الخشبي في الري[١].

ونشطت في العراق صناعة أدوات القتال كالرماح والسهام وغيرها ويعود هذا التطور في تحسين فن التجارة والتنجيد إلى أهل الحيرة[٢] حيث قام الموالي فيما بعد بكل ذلك.

وتقدمت صناعة السفن والقوارب، بسبب اعتناء الخليفة والولاة[٣] بصناعتها، ففي العراق اهتم الحجاج بها كثيراً، فأجرى عليها إصلاحات، فكان أول من أجرى السفن المدهونة بالقير[٤] وغير المخرزة وذات الجآجيء[٥].

وإلى جانب الصناعات السابقة، فقد وجدت صناعات متعددة كالخزف والزجاج، والسكر والورق، وكان الخزف كثيرا الإنتاج في هذا العهد، فقد صنع منه الأباريق الصغيرة والزمازم ذات الخطوط الأفقية المتعرجة والرسوم النباتية[٦]، واحتلت أصفهان مكانة متقدمة في صنعه وخاصة الكوز الفخارية ذات المهارة الصناعية مع الدقة في العمل، بحيث صنعوا الكوز ذات وزن أربعة مثاقيل ويتسع لثمانية أرطال[٧] وبذلك بلغ موالي تلك البلاد درجة عظمية من الدقة والإتقان.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٧٦.

(٢) يوسف غنيمة: الحيرة، ص٨٥.

(٣) أول من بدأ صناعة السفن معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٩هـ، وكان مركزها عكا، فلما تولى هشام بن عبد الملك نقلها إلى صور.
انظر: ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص١٤٨.
وكان خشب لبنان هو الذي يستعمل في كلا الطرفين، انظر: أحمد العدوي، مجلة تاريخ العرب والعالم (الأقباط وبناء السفن)، السنة الأولى، العدد١، ص٥٤.
وفي عهد عبدالله بن أبي السرح، كان مركز صناعة السفن في مصر، ويعث بها إلى الشام. المرجع السابق والصفحة.

(٤) ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص١٩٥.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٢١٤، ٢١٥. الجؤجؤ: هي مقدمة السفينة العالية.

(٦) ديماند: الفنون الإسلامية، ص١٨٠.

(٧) القزويني: آثار البلاد، ص٢٩٧.

واحتلت العراق مكانة واضحة في صنعه، وذلك بفضل تأثير الحيرة التي نقل منها هذه الصناعة وبخاصة إلى الكوفة، وواسط[1] فقد تم عمل جرار كبيرة وصغيرة للماء والنبيذ، وأوان وكؤوس ذات ألوان زاهية[2] كما استطاع مهرة الصناع إبداع أنواع فاخرة وملونة وعليها رسوم ونقوش وأشكال هندسية متعددة كالدوائر والعقود المتشابكة، والطيور المتقابلة والمتدابرة، والحيوانات التي تحيط بها فروع النباتات والوريقات فضلاً عن الرسوم الآدمية[3]،، هذا إلى جانب القاشاني المزجج المتعدد الأغراض.

كما اشتهرت مدينة الرقة بالخزف والفخار، وامتاز خزفها بالذوق الفني الرفيع[4].

ونلمس تأثير الموالي في هذه الصناعة في المهارة والدقة وإدخال الألوان الزاهية الجذابة وإبداع الرسوم والأشكال الهندسية المتعددة، وإيجاد القاشاني المزججة.

وصناعة الزجاج ظلت تمارس كما في العهود السابقة، فصنع الموالي الأكواب والأباريق بأشكال متعددة أجملها ما كان على هيئة الكمثرى[5] إلا أنها في هذا العهد قد حليت بزخارف ورسوم حيوانية من ابتكار مهرة الصناع في هذا العهد[6].

---

(١) العاضدي: واسط في العصر الأموي، ص٤٤٧.

(٢) يوسف غنيمة: المقتطف، الأثاث والأواني في الحيرة، اكتوبر سنة ١٩٣٢، ص٢٩٥. يوسف غنيمة. الحيرة، ص٨١.

(٣) زكي محمد حسن: فنون الإسلام، ص٢٥٨، ٢٥٩.

(٤) سعاد ماهر: مجلة كلية الآداب، خزف الرقة، ج٢، ص١١١.
الزبيدي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، ٣٠١٧.

(٥) ديماند: الفنون الإسلامية، ص٢٣٠.

(٦) المرجع السابق، ص٢٣١.

وقد شاعت (وخاصة في سوريا) زخرفة الأواني الزجاجية بالأقراص والخيوط المضافة إلى سطح الإناء، ولكن الجديد الذي أضيف في هذه الفترة الخطوط المتعرجة والأشرطة المتموجة والنقط الملونة باللون الأصلي أو الأزرق أو الأبيض، هذا إلى جانب الأواني ذات الزخارف الحيوانية التي تحمل فوق ظهورها سلاسلَ أو أوعية، عدا ما أضيف على بعض السلطانيات من كتابات كوفية وتعبيرات خزفية ساسانية(١).

وقد أقبل أفراد المجتمع على الزجاج، وكانوا يفضلون الزجاج البلوري الصافي الأبيض النقي(٢).

ويتضح لنا تأثير الموالي في صناعة الزجاج بتجميل المصنوعات الزجاجية بالزخارف والرسوم الحيوانية، إلى جانب الخطوط المتعرجة والأشرطة المتموجة والنقط الملونة.

ولعل صناعة قصب السكر في الأهواز، في هذا العهد، قد نمت وتقدمت حتى أخذ ينافس أصفهان، من حيث الجودة والإتقان والمحصول(٣)، وقد عُرف سكر القصب بثلاثة أنواع مختلفة أفضله الأبيض، ثم يليه الأحمر وأدناه ما يميل إلى السواد(٤).

أما صناعة الورق، فقد كانت معروفة عند الفتح الإسلامي في سمر قند(٥) وقد تطورت في هذا العهد بتنقيتها من الشوائب، حتى وصف "الكاغد" الجيد

---

(١) ديماند: الفنون الإسلامية، ص٢٣٢.

(٢) الجاحظ: التبصّر بالتجارة، ص١٦.

(٣) أحمد العبادي: مجلة عالم الفكر، ص١٥٢.

(٤) ابن علي الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٥١.

(٥) لقد فتحها قتيبة بن مسلم سنة ٩٤هـ=٧١٣م.

بصفاء اللون ونعومة الملمس وبجودة الصقل[1] واستمرت سمرقند في هذا العهد أكبر مركز لصناعة الورق الجيد[2].

ثالثا: التجارة:

نشطت التجارة في هذا العهد لازدهار الزراعة والصناعة، ولعل الدولة ساهمت بنصيب وافر، فقد وفرت الأمن[3]، مما أتاح للتجار حرية الانتقال دون خوف ولا وجل، إلى جانب إقامتها القناطر والجسور فوق الأنهار، والطرق بين المدن.

ولعل توفير نوع جديد من المنتجات، وخاصة الملبوسات في الأمصار المفتوحة، بهرت العرب فأقبلوا عليها، وقد شجع هذا التجار على نقل البضائع كما أن سعة السوق الذي شمل عدة أقطار، وكثرة الأسواق في المدن، واستغلال مواسم الحج قد ساهم في النمو الدائم للتجارة.

كما أن الموالي، نتيجة خبرتهم السابقة قبل الفتح، دفعوا الحركة التجارية إلى الأمام، فقد نزح سكان الحيرة بعد الفتح إلى مدن العراق وخاصة الكوفة.

وقد كان لهؤلاء التجار خبرة واسعة، وممارسة طويلة في هذا الميدان نفذوا تطبيقه في العهد الأموي، فوصلت شهرة هؤلاء التجار إلى أبعد المدن. قال ابن الفقيه: "..... وأبعد الناس نجعة في الكسب بصرى وحيرى، ومن دخل فرغانة

---

(١) ابن علي الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٤٤.

(٢) أحمد العبادي: عالم الفكر، ص١٥٣.
محمد الصبيحي: التجارة والاقتصاد عند العرب، ص٢١.

(٣) فقد أعلن زياد بن أبيه في خطبة البتراء عزمه على قطع دابر قطاع الطرق بحزم.
انظر الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٥٦.
وجهز الحجاج حملة ضد الديبل ملبياً دعوة نساء التجار الذين اضطهدوا واعتدي عليهم هناك. الجاحظ، ج٢، ص١٦١.

القصوى والسوس الأقصى، فلا بد أن يرى فيها بصرياً أو حيرياً[1].

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الشرع الإسلامي، كان يسقط ضريبة الخراج عن كل أرض تحول إلى أسواق أو حوانيت[2].

كانت هذه العوامل وغيرها قد دفعت العملية التجارية خطوات إلى الأمام، فقام العرب بتأسيس مدن جديدة، لم تكن معروفة من قبل، بلغ عددها خمساً وعشرين مدينة في أقاليم الدولة[3]. وهذه الدول في الغالب ما تكون مركزاً للإقليم من الناحية الإدارية وتعتمد على القرى المجاورة في المواد التموينية[4]، وقد أوجدتها الحاجة الماسة لسد العجز، ومن ثم إيجاد مورد جديد لبيت المال، وذلك بصيانة المنشآت العامة، وترتيب الخفراء لحراسة الأسواق، ومراقبة الأمن في المدن ليلاً[5].

والأسواق كانت ملتقى التجار من قبل الإسلام، فقد عرف عكاظ ودومة الجندل كأسواق موسمية، فكان سكان الحيرة يرسلون الطيب والبر[6]، ولما استقر الإسلام في البلاد المفتوحة، أخذت المدن تستغني عن أسواق المواسم بالدائمة، فكان التجار يلتقون لعرض بضائعهم، مما رسّخ التجارة في المدن كافة[7].

وقد اتبع العرب المسلمون أسلوباً ثابتاً في تصميم المدن، منذ البداية، حيث

---

(١) ابن الفقيه: البلدان، ص٢٥، ١٩١.
(٢) فتوح البلدن، ص٦٢٨.
(٣) من هذه المدن شيراز في فارس، والبصرة والكوفة وواسط والفسطاط والقيروان، حسن باشا: دراسات في الحضارة الإسلامية، ص١٩١.
(٤) أحمد مختار العبادي: مجلة عالم الفكر، مظاهر الحياة الاقتصادية في المدن، ج١١، العدد١، ص١٢٨.
(٥) المرجع نفسه، ص١٣١.
(٦) حبيب مجيب المصري: الصلات بين العرب والفرس والترك، ص٢٨.
(٧) سعيد الأفغاني: أسواق العرب، ص٣٩٧.

جعلوا المسجد وسط المدينة، والأسواق قريبة منه[1]، وكثرت الأسواق في المدن[2]، وكان لكل حرفة مكان يتعاطى أصحابها خرقتهم فيه.

وقد راجت التجارة في هذا العهد في المدن، لكثرة البضائع المتنوعة، مما دعا بعض الفلاحين إلى ترك مزارعهم سعياً وراء الثراء المنتظر وتحقيق الآمال في التجارة، وهذا هدد الثروة الزراعية بالتأخر على الرغم من أنها إحدى ركائز التجارة، ومصدر التموين والمورد الهام لبيت المال، مما دفع ممثلي السلطة إلى إجبارهم على العودة إلى مزارعهم بالقوة[3].

وعرف تجار هذا العهد بالمهارة والحرص على مالهم، حتى قال فيهم زياد بن أبيه (لئن يحاور أحدكم أسداً في أجمة خير من أن يحاور تاجراً)[4]. ونتيجة لذلك توسعت التجارة، مما اضطرهم إلى استخدام موظفين بالأجرة[5].

إن رواج التجارة ونموها، أعطى مردوداً مادياً لدى التجار، فتراكمت الثروة النقدية بين أيديهم نتيجة اشتغالهم بعدة أعمال، كبيع الغنم والرقيق والعطور الدواب، حتى بلغ الفائض عند أبي دكين سبعمائة ألف درهم أقرضها لغيره[6].

---

(١) المرجع والصفحة نفسها.

(٢) من أشهر أسواق البصرة، المربد، الذي بدأ سوقاً للحيوانات، وانتهى ملتقى للشعراء، انظر الأفغاني: أسواق العرب، ص٤١٩.
وكذلك الأسواق بالكوفة، فقد كان هناك سوق البراذين (استئجار وبيع الحيوانات)، والحدادين، والصاغة والقصارين (الخياطين) وأخرى لبيع الأقمشة والمنسوجات، انظر ابن الفقيه، البلدان، ص١٨٢، انظر ماسنيون: خطط الكوفة، ص٢٦، ٢١. صيداء سنة ١٩٤٦، ترجمع تقي المصعبي. كما وجدت أسواق في الاسكندرية والفسطاط.
انظر ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار ج١، ٢٢، ٣٣.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٤١٦. (قام بذلك الحجاج في العراق).

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، قسم ٤، ج١، ٤٠٢ (تحقيق إحسان عباس).

(٥) ابن هارون الخلال: الحث على التجارة والصناعة والعمل، ص١٣.

(٦) انظر تفاصيل ذلك عن الموالي. ابن حبيب. المحبر، ص٣٤٢.

وقد وجد إلى جانب الأثرياء أفراد لديهم الخبرة العملية في التجارة، ولكن نقيصهم المال، فكانوا يلجأون إلى الاقتراض، ولما كان الإسلام يحرم الربا كان الأتقياء يقومون بالمضاربة، وذلك بتقديم المال لصاحب الخبرة مقابل عمله[1] فيضمنون الربح الحلال[2]، وهذا أدى بدوره إلى نشوء شركات الإقراض وشيوع أعمالها[3].

لقد ساهم جميع أفراد المجتمع في التجارة من عرب وأهل ذمة[4] وموالي[5]، وقد لعب الموالي دوراً كبيراً في تنشيط التجارة في المدينة لما لهم من خبرة واسعة وممارسة في هذا المجال، لخبراتهم الواسعة في هذا الميدان[6]، ولا عجب في ذلك، فهم إلى جانب ما تقدم اهتموا بالتجارة أسوة بمبادئ الدين الحنيف التي حثت على ذلك[7].

وكان الناس في تجارتهم يتعاملون بالعقود في البيع والشراء. تمشياً مع تعاليم الدين الحنيف وأبسطها الاتفاق بين البائع والمشتري والوفاء بذلك تنفيذاً لقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود"[8]، والعقد إما أن يكون شفوياً أو محرراً مكتوباً.

---

(١) ابن هارون الخلال: الحث على التجارة، ص٩.

(٢) وإن كنا لا نستطيع أن نجزم أن الجميع قد ساروا على النهج الإسلامي ولم يتعاملوا بالفائدة، فالحكومة لم تمنع بالقوة أخذ الفائدة كما لم يسمع بعقاب أنزل بمراب.
صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية، ص٢٧٠.

(٣) صالح العلي: المرجع نفسه، ص٢٧٩.

(٤) ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ٢٠٦.

(٥) ابن حبيب: المحبر، ص٣٤١-٣٤٧.

(٦) ابن الفقيه: البلدان، ص١٩١.

(٧) روي عن مجاهد في تفسير الآية "يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم"(سورة البقرة، آية ٢٧٦)، إن طيبات الكسب هي التجارة.
ابن هارون الخلال: المصدر والصفحة.

(٨) سورة المائدة، آية١.

أما أسعار المنتجات، فقد كان للدولة والموالي تأثيرٌ فيها، فقد كانت الدولة تجبي من المزارعين الموالي الخراج أو العشر، عيناً أو نقداً، والنوع الأول كانت تحمي المجتمع من التلاعب بالأسعار وتحمي المزارعين من الاضطرار لبيع منتوجاتهم بأسعار متدنية من أجل الحصول على النقد الضروري إلى جانب توزيع الحنطة والشعير كرزق شهري على المقاتلين.

وقد عرف المجتمع الأموي نظرية العرض والطلب، أي أن سعر البضاعة يحدده كثرته أو قلته في السوق، وقد روي أنه قيل لعمر بن عبد العزيز "لو أنك سعّرت؟ قال: ليس إلينا من ذلك شيء، إنما السعر إلى الله"[1].

كما أن سياسة الدولة التجارية، قد أخذت بمبدأ حرية التجارة، فلم تتدخل الدولة في نقل السلع، أو تحتكر بضاعة كما لم تمنع مبادلتها، وإن كان هذا لا ينفي احتكار بعض التجار لبعض المواد ولكن المجتمع كان ينظر إليها بازدراء واحتقار لمخالفتهم الشرع الذي ذمه، فقد قال عليه السلام "المحتكر خاطئ، والجالب مرزوق" وقال أيضاً "لا يحتكر إلا الخاطئ"، ومن هنا رأى الفقهاء تحريم الاحتكار لأن الإثم والمعصية لا يترتبان إلى على المحرم[2].

هذا وقد وقفت الدولة موقف التشجيع من التجار الصغار[3]، فقامت بإعفائهم من الضرائب المستحقة تخفيفاً لأعبائهم، كما أعفت المواشي التي للاستهلاك من الضرائب[4] أيضاً، مما ساعد هؤلاء على المشاركة في الحياة الاقتصادية والمساهمة فيها.

ولم تنس الدولة الوقوف إلى جانب الفقراء في الأزمات الاقتصادية (القحط

(١) أبو يوسف: الخراج، ص١٣٢.

(٢) يوسف حامد العالم: النظام السياسي والاقتصادي في الإسلام، ص٨٢.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص١٣٢ (بعض من كان رأسماله أقل من ٢٠٠ درهم).

(٤) ابن آدم القرشي: الخراج، ج٢، ص٦٩.

والغلاء) فقد أمر عمر بن عبد العزيز بقضاء حوائج الناس من بيت المال[1] نتيجة القحط والغلاء الذي حدث في زمانه، كما سدد ديناً من أحد التجار بلغ عشرين ألف درهم دفعها في قضاء حاجة الناس[2].

أما المكوس "الجمارك" فقد سارت كما سنها ابن الخطاب لأول مرة فمن المسلمين ٢,٥٪، ومن أهل الذمة المواطنين٥٪، أما سوى ذلك ١٠٪[3]، ويعود سبب نقص ما يدفعه المسلم عن الذمي، أن المسلم يدفع في نهاية كل حول ٢,٥٪ زكاة أمواله، بينما لايدفع الذمي إلا على التجارة فقط.

وسار الأمويون في تقاضي الجمارك على الأسلوب السابق، وعينوا جباة لذلك[4]، وكان الجباة يتخذون الأماكن المناسبة على الطرق البحرية والنهرية والبرية من أجل تحصيل نصيب بيت المال من هذه الضرائب[5] ومما يلفت النظر أن التاجر كان ثقة عند رجال المكوس، فكان الموظف يقبل منه قيمة تجارته بدون شك أو تردد، ثم يقدر ما عليها وكانت الثقة مقبولة من كافة التجار دون تمييز في اللون أو العرق، أو الدين[6].

ولكن الذي يستوقف النظر هو حرص الدولة الأموية على توفير الأمن

(١) خولة الدجيلي: بيت المال نشأته وتطوره، ص١٢٣. نقلاً عن الملكي سمط العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، ج٣، ص٢٠٢.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص١١٢ (طبع القدس).
أبو يوسف: الخراج، ص١٣٥.

(٣) القرشي: الخراج، ج٢، ص٦٥.

(٤) عيّن عمر بن عبد العزيز رجلاً للجمارك في مصر زريق بن حيان.
أبو يوسف: الخراج، ص٣٧.

(٥) أبو يوسف: المصدر السابق والصفحة.

(٦) خولة الدجيلي: بيت مال المسلمين نشأته وتطوره، ص١٠٩.

والسلام في المدن والأسواق، بتوفير الشرطة لحراسة المخازن من اللصوص[1].

كما مارس المحتسب[2] واجبه على أكمل وجه، فإلى جانب الأمر بالمعروف والنهي عن النكر[3]، كان يراقب أصحاب الصنائع في الأسواق من حيث الأمانة والجودة أو الرداءة في الإنتاج[4]، والصاغة مخافة تهريب أموال الناس[5]، وكان يعاقب كل من يخالف التعاليم المنوطة بالمهنة كالاحتيال والتدليس، فيبطل البيوع الفاسدة[6]، ويختبر من حين إلى آخر المكاييل والموازين[7]، وهذا كان يوفر الثقة للعمال وأصحاب المحلات الذين كان معظمهم من الموالي، كما أوجدها لدى أفراد المجتمع أيضاً.

هذا ووجد في السوق رجل يسمى "الناقد ومهمته تنحصر في مراقبة العملة لتمييز الجيد من الرديء الزائف[8]، وذلك نتيجة لاكتشاف بعض الدراهم المزيفة[9] مما دفع الخليفة عبد الملك بن مروان لنقل ابن المسيب[10] وأبي الزناد[11]، لضرب

---

(١) أول من أوجد شرطة الليل عمر بن الخطاب، وأسماهم العسس، ولكن الذي نظمها وأطلق على زعيمها اسم صاحب الشرطة علي بن أبي طالب حسن إبراهيم: النظم الإسلامية، ص٢٣٣.

(٢) ذكر ابن سعد أن الإمام علي بن أبي طالب كان يمشي في الأسواق ويأمر الناس بتقوى الله في البيع ويقول: "أوفوا الكيل والميزان" ويقول "لا تنفخوا اللحم".
اسن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، قسم ١، ص١٨.

(٣) ابن تيمية: السياسة الشرعية، ص٧٥. صبحي الصالح: النظم الإسلامية، ص٣١٤.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٢٥٥.
مصطفى الشكعة: معالم الحضارة الإسلامية، ص٨٥.

(٥) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٢٥٦.

(٦) المصدر نفسه، ص٢٥٣.

(٧) المصدر السابق، ص٢٥٤.

(٨) ابن هارون الخلال: الحث على التجارة والصناعة والعمل، ص٨.

(٩) اكتشف أحد الدراهم في عهد عبيد الله بن زياد مزيفاً.
البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٥٥.

(١٠) المصدر الأول والصفحة.

(١١) البلاذري. فتوح البلدان، ص٦٥٥

الدراهم وتمييز المغشوش من الخاص بالعراق في عهد الحجاج[1].

كما اقتضت الظروف وجود شخص متمرس بالذهب والفضة عارف بما يطرأ عليها، عرف بالجهبذ[2]، وكان عادة صاحب مصرف أو كاتب خراج[3]، ولعل الموالي وما لهم من خبرة في ذلك ما جعلهم يشغلون هذه الوظيفة الرسمية في العراق منذ عرف آل أبي دلف من جهابذة الحيرة[4] منذ عهد معاوية بن أبي سفيان[5].

التجارة البرية:

كانت دمشق عاصمة الدولة الأموية، ولذلك ربطت بشبكة من الطرق، لنقل البريد السريع، وحركة الجيوش، ولوصول الأموال، هذا إلى جانب الوفود التي كانت تحضر لمقابلة الخلفاء.

وقد عرفت من هذه الطرق الرئيسة -في هذا العهد- الطريق الشرقي الذي يربط العاصمة مع بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر، ولما كانت هذه الولايات تابعة لولاية العراق (الكوفة وواسط)، وخاضعة لسلطة الأمير، لذلك كانت التجارة ما بين هذين الإقليمين نشيطة جداً وعلى مدار أيام السنة، يستورد منها الفاكهة بكميات كبيرة[6] وكانت العراق بذلك ممراً للتجارة "الترانزيت"[7] في طريقها إلى العاصمة أو الحجاز في مواسم الحج.

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص٢٦١.

(٢) الجهبذ: النقاد الخبير بغوامض الأمور العارف بالنقد.

(٣) خولة الدجيلي: بيت المال، ص١٥٨.

(٤) ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص٢٠٧.

(٥) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٢٨.

(٦) الجاحظ: التبصّر بالتجارة، ص٣١، ٣٢.

كما ربطت العراق بدمشق[1] عبر بلاد العرب والشام عدا طريق الرقة والفرات.

وعلى الرغم من أن الذين كانوا يتاجرون معظمهم من الموالي إلا أن جاليات عراقية وجدت في الشرق، فقد أشار ابن حوقل إليها في سمرقند[2] وأخرى في سلجماسة من أهل الكوفة والبصرة وبغداد[3].

وقد أبدت الدولة اهتماماً بحماية العراق وتأمين وصول البضائع فأقامت محطات للاستراحة على طول الطرق، ووفرت الأمن[4]، وقسمت الطرق إلى مراحل أو منازل، وبين كل محطتين حوالي فرسخين[5] وفي كل محطة لدالة واصطبلات للدواب والخيول وسواس مهرة[6]، وكانت هذه الطرق بإشراف صاحب ديوان البريد الذي له خبرة واسعة بأحوال الطرق يتابعها حتى تبقى صالحة.

---

(٧) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٢٣.

هو سعيد بن المسيب بن حرث بن وهب المخزومي (١٣-٩٤هـ) سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة، كان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب.

ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٨٨. صفوة الصفوة، جـ٢، ص٤٤.

(١) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٩٩.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٧٢.

(٣) المصدر السابق، ص٤٢.

(٤) لما بلغ الحجاج أن قوماً من الأعراب يفسدون الطريق، كتب إليهم يهددهم فكفوا عن ذلك. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٦٦.

ولما ولي زياد بن أبيه العراق، طلب من رؤساء القوم حماية العراق وحدد لكل رجل منهم حداً، وساد الأمن والاستقرار في الطرق التجارية حتى أنه قال: لو ضاع حبل بيني وبين خراسان عرفت من أخذه. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص٥١.

(٥) الفرسخ: يساوي ٦كم.

(٦) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٦٦.

التجارة البحرية:

تبرز في هذا العهد ظاهرة اهتمام التجار وتحولهم من البحر الأحمر إلى طريق الخليج والبصرة لقصرها وسلامتها وقلة تكاليفها، مما أبرز ميناء الأبلة[(١)] كمرفأ تلتقي به السفن التجارية القادمة من الشرق والغرب. وكانت تتفرع من البصرة طريقان بحريان رئيسان أحدهما يتجه نحو البحر الأحمر ماراً بعدن حتى سقالة "موزمبيق"[(٢)] والثاني يتجه شرقاً نحو الهند فالصين[(٣)].

وقد نشطت في هذا العهد التجارة مع الهند لقربها من العراق فضلاً عما كان يلقاه التجار الهنود من التشجيع[(٤)]، كما اشتهر التجار العمانيون بالتعامل مع الصين[(٥)].

وكانت السفن التجارية تمر بسواحل بلاد فارس محملة بالأثواب والحرير والقرنفل والتوابل والأحجار الكريمة والعطور، فتفرغ حمولتها في البصرة، فيأخذ الأهلون حاجتهم، ويبعث بالباقي إلى الأسواق الأخرى في سوريا ومصر وبلاد العرب[(٦)].

هذا وقد عرف التجار جزيرة سيلان، فاشتروا منها الأحجار الكريمة وخاصة العقيق والتوابل، وباعوها النبيذ العراقي الشهير[(٧)].

وقد استفادت التجارة من حركة الرياح الموسمية، فكانت السفن تقلع من

---

(١) غزا عتبة بن غزوان هذا الميناء وفتحه عنوة، وكتب إلى عمر بن الخطاب يخبره أن"الأبلة فُرضته البحرين وعمان والهند والصين".
البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٧٧.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص١١٠.

(٣) المصدر السابق، ص١١١.

(٤) الزبيدي: الحياة الاجتماعية، ص١٥٢.

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ٢٧١.

(٦) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٦٧.

(٧) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٦٢.

البصرة في أواخر الصيف وأوائل فصل الربيع بسبب حركة الرياح الموسمية وهدوء الرياح، أما المحيط الهندي فكان لا يصلح إلا في فصل الشتاء(١).

وقد اختلفت السفن في حجومها، فمنها الكبيرة التي كانت تسير في خليج البصرة والمحيط الهندي، منطلقة من الأبلة(٢)، وكان على هذه السفن مقاتلة ونفاطين لحماية المراكب من أخطار القراصنة الهنود(٣).

أما السفن الصغيرة "القوارب"، فكانت تستعمل للتجارة النهرية والساحلية، كما استعملت للأغراض العسكرية(٤)، وقد وجدت محطات على الطرق النهرية الهامة لضمان الحماية والسلامة(٥) وقد تمتعت الملاحة البحرية بالحرية التامة لجيع الأمم والشعوب(٦).

كما وجدت طريق تربط عدن بإيلياء (العقبة) وكذلك بمصر، كما ربط البحر الأحمر بنهر النيل.

وعرفت كل من صور وأنطاكية وعدن(٧)، وجدة وصحار(٨) والبصرة والديبل

---

(١) ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص٦٢.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٢٥٨.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٤.

(٤) لقد حمل خالد بن الوليد الرجال والأثقال في السفن وسيرها في الفرات عندما سار إلى امغيشيا (مدينة جنوب العراق).

كما نقل مصعب بن الزبير جيشه من البصرة إلى الكوفة في القوارب الصغيرة. الطبري، ج٢، ص٧٢٤، مطبعة الاستقامة ١٩٣٩ القاهرة.

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٢.

(٦) اليعقوبي: البلدان، ص٢٥٠.

(٧) الاصطخري: المسالك والممالك، ص٢٦.

أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٥٩، ٦٠.

(٨) الاصطخري: المصدر السابق، ص٣١.

وتونس (ميناء القيروان)[1]، كموانئ في الدولة الأموية.

وإلى جانب ذلك اهتم خلفاء بني أمية وولاتهم بالثغور[2] فقد اهتم الحجاج بثغر قزوين، وحرص على الاستفادة منه للعراق[3].

ولما كان العربي يخاف ركوب البحر ويهابه، والرحلات بحاجة إلى معرفة بالطرق سواء أكانت برية أم بحرية، وخبرة ومعرفة بالعوامل الطبيعية، لذلك وجدنا الغالبية الكبرى من التجار في المناطق الشرقية والبحار كانت في هذا العصر هم من الموالي.

المعاملات التجارية:

إن ازدهار التجارة واتساع نطاقها في أنحاء الدولة الأموية قد أدى إلى ظهور المعاملات المالية والتجارية بين التجار، وذلك لصعوبة نقل المال، واختلاف النقد بين الأقاليم، وتسهيل الأمور التجارية، فقد عرف المجتمع الأموي في هذا العهد أنواعاً من هذه المعاملات، كحوانيت المال "البنوك" والسفتجة، والصكوك...

فالصيارفة وجدوا في المدن لتيسير العمليات المالية، فكانوا يقومون بذلك لقاء عمولة من التجار، وقد وجدت لهم أسواق خاصة في وسط المدن والقرى، وقرب المساجد الرئيسة[4] لمزاولة عملهم، ولعل الموالي والنازحين من الحيرة[5] كانوا من أكثر التجار مزاولة لهذه المهنة (وخاصة في الكوفة والبصرة)، حتى كان معظمها منهم[6]، مما كوّن لديهم الثروات الطائلة نتيجة الأرباح الضخمة الناتجة

---

(١) متز: الحضارة الإسلامية ج٢، ص٤٢٣.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج١ ،ص ٢١٧.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٢٧٧.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٤٢ (كانت أماكن الطرفين في الكوفة قرب مسجد بني حذيفة).

(٥) ماسينيوف: خطط الكوفة، ص٢٥

(٦) الجاحظ ثلاث رسائل، ص١٧، المطبعة السلفية، طبعة٢، القاهرة، سنة ١٣٨٢هـ.

عن الفائض أو الربا، بسبب تحويل الدراهم إلى دنانير وبالعكس.

كما ظهرت في هذا العهد حوانيت مالية (أشبه بالبنوك) كان يمتلكها أفراد توفر لديهم المال الكافي، كانوا إما تجاراً أو صيارفة؛ وسّعوا معاملاتهم في القبول والتسليف[1] من وإلى التجار في نطاق عملهم.

وقد اتسعت بعض هذه الحوانيت حتى كان لبعضها فروع في مدن عديدة مع اتصال دائم بالمركز[2].

وممن لعب دوراً بارزاً في هذه البيوت، كان المولى أبو دكين (مولى مراد)، الذي أقرض عشيرته سبعماية ألف درهم[3].

وعرف المجتمع كذلك الحوالة المالية "السفتجة"[4]، واستعملت الحوالة بين التجار لعدة أغراض، لتصفية الحسابات بينهم[5]، أو لتسهيل العملية التجارية.

ومن أوائل من قام بذلك الزبير في المدينة، الذي أنشأ مؤسسة مالية لها فروع في الإسكندرية والكوفة والبصرة[6]، واستمرت في عملها حتى قدرت في عهد معاوية بماية ألف درهم[7].

---

(١) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية في البصرة، ص٢٩٤، ٢٩٥
الزبيدي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، ص١٧٣،

(٢) ابن حبيب: المحبر، ص٢٤٢.

(٣) أودع أبو علي الخازن خمسين ألف دينار لدى صيراف. ابن مسكوية: تجارب الأمم، ج٢، ص١٨٧.

(٤) كلمة فارسية تعني الحوالة المالية.

(٥) الزبيدي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، ص١٧٤.

(٦) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية في البصرة، ص٢٩٥، نقلاً عن السرخسي: المبسوط، ج١٤، ص٣٧.

(٧) ابن دريد: الاشتقاق، ص٧٣.

وعرفت بعض الحوالات التي كانت تقوم مقام الشيك اليوم، فكان بعض التجار يودع ماله لدى أحد الصرافين، ثم يأخذ وصلاً به يشتري حاجته من البضائع ويعطي مقابل ذلك حوالة الصراف(١).

وتعامل الناس أيضاً بالصك، وهو أمر خطي بدفع النقود إلى الوارد اسمه(٢)، واستعمل الصك في دفع الرواتب أو الأرزاق أحياناً(٣)، فكانت تقوم مقام النقود في أغلب الحالات وخاصة في البيع والشراء(٤) والصكوك قد تصرف في المدينة نفسها(٥)، تجيرها حالاً، أو قد تكون مؤجلة(٦) إلى موعد محدد، أو مفتوحة الزمان حتى توفر المال لدى معطيه(٧).

ومن أوجه استعمال الصكوك أيضاً استعماله كسند دين، فكان والي المدينة إذا جاء مال الصدقة، أدان من أراد من قريش، وكتب بذلك وشهّد عليه(٨).

---

(١) ابن مسكوية: تجارب الأمم، ج٢، ص١٨٨. أودع أبو علي الخازن خمسين ألف دينار مع صراف.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤، قسم٢، ص١٣٢. (طبعة القدس) كان سعيد بن العاص، يُسأل المال، فإذا لم يكن لديه المال قال لسائله: اكتب به عليّ.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص١٥٥. (عمر بن الخطاب أول من صك وختم أسفل الصكاك). ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص٢٦: إن يزيد بن مسلمة منع عطاء أحد الأفراد وحبس اسمه فكتب له الحجاج: افكك لهذا عن اسمه، واصكك لعطائه.

(٤) وكيع: أخبار القضاة، ج١، ص٣٤٣.
اشترى يزيد بن المهلب مؤناً وكتب صكاً للبائع بالثمن.

(٥) ابن مسكوية: تجارب الأمم، ج٣، ص٤٦١.

(٦) ابن سعد: الطبقات، ج٧، قسم١، ص٧٨.

(٧) الاصفهاني: الأغاني، ج١، ص١٦ (طبعة ساسي).
كتب سعد بن العاص صكاً على نفسه لشخص بمقدار عشرين ألف درهم بشهادته وشهادة مولى له "إنك لن تصادف عندنا شيء، فخذ هذا، فإذا جاءنا شيء فإننا ندفعه لك".

(٨) المصدر السابق، ج١٢، ص١٠١ (طبعة الساسي).

كما استفيد من الصك كسند تمليك للضياع والأملاك[1]، في حالة عدم توفر المال.

وإذا كان العرب قد زاولوا التجارة، فإنهم كانوا يعتمدون في ذلك على النقد أو المقايضة.

أما المعاملات المالية التجارية المتقدمة فيعود الفضل في نشرها وتعميمها للموالي الذين مارسوها في عهود سابقة[2].

فالموالي هم الذين أسهموا بنصيب وافر في التعامل بالعمليات التجارية، التي تقوم على تنظيم وثيق وأصول ثابتة وأسس واضحة لديهم في الصرافة وإنشاء الحوانيت المالية "البنوك" ونشر الحوانيت والصكوك واستعمالها بكثرة وفي أغراض متعددة حتى إلى التمليك للضياع والأراضي.

وإذا كانت هذه العمليات قد دفعت الناحية الاقتصادية خطوات للأمام، بما وفرته للتجار من سهولة في التعامل وحفظ الأموال، فقد عادت عليهم بالمردود الاقتصادي الجيد، حتى بلغت أموال بعضهم مئات الألوف.

وهكذا نجد أن التجارة ازدهرت في عهد بني أمية، وسارت خطوات متقدمة، فما هي العوامل التي ساعدت على ذلك؟ وما مقدار ما أسهمت به الدولة بصورة فعلية من أجل ذلك؟

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٢.

قال: "رأيت صكاً كتب بدين على محمد بن أبي سعدون، بأدغوغشت (مراكش)، وشهد عليه العدول باثنين وأربعين ألف دينار".

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج١٣، ص١٢٦.

أعجب ابن المقفع بجارية، ولم يكن عنده دراهم، بعث بصك ضيعته، وقال: "هذه عهدة ضيعتي خذيها".

إن هذا يتضح فيما يلي:

١- شقت الدولة القنوات، والأنهار والترع، وأقامت الجسور والقناطر وقسمت الطرق إلى مراحل، وجعلتها تحت إشراف صاحب البريد.

٢- حفرت الدولة الآبار والصهاريج في المدن التي تحتاج إلى ذلك، كالبصرة، كما أوجدت القنى والبرك في طريق مكة(١) للحجاج والمسافرين من تجار وغيرهم.

٣- نشرت الأمن والنظام وحاربت الفساد، بالضرب على أيدي العابثين وقطّاع الطرق، وقد تمثل ذلك بزياد بن أبيه والحجاج.

٤- أسقطت الدولة الضرائب عن التجار الصغار وأرض الحوانيت والأسواق.

٥- أوجدت الدولة العديد من المدن الجديدة بحيث زادت على خمس وعشرين مدينة، ممازاد أماكن العرض بالشارع باتساع السوق المحلية.

٦- راقبت الدولة التجار، ومحلات الصيارفة والصاغة، بإيجاد خبراء لذلك، حماية لأفراد المجتمع من الغش والتدليس، مما منح الثقة للمستهلكين، والتجار فيما يشترون.

٧- حمت أفراد المجتمع من الاستغلال والاحتكار في المواد التموينية الأساسية، فكانت تأخذ جزءاً من الضرائب من المنتوجات، فلا يضطر المزارع إلى بيع إنتاجه بأسعار متدنية، كماحمت المستهلكين، من الاحتكار، والتلاعب بالأسعار.

٨- منحت الدولة التجار الحرية التجارية، فلم تتدخل في النقل أو الأسعار، بل جعلت ذلك للتجار، والمادة المعروضة.

٩- وثق رجال الدولة بالتجار عند أخذ المكوس بتقدير مالهم، مما منحهم التشجيع والتسهيل في التجارة.

---

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص٢١٧، (أوجد هشام بن عبد الملك القنى والبرك في طريق مكة).

خاتمة:

كان الفصل الثالث جواباً لقضية أساسية هي:

ما دور الموالي في الحياة الاقتصادية في العهد الأموي؟

ولا يسعني إلا أن أضع الحقائق التالية:

أولاً: الزراعة:

١. أسهم الموالي بدور يذكر في مجال الزراعة، إذ كانوا الغالبية الكبرى من المزارعين، وبخاصة في العراق وخراسان، وما وراء النهر، ومصر وبلاد الشام، مما جعل عمر بن الخطاب، يصدر تعليمات تنص على إبقاء الموالي في أرضهم يمارسون الفلاحة ويؤدون ما عليها من الخراج أو العشر.

٢. شارك الموالي في حفر الأنهار والقنوات بالطرق التعاونية، فكان الحفر يتم معاً، أو يقسم بين المستفيدين، كل بقدر استفادته، مما دفع العملية التعاونية الزراعية خطوات إلى الأمام، وأعطت المزارعين مردوداً إنتاجياً أكبر، وعمّق أواصر المحبة بين الفلاحين.

٣. استعمل الموالي وسائل الري الصناعية الرقية كالناعور والدولاب والدالية والعربات التي تشبه طواحين الهواء، لتوفير ونقل المياه اللازمة للزراعة.

٤. قام الموالي بتعمير أراض ومساحات جديدة، كانت معطلة عند الفتح للاستفادة من زراعتها.

٥. نقل الموالي نباتات ومزروعات جديدة كشجر النارنج، والأترج، فقد نقلوه من الهند والمناطق الشرقية وزرعوه في البصرة والعراق والشام.

٦. اقتبس البدو العرب طريقة الزراعة من الموالي وهم الذين كانوا يأنفون ذلك من قبل، وذلك أمر بدهي، نتيجة الاختلاط بهم.

ثانيا: الصناعة:

قامت الصناعات على أيدي الموالي، باعتبارهم ورثة شعوب متحضرة فقد قام هؤلاء بنقل خبرات شعوبهم وأممهم إلى المجتمع الجديد الذي انضموا إليه وكانوا هم الحرفيين المنجين الذين عملوا على استمرار تقدم الأساليب الصناعية نتيجة لمعرفتهم لدقة أسرار الصناعة.

إن توافر العوامل المساعدة للصناعة ساعد على ازدهارها ودفعها خطوات إلى الأمام مما زاد الإقبال على المنتجات الصناعية وهذا أدى بدوره إلى استمرار تحسين المصنوعات كما ألزمهم بتوفير الكوادر الفنية المعدة جيداً، والقادرة على الإنتاج الدائم في المستوى المطلوب.

إن النمو الدئم للصناعات تحت استمرارية التحسين والإبداع أدى إلى الخز والحرير والبسط والأكيسة والأطلس والخمر والمناديل وغيرها، وكانت هذه تصنع أما في مصانع فردية خاصة (عائلية) أو مصانع رسمية.

وإذا كان الطرز معروفاً لدى الأكاسرة والقياصرة، فإن الطرز العربي قد نقل على أيدي الموالي بعد أن كتبوا بما يتناسب مع شعائر الإسلام، مما أضفى على الحكم والخلافة أبهة الحكم.

وإليهم ينسب إدخال الملابس الكتانية الرقيقة الشفافة (الداخلية) والخمر ولولاهم لما تطورت صناعة النسيج إلى الحد الذي تم فيه إدخال الرسوم الحيوانية والأشكال الهندسية المتنوعة، هذا إلى جانب تفنن النساجين في تلوين الأقمشة وإيجاد ألوان جديدة.

وأدخل الموالي للمجتمع العربي الدهون لتطرية الجلود، ومياه الورد والياسمين والبنفسج والعطور.

كما أثبتوا رغبة النساء بصنع الحلي من الذهب والفضة لمعظم أجزاء

الجسم، ولم ينسوا إدخال الكؤوس الذهبية والفضية وألوان الزينة المطعمة بالجواهر والأحجار الكريمة.

ويبرز موالي العراق كصناع للجرار والكؤوس والأدوات برسوم ونقوش بأشكال هندسية وبألوان زاهية.

ويضيف صناع هذا العهد للزجاج الرسوم الحيوانية والخطوط المتعرجة والمتموجة إلى جانب النقط الملونة على الزجاج العهد الأموي، كما يعود لهم الفضل في صناعة قصب السكر في الأهواز.

إن هذه الصناعات قامت على أيدي الموالي، واستمرت بعد أن استقروا في المدن الجديدة (البصرة والكوفة) لسد حاجات المجتمع المتزايد.

وكان أصحاب المهن الواحدة يعيشون جماعات متقاربة مما ساعد على خلق شعور بالمصلحة العامة، وأدى إلى وجود نوع من التكتل بين أصحاب المهن[1]، وأقرب إلى التماسك ويشبه إلى حد ما الاتحاد بين العمال والصناع.

وتفوق بعض الموالي في الصناعة حتى اعتبروا خبراء عرفوا بالعرفاء، فكانوا يحكمون في المنازعات بين المتخاصمين[2] ومن الباعة أنفسهم أو بين المشترين والباعة.

ومع أن الصناع كانوا أحراراً في مهنهم، وصناعاتهم إلا أنهم كانوا يخضعون لرقابة السلطة، ولا سيما ما كان يعرف بصاحب السوق[3] للحفاظ على الجودة والاتقان.

---

(١) صالح العلي: التنظيمات في البصرة، ص٢٧٧. الزبيدي: الحياة الاجتماعية في الكوفة، ص٢١١.

(٢) وكيع: أخبار القضاة، ج٢، ص٣٩٧.

(٣) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٤٢٧.

فالموالي هم الذين أدخلوا معظم الصناعات وهم الذين طوروها. ولولاهم لبقي العرب على صناعاتهم البدائية البسيطة، فعليهم قامت وإليهم يعود أكبر الأثر في ما وصلت إليه الصناعة من التقدم والازدهار.

تاثير الموالي في التجارة:

وظهر أثر الموالي في التجارة في الأمور التالية:

١- أسهم الموالي في نشاط الحركة التجارية بممارستهم التجارة بكافة أنواعها من بيع وشراء للعديد من أصناف المبيعات، كبيع الأغنام والدواب، وتجارة الرقيق والعطور وغيرها[1].

٢- كان الموالي يؤثرون على السوق المالي والنقد المتداول، لما كانوا يملكون من أموال طائلة بسبب غناهم[2].

٣- ساهم الموالي في إيجاد المعاملات المالية، كبيوت المالي (البنوك) والحوالات، والصكوك والصرافة، والاستفادة منها من أجل تسهيل عمليات البيع والشراء وتأمين الأموال، مما نهض بالحياة التجارية وعاد عليهم بالربح الوفير.

٤- أثر الموالي على الأسعار فحالوا دون التلاعب بها وخاصة في المواد التموينية والغذائية للشعب لما كانوا يدفعونه للدولة من مواد عينية من منتوجاتهم عند دفع ضريبة الخراج[3].

---

(١) ابن حبيب: المحبر، ص٣٤١-٣٤٣.
ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ٩٠.

(٢) المصدر والصفحة (عرف المولى أبو دكين بالغنى الفاحش، حيث أقرض مراداً سبعماية ألف درهم).
أبو دكين: مولى الجمليين من الكوفة كان يبيع بالدين إلى العطاء، ص٣٤٣.
مراد: وهو يحابر بن مالك من أهالي الكوفة.
ابن دريد الاشتقاق، ص٣٩٠.

(٣) بركلمان. تاريخ الشعوب الإسلامية، ص١٠٢

٥- كان الموالي يشكلون غالبية السكان[1] في معظم المدن فهم بذلك المستهلكون، فأسهموا في نشاط الحركة الاستهلاكية التجارية.

٦- كان للموالي تأثير في النهضة الاقتصادية لإسهامهم في التجارة الخارجية، إلى جانب التجارة الداخلية، فقد كانوا على معرفة تامة بالطرق البرية التي تربط العراق بالهند وبلاد المشرق[2]، وكذلك الطرق البحرية، كما عرفوا الأوقات المناسبة للسفر تجنباً لأعاصير البحار، فقد وصلت سفنهم إلى سيلان والهند والصين وعرف الأقباط الطرق التي تربط مصر بالقسطنطينية براً وبحراً[3]. إن معرفة الموالي لهذه الطرق سهل نقل البضائع وتواجدها في الأسواق، وعاد على التجار بالأرباح.

٧- أدى اشتغال الموالي في التجارة الخارجية إلى استيفاء المكوس على البضائع المستوردة، وهذا زاد في دخل بيت المال.

٨- ساهم الموالي ولو بشكل غير مباشر بإيجاد ما يعرف "بالناقد" و "الجهبذ" لمراقبة العملة، بسبب انتشار العملة المزيفة قبل التعريب[4].

٩- عرض الموالي بضائع ومواد جديدة في أسواق المدن، من أجل تلبية رغبات وحاجات أفراد المجتمع، ورغبة في كسب المال المترتب على ذلك.

١٠- إن نشاط التجارة الخارجية والبحرية خاصة أدى إلى تحسين وتطوير

---

(١) أبو يوسف: الخراج، ٣٦. أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٥٤.
المقريزي: الخطط، ج١، ص٧٩. أحمد الشلبي: السياسة والاقتصاد ص٣٨. زيدان: التمد
الإسلامي، ج٥، ص٥٦٤.

(٢) الجاحظ: التبصّر بالتجارة، ص٣١، ٣٢.

(٣) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص٦٢، ٦٤.
البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص٤٦٧.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٥٥.
ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص٢٨٧.

السفن[1]. من حيث نوعية البناء والصنع، والحجم لتتسع مواد أكثر.

دور الموالي في النقد:

لقد عرف الموالي النقود قبل الفتح الإسلامي، ولذلك ساهموا في صك النقود عندما آلت بلادهم للحكم الإسلامي ويتضح ذلك فيما يلي:

١. ساهم الموالي في عملية صك الدراهم والدنانير، لمعرفتهم كيفية ذلك، ولبقاء العملات على ماهي عليه[٢] سوى إدخال شعارات التوحيد، فالصك كان يتم تحت إشرافهم على الرغم من أن ضربه من اختصاص الحكومة.

٢. استمرت كتابة لغة البلاد المفتوحة على العملة حتى تعريب النقد، (عهد عبد الملك)، فكانت في الأجزاء الشرقية بالأحرف البهلوية وباللاتينية في مصر وباليونانية في بلاد الشام.

٣. كان تزييف الدراهم في الأجزاء الشرقية قد ظهر مبكراً[٣] منذ عهد ابن الخطاب وفي ولاية زياد بن أبيه[٤]، وكان هذا من الدوافع إلى تعريب النقود والإشراف عليها[٥].

---

(١) ابن رسته: المصدر السابق، ص١٩٦.
ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص١٤٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ٦٥٦. (سأل الحجاج عما كانت الفرس تعمل به في ضرب الدراهم فاتخذ دار ضرب وجمع فيها الطباعين).
انظر البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص٤٦٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٥٧.
ضرب الأعاجم الزيوف فغشوا في النقود فأمر عمر بن الخطاب بكسرها وإن عمر وعثمان كانا إذا وجدا الزيوف في بيت المال جعلاها فضة.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٥٥.
"رأيت درهما شاذاً لم ير مثله عليه عبيدالله بن زياد فانكر"

(٥) Amer Ali: Ashort History of the Saracens, P190.

٤. وضع حـد لتـصـرفـات ونفـوذ الدهاقين الذين كـانوا يجـمـعـون النقـود في المقاطعات ويرسلونها إلى بيت المال، فكان بمقدورهم التلاعب بها، كما كانوا يصكون النقود أحياناً ويقرضون الفلاحين، مما دفع السلطة المثلة بالحجاج إلى حرمانهم من هذه الامتيازات لتأييدهم الثورات، فحرموهم من هذه الامتيازات السابقة.

وهكذا يتبين لنا أن الموالي كانوا يشكلون قوة فاعلة في الحقل الاقتصادي إذ كانوا دعامة لا يستهان بها في المجتمع الأموي، ساهموا في تنميته من ناحية، وتوفير حاجاته الاقتصادية من ناحية أخرى.

الفصل الرابع

التفاعلات الحضارية في الحياة الثقافية

الفصل الرابع

التفاعلات الحضارية في الحياة الثقافية

لعب الموالي دوراً أساسيا في تفاعلات الحياة الثقافية بمختلفة جوانبها وأرسوا أسساً ثابت تعكس هويتهم الحضارية، ويتمحور ذلك فيما يلي:

أولاً:العلوم الشرعية:

كانت الحجاز مركز الإشعاع الفكري للعلوم الشرعية، فمنها انطلق جيل الرواد لهذه العلوم إلى الأمصار المفتوحة، ليعلموا أهلها الدين الحنيف، القرآن والحديث، ومن ثم استنباط الأحكام الشرعية[1].

وقد اشترك في تلقي ذلك كل من العرب والعجم على السواء، لكن العرب لقرب عهدهم بالبداوة شغلتهم الرئاسة والسياسة عن الاهتمام بالعلم[2]، في حين رأى الموالي أنه يتناسب مع متطلبات العهد الجديد، وأنه استمرار لثقافتهم

---

(١) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه، ص٥٤ (الفقه: معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد).

محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث ص١٦٧ (الفقه: الجمع بين الحديث والرأي).

عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٧٤

(٢) ابن خلدون. المقدة، ص٥٤٤.

العريقة[1]، فأخذوا يتلمسون السبيل ليحققوا أهدافهم الدينية والدنيوية، كما رأوا فيه الإسهام التام على قدم المساواة مع العرب[2].

لقد اندفع الموالي لنهل العلم، فما أن انقضى عصر الصحابة وأبنائهم حتى كان معظم حملة العلم منهم، بينما كان البعض عرباً[3].

إن هذه الكثرة من العلماء والفقهاء كان لها تأثير فعّال في خدمة العلوم الإسلامية، لتفاعل أصحابها مع أفراد المجتمع، ومعايشتهم لهم في مسراتهم وأحزانهم، كما أنهم كانوا شديدي الغيرة والحب لهذا الدين، لدرجة التعصب أحياناً[4].

لقد أسهم فقهاء الموالي في تقدم العلوم الشرعية حتى أصبح جزءٌ أساسيٌ من هذا العلم قائماً على أكتاف عدد كبير منهم، وبذلك كانوا روافد علمية مهمة للثقافة الإسلامية[5].

---

(١) عرفت عدة مدن اشتهرت بالعلوم قبل الإسلام منها: جنديسابور... الخ.
انظر: أحمد أمين: فجر الإسلام، ص١٣٠. ماجد: تاريخ الحضارة، ص١٤٢. حتي: العرب "تاريخ موجز"، ص١٠٤.
محمد النجار: الموالي في العصر الأموي، ص٩٤.

(٢) أنور الجندي: الإسلام وحركة التاريخ، ص١٣٢.

(٣) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص١٥٢.
جرجي زيدان: التمدن الإسلامي، ج٣، ص٥٤.
محمد الخضري: تاريخ التشريع، ص١٤٠.
ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٤٧.

(٤) حتي: تاريخ العرب المطول، ج١، ص٣٠٠.

(٥) النجار: الموالي في العصر الأموي، ص٩٤.
أحمد أمين: فجر الإسلام، ص١٣٠.
حسن عوف: العراق وما توالى عليها من حضارات، ص٢٢٣.
ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٤٢.

وقد شاركت مراكز عديدة في نشر هذه الحركة العلمية إلى جانب مركز الإشعاع، فبرزت الكوفة والبصرة والشام ومصر واليمن[1]، فكانت هذه المراكز ملتقى طلاب العلم والبحث، يغص كل منها بهم.

ففي مكة يبرز لنا المولى مجاهد بن جبير[2] الذي روى لنا تفسير أستاذه ابن عباس[3] وعكرمة[4] الذي اشتهر برواية الحديث والفقه.

---

(١) ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ص١٩٩.
ابن كثير: الباعث في اختصار علوم الحديث، ص١٤١.
ابن القيم الجوزية: أعلام الموقعين، ج١، ص٢٢.
الحاكم النيسابوري: معرفة علوم الدين ص١٩٨، ١٩٩.
ابن عبد ربه:العقد الفريد، ج٣، ص٣٢٩.
ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٤.

(٢) مجاهد بن جبير. كان مولى لقيس بن السائب، توفي سنة ١٠٥هـ.
ابن قتيبة: المعارف، ص١٩٦.
خليفة بن خياط: الطبقات، قسم٢، ص٧٠٢. ابن قتيبة.
الحاكم النيسابوري: معرفة علوم الدين، ص٢٠٤.
الذهبي: ميزان الاعتدال، ج٣، ص٤٢٩.
أبو الفرج ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٢٢، ص٢٠٨.

(٣) ابن النديم: الفهرست ص٥٠ (وكان يعتقد أنه أول من دون التفسير).
ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٢، ص٢٠٩(عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، وكان يسأله عن كل آية كيف أنلت وكيف كانت).

(٤) مولى عبد الله بن عباس، توف سنة ١٠٥هـ، روى عن مولاه أبي هريرة، والحسين بن علي وعائشة، وكان أكثر الناس فقهاً.
ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٢، ص١٠٤، ١٠٥.

ويظهر إلى جانبهما عطاء بن رباح[1] عالماً بقراءة القرآن[2] وعطاء بن يسار[3] كمتعمق لمعاني القرآن إلى جانب كونه قاصاً[4].

ويقوم ابن جريج[5] بوضع علم جديد، فيصنف الأحاديث، ويضع كتاب الطهارة، والصيام والصلاة والزكاة[6].

ويتأثر موالي المدينة بفقهائها من الصحابة[7]، فيتخرج على أيديهم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم[8] الذي انتهت إليه رئاسة قراءة القرآن في زمانه[9]،

---

(١) مولى لبني فهر، توفي سنة ١١٥هـ=٦٤٦م، جمع الفقهوالتقيا كذلك:
ابن عساكر: ج١١، ورقة ٢٠١، الوجه١ (ترجمة عطاء بن أبي رباح) مخطوط.
ابن قتيبة: المعارف ص١٩٦.
خليفة خياط: الطبقات، قسم٢، ص٧٠٢ (توفي سنة ١١٧هـ).
ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٦١. (ويرى السمعاني أنه توفي سنة ١٥٠هـ في روضة القضاة، ج٤، ص١٤٩٥.
ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٢، ص٢١١.
الذهبي: ميزان الاعتدال، ج٣، ص٧.

(٢) ابن الجوزي: غاية النهاية في طبقات القراء، ج١، ص٥١٣.

(٣) أبوه، مولى ميمونة الهلالية زوج الرسول (ص)، توفي سنة ١٠٣هـ.
ابن النديم: الفهرست، ص٢١٦.
ابن قتيبة: المعارف، ص٢٠٢.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٦٣.

(٥) مولى لقريش، مات سنة ١٤٩. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٦٣، ١٦٤. ابن قتيبة: المعارف، ص٢١٤ (توفي سنة ١٥٠هـ).
ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٢، ٢١٦.

(٦) ابن النديم: الفهرست، ص٣١٦.

(٧) زيد بن ثابت، عبدالله بن عمر.

(٨) عرف بنافع المقرئ مولى ميمونة. ابن النديم: الفهرست، ص٤٢.
المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٩.
ابن خلكان وفيات الأعيان، ج٥، ص٣٦٨.
ابن الجوزي: غاية النهاية، ج٢، ص٣٣٠.

ونافع[1] مولى ابن عمر الذي اشتهر بجمع الحديث وروايته[2] وربيعة الرأي[3] الذي تعمق في فهم العلوم الدينية حتى وصل إلى مرتبة أصحاب الآراء الاجتهادية.

وتحظى الكوفة بأعداد كبيرة من الدعاة الرواد[4]، وعلى رأسهم الإمام علي بن أبي طالب، فتقوم فيها حركة علمية ناهضة، حتى ليصدق فيها القول بأنها "كنز الإيمان وحجة الإسلام"[5].

ولما استقر المقام بعبد الله بن مسعود فيها، أثر كثيراً في تلاميذه، فكانوا يتنافسون في الإقبال على طلب العلوم الشرعية حتى بلغوا أربعة آلاف قبل الحجاج[6]، وبذلك كانت الكوفة مركزاً مهماً للعلوم الدينية، وخرّجت -في عهد بني أمية- أعداداً كبيرة من الفقهاء والقراء والحفاظ والرواة، الذين نالوا ثقة أهل

---

(٩) ابن الجوزي: غاية النهاية، ج٢، ص٢٣١.
السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٠٨.

(١) مولى عبدالله بن عمر، أخذ العلم عن مولاه. ابن قتيبة: المعارف، ص٢٠٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٣٦٧.

(٢) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص٢٠٣.
ابن الجوزي: غاية النهاية، ج١، ص٢٣١.

(٣) ربيعة بن أبي عبدالرحمن مولى آل المنكور، توفي سنة ١٣٦هـ.
ابن قتيبة: المعارف، ص٢١٧. ابن النديم: الفهرست، ص٢٩٠.
ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٢، ص١٤٨.
ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص١٥٠، ٢٨٨، ٢٩٠.

(٤) انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، قسم ١ ص١-٤٣.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٩٢.

(٦) قال أنس بن مالك: "قدمت الكوفة قبل الحجاج فرأيت فيها أربعة آلاف يطلبون الحديث.
الزمهرمزي: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ص٨١. وفي رواية أخرى "أربعمائة قد فقهوا".
المصدر السابق، ص١٢٥.

العلم وتزكيتهم لما تمتعوا به من عدالة وثقة وأمانة[1] وجودة حفظ إلى جانب ابتعادهم عن كل ما ينقص من قيمة علمهم أو روايتهم.

ولم تكن البصرة لتقل في مكانتها العلمية عن غيرها من مراكز الإشعاع فقد

---

(١) الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، ص١١٥.
السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص٩.
روزنتال: مناهج البحث عندالعلماء المسلمين، ص٢١٥.

أ- الشعبي: عامر بن شرحبيل الشعبي مولى، توفي سنة ١٠٤هـ.
ابن عساكر، ج٨، ورقة ٢١٦، الوجه الأول، مخطوط.
ابن قتيبة: المعارف، ص١٩٨، ١٩٩.
ابن القيم الجوزية: أعلام الموقعين، ج١، ص٢٦.
البخاري: التاريخ الصغير، ج١، ص٢٤٣.
ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٣، ص٧٥.

ب- حبيب بن ثابت: مولى بني كاهل، توفي سنة ١١٩هـ.
ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص٢٢٣، ٢٢٤.
الذهبي: ميزان الاعتدال، ج١، ص٤٥١.

جـ- سيد بن جبير مولى بني واليه، مات سنة ٩٥هـ. ابن قتيبة، المعارف، ص٨٩٧. ابن حبيب المجبر، ص٣٧٨.

د- الأعمش: سليمان بن مهران، مولى بني كاهل، توفي سنة ١٤٨هـ.
اسن سعد: الطبقات، ج٦، ص١٧٨.
ابن قتيبة: المعارف، ص٢١٤.

هـ- يحيى بن ثابت:مولى بني كاهل، توفي سنة ١٠٣هـ.
ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص٢٠٩.

و- باذان (باذام) مولى أم هانئ بنت أبي طالب.
ابن قتيبة: المعارف، ص٢١٠.
الذهبي: ميزان الاعتدال، ج١، ص٩٦.

ز- عاصم بن أبي النجود: مولى، توفي سنة ١٢٧هـ.
المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٩.
ابن الجوزيك غاية النهاية، ج١، ص٣٤٧، ٣٤٨.

وفد عليها عدد كبير من الصحابة الرواد[1] الذين تخرج على أيديهم جيل من المثقفين المسلمين[2] وأرسوا أصول الفقه.

ويكفي البصرة فخراً بأنها خرّجت أبا حنيفة النعمان[3] والحسن البصري[4]

---

(١) انظر ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١-٦٣. (أسماء من نزل من الصحابة فيها). من أشهرهم أنس بن مالك، عبدالله بن عباس.

(٢) وممن تخرج أبو العالية الرياحي: وهو وضيع بن مهران، مولى امرأة من بني رياح، توفي سنة ٩٠هـ.

انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص٦١.

ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٢، ٥١.

ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح، ١٩٨.

وأوب بن أبي تميمة السختياني، مولى لعنزة، ولد سنة ٨٦هـ، وتوفي سنة ١٣١هـ. ابن سعد: الطبقات، ج٧، قسم ١، ص١٤، ١٧.

ومالك بن دينار: مولى لامرأة من بني سامة بن لؤي، توفي سنة ١٣١.

ابن قتيبة: المعارف، ص٢٠٧. ابن الجوزي: صفوة الصفوة،ج٣، ص٢٧٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص١٣٩.

أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص٢٠٩.

وعمرو بن عبيد: مولى لبني العدوية من بني تميم، توفي ١٤٤هـ.

ابن سعد: الطبقات، ج٧، قسم٢، ص٣٣.

المرتضى: آمال المرتضى، ج١، ص١٦٩.

(٣) هو النعمان بن ثابت، مولى لبني تميم، من أصحاب مدرسة الرأي توفي سنة ١٥٠هـ.

ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص٢٥٦. الذهبي: تذكرة الحق، ج١، ص١٦٨. ابن الجوزي: غاية النهاية، ج٢، ٣٤٢.

البخاري: التاريخ الصغير، ج٢، ص١٠٠.

(٤) مولى الأنصار، توفي سنة ١١٠هـ. ابن سعد: الطبقات، ج١، ص١١٤، ١١٥. البخاري: التاريخ الصغير، ج١، ص٢٤٥.

الحاكم النيسابوري: علوم الدين، ص٢٠٤. ابن قتيبة: المعارف ص١٩٥. ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٣، ص٢٣٣. الذهبي: ميزان الاعتدال، ج١، ص٥٢٧. المرتضى: آمال المرتضى، ج١، ص١٥٢. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٠٨. ابن الجوزي: غاية النهاية، ج١، ص٢٣٥. الذهبي: تذكرة الحفاظ ،ج١، ص٧١.

ومحمد بن سيرين[1] الذين فسروا أحكام الدين وشرحوها حسب ما يقتضيه لا كما يرى الحكام، لذلك تحلق أفراد المجتمع حول هؤلاء العلماء من المستضعفين والمضطهدين[2]، واعتبرت كلمة الحق ضد الترف وظلم الحكام ممارسة للنقد الاجتماعي.

وتنال بلاد الشام حظها من الرواد المعلمين[3]، ويتخرج المولى مكحول الشامي[4] الذي عرف بمقدرته في العلوم الشرعية مما هيأه للإفتاء، إلى جانب الرأي في المسائل الفقهية[5]. ويتفوق رجاء بن حيوة[6] في رواية الحديث، ويصبح

---

(١) كان أبوه عبداً لأنس بن مالك، تحرر بالمكاتبة.
ابن قتيبة: المعارف، ص١٩٥. ابن سعد: الطبقات، ج٧، قسم١، ص١٤٠. الحاكم النيسابوري: علوم الدين، ص٢٠٤. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٨١. البخاري: التاريخ الصغير، ج١، ص٢٤٥. ابن الجوزي: غاية النهاية، ج٢، ص١٠٥.
الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص٧٨. أبو الفداء: المختصر، ج١، ص٢٠٣. ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٣، ص٢٤١.
ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص١٠٥.

(٢) محمد جواد مغنية: الشيعة والحاكمون، ص٣٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١١١-١٥١ (أسماء من نزل من الصحابة في الشام).

(٤) مولى لامرأة من هذيل، توفي سنة ١١٣هـ (وقيل لامرأة من قيس).
ابن قتيبة: المعارف، ص٢٠٠. ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٦١. ابن عساكر، ج١٧، ورقة ٢٢٤ الوجه٢ (ترجمة مكحول الدمشقي) مخطوط.
خليفة بن خياط: الطبقات، قسم٢، ص٧٩٤. البخاري: التاريخ الصغير، ج١، ص٢٧٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٨١. الذهبي: تذكر الحفاظ، ج١، ص١٠٧.

(٥) ابن النديم: الفهرست، ص٣١٨.
ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٨١.

(٦) مولى كنده، توفي سنة ١١٢هـ.
خليفة بن خياط: الطبقات، قسم٢، ص٧٩٣. الطبري، ج٦، ص٥٥٠.
الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٢، ص١١٨.
ابن عساكر، ج٦، الورقة ٨٧، الوجه ٢ (ترجمة رجاء بن حيوة). مخطوط.

مرجعاً للفقه والفتيا في زمانه[1].

ويساهم القاسم بن عبد الرحمن[2] بنصيب وافر في رواية الحديث أيضاً.

وفي اليمن يبرز طاووس بن كيسان[3] في سائر العلوم من فقه[4] وتفسير للقرآن[5] حتى وصل إلى درجة يغبطه عليها الكثير في إصدار الأحكام الشرعية[6].

واشتهر عدد آخر من الموالي الفقهاء في أقاليم ومدن متعددة[7] كان لهم أثر في توعية أفراد المجتمع بأمور دينهم ودنياهم ومن ثم إعدادهم للإبداع الفكري فيما بعد.

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ج٧، قسم٢، ص١٦١.
ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين، ج١، ص٢٦.

(٢) مولى جويرية بنت أبي سفيان، توفي سنة ١١٢هـ.
ابن سعد: الطبقات، ج٧، قسم٢ ص١٥٨.
ابن الخياط: الطبقات، قسم٢، ص٧٩٦.

(٣) مولى همدان، ويقال مولى خولان، توفي سنة ١٠٦هـ.
ابن خياط: الطبقات، قسم٢، ص٧٣٢. ابن قتيبة: المعارف، ص٣٠١.
ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٢، ص٢٨٤. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٩.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٩.
ابن الجوزي: غاية النهاية، ج١، ص٣٤١.

(٥) ابن الجوزي: المصدر والصفحة.

(٦) ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين،ج١، ص٢٤.
الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص٩٠.

(٧) اشتهر المولى يعلى بن عطاء في واسط بالحديث، وكذلك عاصم الأحول،
انظر ابن سعد: الطبقات، ج٧، قسم٢ ص٥٩، ٦٥.
وفي مصر اشتهر الموالي: أبو قيس، وردان، وقنبر، ويزيد ابن حبيب، وعبدالله بن أبي جعفر، الوليد بن أبي عبيدة.
انظر ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص٢٠٠-٢٠٢.
انظر ابن خياط: الطبقات: قسم٢، ص٧٥٣-٧٥٩.

هذا وقد استوعب الفقهاء دعوة الإسلام إلى التفكير والبحث[1].

فأخذوا بهذا المبدأ وصاروا يصدرون الأحكام المتناسبة مع الشرع للإجابة على المسائل الشرعية المستجدة[2] مما هيأ بعضهم لمنصب القضاء[3] حيث كانوا يقضون فيما ليس فيه نص قطعي أو إجماع سابق وإنما اجتهاد، يحكم حكماً شرعياً على سبيل الالتزام.

ومن الأمور المهمة التي أسهم بها الموالي تدوين الحديث، وكان الرائد من

---

(١) هناك آيات تدعو لذلك "أفلا يتفكرون في خلق السموات والأرض"
قال عليه السلام "لا خير في قراءة إلا بتدبير، ولا عبادة إلا بفقه ومجلس فقه خير من عبادة ستين سنة".
الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه، ص١٤.

(٢) الفتيا أو الفتوى: الإجابة في المسائل الشريعة. الفيروز أبادي: المحيط، ج٤، ص٣٧٥. الفقه: معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد. الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه، ص٥٤ .

(٣) شغل منصب القضاء كل من:

- الشعبي: عامر بن شرحبيل الشعبي، مولى، توفي سنة ١٠٤هـ.
ابن قتيبة: المعارف، ص١٩٨، ١٩٩. ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين، ج١، ص٢٦. البخاري: التاريخ الصغير، ج١، ١٤٣. ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٣، ص٧٥. ابن عساكر، ج٨، ورقة ٢١٦، الوجه، مخطوط.

- حبيب بن ثابت مولى بني كاهل، توفي سنة ١١٩هـ.
ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص٢٢٣، ٢٢٤.
الذهبي: ميزان الاعتدال، ج١، ص٤٥١.

- سعيد بن جبير: مولى بني واليه، توفي سنة ٩٥هـ.
ابن قتيبة: المعارف، ص١٩٧. ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٣ ص٧٧ ،مولى بنى أسد بن خزيمة) ابن خياط: الطبقات، قسم٢، ص٧٠٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢٢، ص٣٧١، ٣٧٣.
ابن حبيب: المحبر، ص٣٧٨. ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين، ج١، ص٢٢٦. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص٧٦.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٢٨.

المسلمين: عبدالله بن عمرو بن العاص[1] بإذن من الرسول، لكن الصحابة وقفوا بين كاره ومبيح.

أما الكارهون، فكانوا ينطلقون من مخافة أن يختلط الحديث بالقرآن[2]، بينما قام المبيحون بكتابته لأنفسهم، وسمحوا لطلابهم بذلك تحت إشرافهم، مع التوصية التامة بعناية التدوين والحفظ[3].

ومن الطبيعي أن يتأثر الطلاب -في هذا العهد- بأساتذتهم ويقتدوا بهم، فجدّوا في سبيل جمع الحديث وتدوينه، وأخذوه عن ثقاته أينما وجدوا من أنحاء الدولة.

ولاحظ العلماء أن الرواة ليسوا بمستوى واحد، وأن بعضهم غير مؤهل لذلك، مما دعاهم لتوفير عدة شروط لقبول الحديث، وهنا تظهر بوادر علم جديد وهو: علم النقد والتحري للرواة[4]، كرد فعل استجابة للبحث عن أحوال الرواة وأمانتهم وثقتهم وعد التهم وضبطهم، حتى لا يتيحوا الفرصة لأصحاب الدوافع والخلافات العصبية أو السياسية أو أصحاب الترغيب والترهيب لدس الأحاديث[5].

---

(١) ابن سعد:الطبقات، ج٤، قسم٢، ص٨.
ابن الأثير: أسد الغابة، ج٣، ص٣٤٩.

(٢) ابن الصلاح: علوم الحديث، ص١٦٠.
كان من الكارهين عمر بن مسعود، أبو سعيد الخدري.

(٣) ابن الصلاح: علوم الحديث، ص١٦١.
ثبت أن من أهم المبيحين: الإمام علي بن أبي طالب، وابنه الحسن وابن عباس، وأنس بن مالك.
انظر تعدد الآراء من ص١٥٣-١٦٥. محمد الخطيب: أصول الحديث.

(٤) الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، ص٣٢، ٥٢، ٧٦، ٨٦، ١١٥.
ابن الصلاح:علوم الحديث، ص٩٤.
روزنتال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ص١١٥.

(٥) مناع القطان: الفقه والتشريع، ص١٥٩، ١٦٠.
ابن عساكر ج٣، ورقة ١١١، الوجه٢ (ترجمة إياس بن معاوية مخطوط).

ويستمر التدوين طبقاً للمعطيات السابقة، وينشط في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، الذي كتب بخط يده بعض الأحاديث[1]، وحث الفقهاء على ذلك، فيقوم كثير بن مرة الحضرمي[2] بكتابة الأحاديث التي سمعها من سبعين بدريا[3] ويسير على نهجه ويتفوق عليه محمد بن مسلم الزهري[4]، الذي قام بجمع كل ما استطاع عليه من الأحاديث الصحاح، وإن كانت غير مبوبة، بعد أن أولى أهمية خاصة للرواة، حتى اعتبر واضع نواة علم مصطلح الحديث[5].

لقد انعكست حركة التدوين على الحياة الثقافية والعملية، حتى دفعت -هذه الحركة- المدنيين إلى القيام بالرحلات العلمية والطواف في الأقاليم بحثاً عن الرواة والتثبت مما لديهم[6] فجعل العلماء يتعرفون على بعضهم ويتبادلون الآراء، وهذا أدى بدوره إلى اتساع دائرة الحركة العلمية، مما دفع العلوم الشرعية خطوات نحو البحث والتقصي للوصول إلى الأحاديث الصحيحة.

ولما كانت السنة هي المصدر الثاني في التشريع بعد القرآن عند المسلمين، لاشتمالها على أحكام لم تأت في المصدر الأول، كان لا بد من الاستناد إليها في الأحكام الفقهية لاستنباط التشريعات لما يجد من الأحداث، وما يعرض للناس من مشاكل وقضايا.

---

(١) ابن عساكر ج٨، ورقة ١٨٤، الوجه١ (ترجمة طلحة بن يحيى) مخطوط.

(٢) فقيه، عالم أهل حمص، كان إماماً عالماً، أدرك سبعين بدرياً.
الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص٥١، ٥٢.

(٣) ابن عساكر، ج١٤، ورقة ٥١٨، الوجه ٢ (ترجمة كثير بن مرة الحضرمي) مخطوط.

(٤) مات الزهري سنة ١٢٤. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٠٩، ١١٠.
ابن عساكر ج١٥، ورقة ٣٠٧، الوجه ٢ (ترجمة محمد بن مسلم الزهري) مخطوط.
البخاري: التاريخ الصغير، ج١، ص٣٢٠.
ابن الجزري: غاية النهاية، ج٢، ص٢٦٣.

(٥) ابن الصلاح: علوم الحديث، ص١٠.

(٦) ابن الصلاح: علوم الحديث، ص٨.

ويمتاز الفقه بالمرونة عند الكثيرين، وهذا أدى إلى تفسير الأصول بوحي من الظروف وتطورها[1]، إلا أن الأخذ بالحديث واجه نظرتين أحداهما محافظة تقيدت بنصوصه ووجدت في الحجاز، والثانية جريئة شجاعة في إبداء الرأي وتفسير الأصول تمثلت في أهل الرأي في العراق.

لقد قامت مدرسة العراق على الاجتهاد، وإبداء الرأي دون الوقوف عند ظواهر النص، وقد كان لعبدالله بن مسعود[2] فضل ترسيخ هذه المدرسة، فهو الذي دعا إلى تعميق الأغراض والمضامين وعدم التحجر عند ظواهر النص[3] مما أدى إلى نشاط هذه الحركة، حتى اتخذت مظهر جديداً من مظاهر البحث والاجتهاد، وقد اشتهرت كثيراً حتى نسب إليها بعض الفقهاء[4]

وقد اهتمت هذه المدرسة بالنظر في المسائل والقضايا المتعددة التي فرضتها البيئة الجديدة الناتجة عن اختلاط وامتزاج الشعوب، ومن ثم إعطاء الحلول الشرعية عن طريق الاجتهاد، وقد كانت هذه المدرسة استجابة لمواجهة الواقع المفروض بهذه الحلول الشرعية.

لقد نشأت مدرسة الرأي في العراق، وقامت على إجمال القياس وتعليل الأحكام[5] ولكنها أكثرت من التفريعات لكثرة ما كان يعرض من الحوادث كما أخذ فقهاؤها يفترضون فروضاً غير موجودة، ويعطون لها حلولاً.

---

(١) ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٦٥.
طه سحين: من حديث الشعر والنثر، ص٣٤.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٣، ص٣٨٩ (كان عمر معجباً به لعلمه بالقرآن)

(٣) محمد مدكور: مدخل الفقه الإسلامي، ص٣٤.
الخضري: تاريخ التشريع، ص١٤١.

(٤) ربيعة الرأي: هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن مولى آل المنكدر التيميين، توفي سنة ١٣٦هـ.
ابن قتيبة: المعارف، ص٢١٧.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص٢٠٧.

لقد قدمت هذه المدرسة الفرصة للباحثين لمعرفة الذكاء العلمي لهؤلاء الفقهاء[1] وقدرتهم على تصور الأحداث.

وربما يعتقد البعض أن الاجتهاد على جانب من السهولة، يتوقف على الشجاعة والجرأة، ولكن صاحب الرأي لا بد وأن يكون على علم تام بأحكام القرآن والسنة، والأصول التشريعية العامة ومعرفة أسباب النزول إلى جانب علمه بالناسخ والمنسوخ والمتواتر من الحديث، وأن يكون عالماً بعلل الأحكام ودلالة الألفاظ، كل ذلك إلى سلامة العقل والعدل[2] والقدرة على الاستيعاب واستنباط الأحكام، ثم يأتي دور الشجاعة والجرأة في القول[3].

لقد أعطت هذه المدرسة حرية التفكير الإسلامي، معنى جديداً، واشتعلت روح البحث والدرس والمقارنة والاستنتاج، ودفعت الفكر الديني خطوات إلى الأمام، أدت إلى تقدم الفقه وتطوره، ومهدت إلى عصر الثورة الفكرية عند المسلمين بما أوجدته من نظريات الفرضيات والتصور.

ولعل تراث العراق الحضاري وما ورثت منه هذه المدرسة كان له تأثر في ذلك[4].

ومن أهم فقهاء هذه المدرسة، الحسن البصري[5] ومحمد بن سيرين[6] وربيعة

---

(١) جولد تسهير: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٦٦.

(٢) محمد مدكور: مدخل الفقه الإسلامي، ص٨٨.

(٣) سئل بعضهم عن بعض فتاويه: أبرأيه أم سمعها؟ فقال: لا والله ما كل ما نفتي به سمعناه.
ابن سعد: الطبقات، ج٧، قسم١، ص١٢٠.

(٤) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٤٣.

(٥) مولى الأنصار توفي سنة ١١٠هـ.
ابن سعد: الطبقات، ج١، ص١١٤، ١١٥.
ابن قتيبة: المعارف، ص١٥٧.

الرأي[1] وأبو حنيفة النعمان[2] مكحول[3] الشامي.

أما المدرسة الأخرى، فهي التي اتسمت بالمحافظة وقد انطلقت من قوله تعالى "ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم"[4] فكانت صفة التحفظ واضحة في كل ما يصدر عنها، فقد انصرف علماؤها إلى جمع المأثورات من فتاوى الصحابة وحفظها.

لقد تجنبت هذه المدرسة الأخذ بالرأي والاجتهاد لبعدها عن بواعث النزاع والفتن التي تطرح المشاكل والقضايا الجديدة التي تطالب بإيجاد الحلول الشرعية المناسبة إلى جانب توافر رصيد هائل من التراث، والأحاديث وآراء الصحابة.

وقد تميزت هذه المدرسة بالاعتداد بالأحاديث، والوقوف عند الأثر، كما أن أصحابها كرهوا كثرة السؤال وإنما اعتنوا بتحصيل الأحاديث ونقل الأخبار، وبناء الأحكام القائمة على النصوص الثابتة، فهم لا يرجعون إلى القياس ما داموا يجدون خبراً أو أثراً[5]. وكان أصحابها يتوقفون عند دلالة اللفظ مع مراعاة ما يعنيه، كل ذلك كان تذرعاً بالدقة مخافة الوقوع بالزلل.

---

(٦) كان أبوه عبداً لأنس بن مالك تحرر بالمكاتبة.
ابن سعد: الطبقات، ج٧، قسم١، ص١٤٠.
ابن قتيبة: المعارف، ص١٩٥.

(١) مولى ال المنكدر التيميين، توفي سنة ١٣٦هـ.
ابن قتيبة: المعارف، ص٢١٧.

(٢) مولى لبني تميم: أدرك الدولة العباسية، توفي سنة ١٥٠هـ.
ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص٢٥٦.
البخاري: التاريخ الصغير، ج٢، ص١٠٠.

(٣) مولى لامرأة من هذيل، توفي سنة ١١٣هـ.
ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص١٦١.
ابن خياط: الطبقات، قسم٢، ص٧٩٤.

(٤) سورة الإسراء، آية ٣٥.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص٢٠٦.

ولأصحاب هذه المدرسةفضل المحافظة على الحديث وجمعه بعد التأكد من صحته، كما أنتجت هذه المدرسة الفقهاء السبعة في هذا العصر[1].

ولعل من الغريب أن نرى فقيها كالشعبي[2] أحد أصحاب هذه المدرسة بالرغم من أنه عاش في بيئة العراق، ويزيد بن حبيب[3] الذي عاش في مصر.

وهكذا قدمت هاتان المدرستان الصورة المتكاملة للعلوم الشرعية فأحداهما أنتجت الإبداع الفكري والتصور، وأنتجت الثانية حصيلة ضخمة من الحديث والآراء وتراث الصحابة.

ومن القضايا التي شغلت جانباً من الفكر الإسلامي، محاولة تفسير وتسويغ إرادة أعمال الإنسان فيما إذا كان مسيراً، أم مخيراً[4] واختلف رأي الفقهاء في القضاء والقدر، فقد رأت مجموعة من العلماء أن الإنسان مسير ومجبر ولا مجال

---

(١) الفقهاء السبعة هم: سعيد بن المسيب، عروة بن الزبير، القاسم بن محمد، خارجة بن يزيد، أبو بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام، سليمان بن يسار، عبيد الله بن عبدالله بن مسعود. انظر: ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين، ج١، ص٢٤.

(٢) هو عامر بن شرحبيل الشعبي، مولى، توفي سنة ١٠٤هـ، وعاش في الكوفة. ابن قتيبة: المعارف، ص١٩٨، ١٩٩.
ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٣، ص٥٧.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج١، ص١٤٢، ٢٣٨، ٣٠٨.
الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٢٩.

(٤) الغزالي: كتاب الأربعين في أصول الدين، ص٢٠.
الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص١٩٧.
البغدادي: الفرق بن الفرق، ص٢١١.
الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٩٧.

- "والله خلقكم وما تعملون" الصافات – ٩٦.
- "بل لله الأمر جميعاً" الرعد – ٣١.
- «ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله» هود – ١٢٣.
- "كل نفس بما كسبت رهينة" المدثر – ٣٨.

لدينه للاختيار مطلقاً، فكل ما يحصله مقدر عليه، والخير والشر من الله.

وقد أراد الجبرية من ذلك تنزيه الله عن العجز، فنسبوا إليه الظلم وعصموه عن التقصير ونسبوا إليه السبب في كل ما يحدث[1] وقد برز من هؤلاء الدعاة جهم بن صفوان[2].

وعلى عكس هؤلاء نادى القدرية، الذين رأوا الخير والشر من أنفسهم، فأثبتوا بذلك الاختيار الكلي للفرد، وأنكروا القضاء والقدر ونسبته إلى الله[3] وهم بذلك نزهوا الله عن الظلم.

وكان من أسبق الموالي قولاً بذلك في هذا العهد خالد الجهني[4] وموسى بن سيار الأسواري[5] وغيلان الدمشقي[6].

ولعل من أهم ما أسهم به الموالي -في عهد بني أمية- في تاريخ الحركات الفكرية الإسلامية، تكوين مدرسة كلامية تبحث في القضاء والقدر، كان أهم

- "ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين" يونس -٦١.
- "وهديناه النجدين". البلد - ١٠.
- «إنّا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» الإنسان -٣.

(١) من أهالي خراسان، مولى بني راسب، كاتب الحارث بن سريج في خراسان، الطبري: ج٧، ص٣٣٠.

(٢) الغزالي: كتاب الأربعين في أصول الدين ص١٩، ٢٠.

(٣) ابن عساكر، ج١٥، ورقة ١٦٧، وجه ١ (ترجمة معبد الجهني)مخطوط، ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص٣٢٠.

(٤) ابن عساكر ج١٦، ورقة ١٦٧، وجه١، مخطوط.
ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص٣٢٠.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص١٩.
الزركلي:الأعلام، ج٧، ص٣٣٣.

(٦) ابن قتيبة: المعارف، ص٢٩٦ (كان قبطياً قدرياً).

رجالها الحسن البصري وتلميذاه واصل بن عطاء[١] وعمرو بن عبيد[٢] مؤسسا مذهب الاعتزال بعد انفصالهما عن أستاذهما[٣] البصري.

وهذه الحركة نتيجة ما تردد من آراء الجبرية من جهة والقدرية من جهة أخرى، وصدى النزاع الديني والسياسي الذي احتدم بين المسلمين في ذلك الحين[٤] نتيجة لما جرى بينهم من الحروب مما أدى إلى اختلاف الآراء حول مرتكب الكبيرة بين الفرق الإسلامية (خوارج، شيعة، مرجئة) فبرزت حركة المعتزلة كرد فعل للتطرف المذهبي للخوارج المتعصبين من جهة وللتراضي لجماعة المرجئة[٥].

لقد برزت هذه الحركة علاجاً لمشكلة دينية، إلا أنها كانت تتضمن تفسيراً للمشكلات السياسية، لذلك رأى فيها البعض أنها من أجرأ الفرق على تحليل

---

(١) مولى بني ضبة، وقيل مولى بني مخزوم، عاش ٨٠-١٣١هـ.
المرتضى: أمال المرتضى، ج١، ص١٦٣.
ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٧.
المبرد: الكامل، ج٣، ص١٤٣.
ابن شاكر الكتبي: وفيات الوفيات، ج٢، ص٦٢٥.

(٢) مولى لبني عدوية من بني تميم، عاش ٨٠-١٤٤هـ.
المرتضى: أمال المرتضى، ج١، ص١٦٩.
ابن سعد: الطبقات، ج٧، قسم٢٢، ص٣٣.
ابن قتيبة: المعارف، ص٢١٢ (مولى لأهل عرارة بن يربوع).

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص٤٨.
ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص٣٢٠.

(٤) مقتل عثمان، الجمل، صفين، تكفير الصحابة... الخ.

(٥) Hamilton: Mohmmedansim, p. 89.
وإن كان نيكلسون يرى أنها تأثرت بالفكر الديني اليوناني.
Nicholson: Aliterary History of the Arabs, P. 200.

أعمال الصحابة، ونقدهم وإصدار الحكم عليهم[١] وأنها عودة إلى روح الإسلام الصحيح[٢].

لقد أوجدت حركة المعتزلة نظرية الشك كباعث للمعرفة[٣] فنقّت فكرة التوحيد من كل لبس أوتشويه، وسمت بالعقل إلى المرتبة التي يكون فيها مصدراً لمعرفة العلوم الدينية[٤].

كما نجد للموالي المظاهر الإيجابية التي أشرنا إليها، فإن تأثيرات سلبية في العلوم الشرعية ظهرت من قبل الفرق الإسلامية التي حاولت دعم مواقفها بأحاديث نبوية تؤيد موقفها، مما دفعها إلى رفض الروايات التي لا تعزز ذلك، ولعل نزعة الملك عند الأمويين أبعدتهم عن الالتزام بحدود الدين إلى سياسة العنف والشدة، حتى أصبحت القوة أصلاً من أصول الحكم[٥] عند معظمهم مما أدى إلى تعميق الخلافات بين الفرق فجعلهم يسيئون الظن ببعض إلى درجة التكفير، وهذا أوجد فقهاً لكل فريق في الأصول والفروع، وهي وإن كانت أثرت في الفقه الإسلامي العام، إلا أنها أفسدت الحياة العقلية لدى المسلمين مما تشترطه كل فرقة في الرواة، بحيث لا تقبل الرواية إلا من أتباعها[٦] فحمّلوا نصوص السنة ما

---

(١) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٩٤.

(٢) سيديو: تاريخ العرب العام، ص١٧٣.
جولد تسهير: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٩٩.

(٣) جولد تسهير: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص١١٨.

(٤) قال المعتزلة: "لكل مجتهد نصيب في الفروع: واحتجوا بمن اشكلت عليه القبلة. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٨.

(٥) مناع القطان: الفقه والتشريع في الإسلام، ص١٤٢.

(٦) الشيعة جمعوا الحديث عن طريق أئمتهم وسموها أخبار، كما لجأوا إلى نقل تفسير القرآن عن طريق أئمتهم -حفظاً من الدس- سموه تأويل، وذلك حسب قول النبي (ص) "أنا صاحب التنزيل وعلي صاحب التأويل".
ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٣. ١٦٧.

لا تحتمله علماً أن كلاً منهم يطلب الحق وينشده[1].

ويبدو تأثير الموالي السلبي جلياً بإدخال الآراء والأفكار الجديدة الناتجة عن تفاعل الأفكار والمبادئ الدينية التي كانت سائدة في المجتمع الفارسي -قبل الإسلام- مع المبادئ الإسلامية، ولما امتزجت هذه العقائد قدمت لنا فكراً مغايراً لمبادئ الإسلام، كان له تأثير في الدين الإسلامي أخفى وراءه الحقائق، وحل مكانها الخرافات والبدع[2] ومن هذه المبادئ القول بالتناسخ والحلول والرجعة[3] وتجسيد الألوهية[4].

ومبدأ التناسخ عميق الجذور في المانوية[5] والجاينية[6] واليهودية[7].

---

(1) مناع القطان: الفقه والتشريع في الإسلام، ص١٥٧.

(2) بيضون: الدولة الأموية والمعارضة، مدخل إلى كتاب السيطرة العربية لفلوتن، ص١٢٥.

(3) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٤٧ (الكيسانية نادت بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت).

البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٣٢، ٣٨.

الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص٩٢.

(4) بيضون: الدولة الأموية، ص١٢٢

(5) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص٢٤٧، ٢٥٣.

البغدادي: الفرق بين الفرق (تؤمن بالتناسخ) ص ٢٧١.

جورج حداد: المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص١٩٦.

(6) مؤسس الجاينية مهافيرا (Mahavira). ٥٥٠-٤٤٧ق.م تؤمن أن الروح تولد مرات متعاقبة فإذا عاش الفرد باستقامة يولد ثانية كعضو في الطبقات العليا، وإذا عاش بغير استقامة يولد ثانية كحيوان،انتشرت في الهند، انظر جورج حداد: المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص٨٦، ٨٧.

(7) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٢٧٢، ٢٣٢.

الشهرستاني، ج١، ص١٧٤.

فلهوزن: الخوارج والشيعة، ص٢٤٦ (ورد في المواعظ المنحولة إلى كليمانس انتقال الأرواح بعد موت أصحابها، وإن روح الله تتحد مع شخص إنسان يظهر بصفة النبي السابق، ص٢٤٩.

Nicholson: Aliteary History of the Arabs, P 215.

ومن الأفكار السلبية والمناقضة للدين، إظهار الكفر صراحة[١] وادعاء النبوة[٢].

إن هذه الأفكار غريبة عن البيئة الإسلامية، ولكنها وجدت في العراق وكان هدف أصحابها من نشرها محاولة طمس معالم الدين الحنيف لتقويضه من الداخل وتفكيك عرى وحدة الأمة الإسلامية، ومن ثم الانقضاض على السلطة التي تمثل هذا الدين، لإعادة مجد الدولة الفارسية، فهي حركات سياسية أخفت وراءها المظهر الديني[٣].

ثانياً: كتابة التاريخ:

لم يكن لدى العرب -قبل الإسلام- من علم التاريخ إلا أخبار متفرقة، ليست من هذا العلم في شيء، وإنما اعتمد الإخباريون على تراث شفهي منقول بالسماع والرواية، تمثلت في "الأيام"، وظلت تتداول على أنها تاريخ تلك الحقبة.

و "الأيام" روايات يغلب عليها الطابع الأسطوري، وهي محشوة بالقصص

---

(١) ومنهم:

أ- منصور العجلي، الذي استحل المحارم، وقتله يوسف بن عمر الثقفي.

الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص٧٤.

الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٩.

البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٢٤٢.

ب- عمير البيان، الذي قتله يزيد بن عمر بن هبيرة.

الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص٧٨.

(٢) المغيرة بن سعيد ادعى النبوة وهو مولى ابي سعيد بجيله قتله خالد القسري.

انظر: الفرق بين الفرق، ص٢٣٨.

مقالات الإسلاميين، ج١، ص٦٨، ٦٩.

(٣) بيضون: الدولة الأموية والمعارضة، ص١١٢.

الخرافية التي تثير قدراً من الشك لبعدها عن الصحة، وعراقتها في الوهم الغلط[1] لما فيها من اضطراب تاريخي (اختلاط الحوادث)، وانزلاق زمني (انتقال الحوادث من زمان إلى آخر)، وتضخيم لأبطاله.

والأيام مع الشعر، يعطيان صورة عن الحياة الاجتماعية بما فيها من تعصب قبلي، إلا أنهما حفظا لنا أنساب العرب ومآثرهم، فهما المنهج القبلي لتدوين تاريخ تلك الفترة[2].

ولعل اهتمام العرب الجاهليين بالأنساب القبلية له أهمية خاصة بالنسبة للدراسات التاريخية، باعتباره أحد أشكال التعبير التاريخي سجل فيه إطار التكوين القبلي، ومحتوى على الوقائع والأيام والغزوات المحفوظة بالذاكرة ويرددها الأفراد على ألسنتهم[3].

وأما عرب اليمن، فقد وجدت لديهم كتب منسوبة للأخباريين إلا أنها لا يمكن الوثوق بصحتها والاعتماد عليها لما تضمنته من مبالغات وخرافات[4] في حين يختلف الأمر كلياً لدى المناذرة الذين حوت كتبهم أخباراً تفصيلية عن أنسابهم

---

(١) روزنتال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ص٢٣.
هرتشو: علم التاريخ، ص٥٢ (فصل التاريخ عن العرب، عبد الحميد العبادي).
مارغوليوث: دراسات عن المؤرخين العرب، ص١٥.
عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص٤٢.
علي أدهم: بعض مؤرخي الإسلام، ص٩.
كحالة: التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية، ص١٤.

(٢) مارغوليوث: دراسات عن المؤرخين العرب، ص٧١.

(٣) جواد علي: العرب قبل الإسلام، ج١، ص٤٤.
كحالة: التاريخ والجغرافيا، ص٢٢.
سالم: التاريخ والمؤرخون، ص٤٦.
الدوري: نشأة علم التاريخ، ص٢٦.

(٤) جب: دائرة المعارف الإسلامية (المعربة) مجلد ٤، ص٤٨٣ (علم التاريخ). أدهم: بعض مؤرخي الإسلام، ص١٠.

وسير ملوكهم[1]

ولما استقرت مبادئ الإسلام، ظهرت عدة عوامل كانت دافعاً لظهور بداية التأليف العلمي للتاريخ.

فالحاجة الدينية لمعرفة أسباب النزول، وتفسير آي القرآن الكريم، ومعرفة أحكامه، دفع الفقهاء لتسجيل الكثير من أخبار الجاهلية وعصر الرسالة، وكذلك معرفة سيرة الرسول -كقائد- بدقائقها إلى جانب الأحداث الكبرى، "كبدر وأُحُد واليرموك والقادسية" ساهم في كتابته.

كما أن إدارة الدولة وما استتبع قيامها من النظم المالية منذ البداية، أوجد الدواوين التي حددت الموارد والنفقات، ومنها العطاء الذي اقتضى معرفة الأنساب[2].

هذا إلى جانب تعريب الدواوين -فيما بعد- التي شجعت على نشأة الكتابة التاريخية وأوجدت وظيفة الكاتب العربي.

وبناء على ذلك يمكن القول أن علم التاريخ قد قام على اكتاف الفقهاء، لأن دراسته مكملة لأصول العلوم الشرعية، فالفقهاء أحاطوا بالأخبار وأسانيدها، وبذلك جمعوا بين الفقه والتاريخ [3] وطبعوا التاريخ بطابع الحديث [4].

(١) لقد وجدت كتب الحيرة، استفاد منها الكبي في مصنفه عن الحيرة وابن هشام والطبري وغيرهم. الدوري: نشأة علم التاريخ، ص١٧.

(٢) شكّل عمر بن الخطاب لجنة ثلاثية من: أبي عدي جبير بن مطعم، ومخرمة بن نوفل، وعقيل بن أبي طالب، كتبوا أنساب العرب يقوم على أساس الديوان.
الطبري،ج٤ ص٢٠٩، ٢١٠.

(٣) ابن طولون :قيد الشريد ،ص١٢ (رواية الشعبي) ،ص٤ (رواية مكحول) مخطوط .الأغاني ،ج١٦، ص٨٣ (رواية الشعبي)
الجاحظ :البيان والتبيين ،ج١ ،ص٢٠٠ .
المسعودي :مروج الذهب ،ج٣، ص٨٩ (رواية سعيد بن جبير) .
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١، ص٢١٢ (رواية الشعبي)

ومن الموالي الرواد الذين اهتموا برواية الأخبار والسيرة وهب ابن منبه[١] الذي ينسب إليه كتاب "الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم"[٢] الذي يعد من المصادر الأولية عن جاهلية الجنوب والبلدان الجنوبية[٣] وهو أول من اعتمد على المصادر طلباً للإفادة منها، كما نسب إليه معظم الإسرائيليات[٤].

ابن الجوزي :صفوة الصفوة ،ج٢ ،ص٢١٤(إسناد عطاء بن عمر)

المصدر السابق ،ج٢ ص٢٨٩ (رواية طاووس عن ابن عباس) .

المصدر السابق ،ج٣ ،ص٧٥ (رواية الشعبي وقدرته على رواية الشعر) .

المصدر السابق ،ج٣ ص١١٢ (إسناد أبو العالية الريحاي).

المصدر السابق، ج٤ ص٢١٤ (إناد رجاء بن حيوة).

ابن قتيبة: كتاب العرب، ص٢٩٢ (مكحول). ص٢٩٣ (عطاء) (رسائل البلغاء).

ابن كثير: الباعث الحثيث، ص٧ (أسانيد محمد بن سيرين والأعشى ونافع) أصح الأسانيد.

(٤) هرنتشو: علم التاريخ، ٥٣ (فصل التاريخعند العرب، عبد الحميد عبادي).

Hitti: History of the Arabs, P. 243.

ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٠٤.

(١) من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، مات سنة ١١٤هـ=٧٣٢م.

ابن قتيبة: المعارف، ص٢٠٢.

ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٢ ص٢٩٦.

الزركلي: الأعلام، ج٨، ص١٢٥.

(٢) طبع في حيدرأباد سنة ١٣٥٧هـ في ٣١٠ صفحات، بعنوان التيجان لمعرفة ملوك الزمان مع كتاب أخبار عبيد بين شريه.

(٣) Hitti: History of the Arabs, p. 243.

(٤) جواد علي: العرب قبل الإسلام، ج١، ص٤٤.

الدوري: نشأة علم التاريخ، ص٢٦.

سالم: التاريخ والمؤرخون، ص٤٦.

كحالة: التاريخ والجغرافيا، ص٢٢.

وإليه يشار بأنه واضع أساس علم المغازي[1] كما يعود إليه الفضل في أول محاولة لكتابة تاريخ الرسالات[2] حيث ربط التاريخ بالوجدان البشري بعد أن أعطاه بعداً زمنياً جديداً قوامه -التاريخ- الماضي مستكملاً المعرفة التاريخية ومالئاً للفراغ حتى ظهور البعثة النبوية.

وظهر شرحبيل بن سعد[3] كأحد مؤرخي الطبقة الأولى للسيرة النبوية وكجزء من مدرسة المدينة، فقام بكتابة المغازي والسير، وأسهم بكتابة قوائم الصحابة الذين اشتركوا في غزوة بدر وغزوة أحد ومهاجري الحبشة ومكة[4].

ومن خلال كتابته، عكس لنا النظرة الاجتماعية لهؤلاء المجاهدين من فضل الأسبقية، لقيمتهم المتزايدة في طبقات المسلمين.

ويرز من مؤرخي الطبقة الثالث المولى موسى بن عقبة[5] الذي أضاف إلى

---

(١) عثر بيكر على كتابه في المغازي، والكتاب محفوظ في مكتبة هيدليرج، وهو لا يعتمد الإسناد.
أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٢، ص٣٢٢.
الدوري: نشأة علم التاريخ، ص٢٥.

(٢) اعتمد عليه كل من ابن قتيبة، الطبري، والمقدسي، كما قلده في كتابة التاريخ منذ بدء الخلق ابن اسحق.
الدوري: نشأة علم التاريخ، ص٢٦. سالم التاريخ والمؤرخون ص٢٥.

(٣) مولى الأنصار: توفي سنة ١٢٣هـ=٧٤٠م.
ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٢٢٨.
الزركلي:الإعلام:، ج٣ص١٥٩.
روى كثيراً عن زيد بن ثابت، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة.
ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٢٢٨.

(٤) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٢، ص٣٢٢.
سالم: التاريخ والجغرافيا، ص٢٢.
شاكر مصطفى: التاريخ العربي، ج٢، ١٥٤.

(٥) مولى ال الزبير، توفي سنة ١٤١هـ=٧٥٨م.
الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٤٨.

المغازي تاريخ الراشدين والأمويين معتمداً على علم أستاذه الزهري وماوصلت إليه يده من الوثائق والروايات[1].

وقد تميز موسى بن عقبة بفكر تاريخي منهجي منظم، مكنه من وضع قوائم بأسماء الصحابة والمهاجرين إلى الحبشة، فكتب مادته في تسلسل زمني حولي[2] جعل ابن سعد والطبري والواقدي وابن سيد الناس ينقلون عنه[3]. ويعاصر ابن عقبة المولى معمر بن راشد[4] الذي انتهى به المطاف إلى اليمن، وكتب كتاباً عن المغازي ورتبه ترتيباً موضوعياً على العكس من ابن عقبة، وقد فعل ذلك أيضاً في علم الحديث.

وقد سار على نهج ابن منبه، فكتب إلى جانب سيرة الرسول سيرة الأنبياء الآخرين، كما أدخل الكثير من قصص الكتابيين المتعلق بالرسل[5].

وهناك عدد من الموالي الأخباريين الذين أولوا السند أهمية خاصة أدى فيما بعد إلى الاهتمام بالأنساب للقبائل وأحوالها مما خلق شعوراً بالأمة وأوجد نوعاً من التأكيد على استمرارية الثقافة بربط الماضي بالحاضر.

---

(١) وضع كريب بن أبي سملم مولى عبدالله بن عباس عنده حمل بعير من كتب ابن عباس فاستفاد منها.
ابن سعد:الطبقات، ج٥، ص٢١٦.

(٢) في برلين مخطوط يحوي جزءاً من المغازي، نشرة ش و سنة ١٩٠٤م.

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٢، ص٣٢٦.
سالم: التاريخ والمؤرخون، ص٦١.
الدوري: نشأة علم التاريخ، ٢٧.
شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ص١٥٩.

(٤) مولى للأزد، توفي سنة ١٥٣هـ. تذكرة الذهبي، ج١، ص١٩١.

(٥) الكتاب لا يزال مخطوطاً في اسطنبول. سيد كاشف: مصادر التاريخ الإسلامي، ص٢٩.
ابن النديم: الفهرست، ص١٣٨.

وبرز في هذه المدرسة الشعبي[1] وقد كان قريب الشبه بابن مشبه إلا أنه أضاف روايات عن الأعراب.

على أن الذي خطا خطوات واضحة في تطوير التدوين التاريخي كان المولى عوانة بن الحكم[2] إذ أننا مدينون إليه بتسمية علم التاريخ فهوصاحب أول كتاب بهذا الإسم "كتاب التاريخ" وقد تناول في كتابه أحداث التاريخ الإسلامي في القرن الأول الهجري، والمقتطفات عنه تكشف أنه تحدث عن الخلفاء الراشدين، والردة والصراع بين علي ومعاوية حتى نهاية عبد الملك[3].

وهناكتاب آخر تناول سيرة معاوية وبني أمية، وهو بهذا يكون أول كتاب يخصص لخليفة ولأسرة حاكمة.

والكتابان يمثلان خطوة في تطور التدوين التاريخي بالسير نحو التخلص من القبلية أولاً والكتابة الموضوعية -إلى حد كبير- ثانياً فهو لا يتعصب للأمويين وإن حسب عليهم، كما أنه لا يهمل الآراء المعارضة لهم ولا الروايات العراقية والمدنية[4].

كما ظهرت لدى عوانه عملية التفسير التاريخي وبداية التحليل والتعليل السياسي وإن كانت بشكل أولي تقوم على محور فلسفي عنده، تدور حول الجبر

---

(١) وهناك غيره كحماد الرواية، محي الدين بن سعيد بن عمر بن همذان، توفي سنة ١٤٤هـ. ابن النديم: الفهرست، ص١٣٣. وأبو علي الأسوري، الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص١٠.

(٢) كان والده عبداً وأمه أمة سوداء لآل أيمن بن حزيم وله إخوة موال وكان عالماً بالأخبار والآثار، مات سنة ١٤٧هـ.

ياقوت: معجم الأدباء، ج٦، ص٩٣.

(٣) الدوري: نشأة علم التاريخ، ٣٦.

شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ص١٧٩.

(٤) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ص١٨٠.

وهي إرادة الله[1] وعلى عكسه حال ابن اسحق[2] معالجة التاريخ من خلال نظرة فلسفية حيث آمن بحرية الإرادة.

ويعتبر ابن اسحق ابرز وأهم مؤرخي المدينة في هذا العهد، فقد كتب التاريخ بطريقة جيدة، بحيث ذهب أبعد من حدود مدرسة المدينة سواء إلى نظرته التاريخية أم في أسلوبه، فقد جمع بين أساليب المحدثين والأخباريين، واستفاد من مختلف نواحي الاهتمام من مغازي وتورايخ أنبياء، وجمع بين الأحادث والروايات التاريخية والإسرائليات كما أدخل الشعر الصحيح حيناً والموضوع حيناً آخر، وقد وصلنا كتابه في سيرة ابن هشام[3]. فإلى ابن اسحق يعود الفضل في جمع مغازي الرسول، وتاريخ النبوة إلى جانب التبويب والترتيب التسلسل.

---

(١) وهذا كما يروج لها الأمويون، فقد روي على لسانه قول يزيد ابن معاوية لعلي بن الحسين..." أبوك نازعني سلطاني... فصنع الله به ما قد رأيت" الطبري: ، ج٥، ص٤٦١.
وقول يزيد لابن الحسين... إن الحسين لم يقرأ: "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير".
الطبري، ج٥، ص٤٦٤.
قال الهيثم عن عوانه... "وإن قدر الله لابن الزبير شيئاً فهو كائن "البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥ ص١٤٠.
أما المعارضة فكانوا يؤمنون بحرية الإرادة. أبو محنف.

(٢) هو محمد بن اسحق بن يسار، كان مولى لعبدالله بن قيس بن مخرمة ولد نحو ٨٥هـ وتوفي سنة ١٥١هـ=٧٦٨م.
ابن قتيبة: المعارف، ص٢١٥.
ابن سعد: الطبقات، ج٧، قسم٢ ص٦٧.
ياقوت: معجم الأدباء، ج٦، ص٣٩٩.
الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٧٢، ١٧٣.
الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٢٨. وتوفي سنة ١٥٠هـ حسب رأي ابن الدني: الفهرست، ص٣٦٠.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٣، ٤، ٥.
وقد تبين أنه وجدت في المغرب نسخة مخطوطة من سيرة ابن اسحق، حققها الدكتور عبد العزيز الدوري، سنة ١٩٧٨م.

وقد توسع في نقل الأخبار بحيث دقق السند أحياناً[1]. كما أنه ممن استعمل المصادر، فقد اقتبس من الكتب المقدسة وسمى أصحابها أهل العلم[2].

هذا وقد اعتمد على طريقة الإسناد الجماعي في رواياته فقدم لنا بذلك قصة جذابة.

وهو بكل ذلك فقد مهد الطريق لخطوة جديدة في كتابة التاريخ.

ثالثاً: الحركة الشعوبية:

تمثل الشعوبية اجتماع الجهد لفئات مختلفة لزعزعة السلطان العربي، بتركيز الوعي السياسي والديني بين صفوف أصحابها، بعد إضعاف الإسلام بنسف تراثه من الداخل[3].

وقد بدأت دعوتهم في العصر الأموي في إطار الإسلام، تحت شعارات براقة، حين دعت إلى مساواة الشعوب الأخرى بالعرب في الإدارة والمجتمع[4] ولكن أهدافها سرعان ما ظهرت -على الرغم- من الحذر الشديد، بمهاجمة العرب والتنفيس عن أحقادهم.

---

(١) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ص١٦١.
الدوري: نشأة علم التاريخ، ص٢٩.

(٢) ابن النديم: الفرست، ص١٣٦.
ياقوت: معجم البلدان، ج٦، ص٤٠١.

(٣) عبد العزيز الدوري: الجذور التاريخية، ص١٢.
زاهية قدورة: الشعوبية وأثرها السياسي والاجتماعي، ص١٠.
أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج١، ص٥٥.
جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ص١٥٢،دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٧٩.

(٤) الدوري: الجذور التاريخية، ص٥.

ويعتبر أن مقتل عمر بن الخطاب كان أول طعنة شعوبية في الإسلام[1] نفذت على يد المولى أبي لؤلؤة الفارسي[2].

ومما لا شك فيه أن الفتح الإسلامي قد أثرفي نفسيات عدد ممن فتحت بلادهم، وشحنتها بالكراهية والحقد، ومن العوامل التي زادت في ذلك لديهم، نظام العرب القبلي في الزواج المبني على الأنساب والاعتداد بالقبيلة والجنس[3]، والذي يحبب زواج العربية من أفراد عائلتها وقبيلتها، ليس على سبيل الترفع أو الاحتقار كما رأى في ذلك الشعوبيون من الموالي.

وكذلك نظام القتال في المعارك حيث كان العرب يمتطون الجياد بينما كان غيرهم مترجلين[4].

وزادت تصرفات الحجاج أثناء ولايته للعراق في تضخم الكراهية وتذمر الموالي[5]، مما جعلهم يشتركون في الثورات المناوئة للدولة[6]، وعلى الرغم من أن

(١) زاهية قدورة: الشعوبية، ص٤١.
أنور الجندي: الإسلام وحركة التاريخ، ص١٠٦.
محمد حجاب: الصراع الأدبي بين العرب والعجم، ص٢٦.

(٢) التقى الهرمزاني وجهينه أبو لؤلؤة، واتفقوا على ذلك.

(٣) المبرد: الكامل، ج١، ص٢٠٥.
"أرغم عبد الملك الحجاج على طلاق أبنة عبدالله بن جعفر".

(٤) المبرد: الكامل، ج١، ص٢٧٤.
قال المختار لإبراهيم بن الأشتر يوم مقتل ابن زياد: احمل العرب على متون الخيل، وارجل الحمراء أمامهم.

(٥) الدوري: الجذور التاريخية، ١٥ "لقد فرض الخراج على العرب أنفسم بالرغم من مخالفة العرب والإسلام".
"نقش على أيدي الموالي أسماء بلادهم، ولم يرفع الجزية عمن أسلم ولم يساوهم بالعرب في العطاء".

(٦) البياسي: الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام، ج٢، ص١٠٧. مخطوط.
الثورات: ثورات الخوارج، ثورة المختار، ثورة ابن الأشعث، ثورة الحارث بن سريج... الخ.

الدولة الأموية استطاعت القضاء على هذه الثورات، فإنهم كانوا كالسوس ينخرون في عظامها[1].

ومن العومل المساعدة التي أيقظت الأمل في نفوس الشعوبيين وأثارت طموحهم للثأر مساواة المختار الثقفي للموالي بالعرب وأجزال العطاء لهم[2]، وكذلك رفع ابن الأشعث من مكانتهم أثناء ثورته لاعتماده عليها[3].

اعتمد الشعوبيون في حركتهم على طائفة من العلماء والشعراء لطلاء ارائهم بلون يصعب اكتشاف سمومها ومفاسدها ضد العرب[4].

وقد ظهرت الشعوبية بادئ الأمر على شكل مساجلات أدبية اصطبغت بالجرأة في كثير من الأحيان.

ولعل من أولى الأصوات الصاخبة التي ارتفعت ضد العرب، وقست قسوة كبيرة عليهم كان صوت شعراء الموالي السود[5]. الذين كانوا من رواد

---

(١) محمد حجاب: الصراع الأدبي، ص٣٢.
الدوري: الجذور التاريخية، ص١٤.

(٢) البياسي: الإعلام بالحروب، ج٢، ص١٠٧، مخطوط.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٨٨ (استجاب له من العجم في الكوفة زهاء ٢٠ ألفاً).
فلهوزن: الخوارج والشعوبية، ص٥٩.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج٢٦، ص٢٤٧ (كان معه مئة ألف من الموالي) حوادث عام ٨٠، ٨١، ٨٢هـ.

(٤) ابراهيم العدوى: المجتمع العربي ومناهضته للعشوبية، ص١٤.

(٥) أشهر شعراء الزنوج:
١- رباح بن سنج الزنجي، مولى بني ناجية.
المبرد: الكامل، ج٢، ص٨. الطبري، ج٨، ص٣٥.

الشعوبيـة[1] ولكن أصوات هؤلاء السود كانت واهنة ضعيفة لعدم وضوح دورهم في المجتمع الجديد الجديد في العهد الأموي ولأن الفتوحات لم توجه إليهم.

بيد ان الحركة الشعوبية ظهرت بين الفرس والمنتسبين لهم ، لتوافر الدوافع الجذرية التي ميزت موقفهم من غيرهم من الموالي والأعاجم. لقد تظافرت الأسباب

رد على قول جرير:

لا تـطـلـبن خـــــؤولة في تـغـلـب　　　فـــالزنج أكـــرم منهم أخـــوالا

فقال رباح في قصيدة من ١٦ بيتاً هاجم فيها العرب. رسائل الجاحظ، ص٦١ (طبعة الساسي).

والزنج لو لاقـيـتـهـم في صـفـهـم　　　لاقـيت ثم جـحـاجـحـاً أبطالا

سل إبْنَ جـيـفـر حين رام بلادنا　　　فـرأى بغـزوتهم عليـه خـيـالا

ب- عكيم الحبشي رد على حكيم بن عياش الكلبي لقوله:

لا تفخرون بخال من بني أسد　　　فإن أكرم منها الزنج والنوب

فافتخر بليلة الفيل والنجاشي وأبرهة منها. رسائل الجاحظ، ص٦٦.

وليلة الفـيـل إذ طارت قلوبهم　　　وكلهم هارب مـوف على قـتب

منا النجاشي وذا الخفضين صهركم　　　وجـد أبرهة الحـامي أبي طلب

جـ-الحيقطان رد على جرير لقوله:

كـــأنـه لما بدا للناس　　　أير حـمـار لف في قـرطاس

فهجا العرب في ١٧ بيتاً

تأبى الجلندي وابن كـسـرى وحارث　　　وهوذة القبطي والشيخ قـيـصـر

غـــزاكم أبو يكسـوم في داركم　　　وأنتم كـقـبض الرجل أو هو أكـثـر.

رسائل الجاحظ، ص٥٦، ٥٧، ٥٨، (طبعة ساسي).

أبو يكسوم: صاحب الفيل.

(١) عبده بدوي: السود في الحضارة العربية، ص١٩٨، مجلة الدوحة، السنة الثانية، العدد ١٨، ص٧٢.

لطائفة من شعراء الموالي ، عندما وجدوا بعض شعراء العرب[1] يتخذ ون من الموالي أمثلة تحط من مقامهم، مما دفعهم إلى الأخذ، بإظهار أحاسيسهم بماضيهم الزائل وأخذوا يبرزون حضارتهم وماضيهم بصورة افتخار، وتطور إلى تعصب شديد كما هو واضح لدى إسماعيل بين يسار:

إنما سمي الفوارس بالفُرْسِ مضاهاة رفعة الأنساب[2]

ويعنف أسلوب شعراء الموالي في تحقير العرب فيتخذون من الرمز والكتابة

---

(١) من شعراء العرب الذين شبهوا الموالي بما يحط من مكانتهم:

أ- جرير الذي قال في بني العنبر:

قالوا اشتروا جزراً منا فقلت لهم بيعوا الموالي واستحيوا من العرب

ديوان جرير، ص٤٩. المبرد: الكامل ج١، ص٢٧٢.

ب- القرزدق: هجا المهلب معرِّضاً به:

تبين أنه نبطي بحر وأنَّ له اللئيم مَن الديار

وقال في يزيد بن المهلب:

لو أنهم عرب أو كان قائدهم مدبراً ما غزا العبان بالرحم

جـ- محمد بن البشير، عاقب والي المدينة أحد الموالي يفسخ خطبته من خطيبته من بين سليم، ثم جلده مئتي سوط، وحلق رأسه. فقال:

فأي الحق أنصف للموالي من اصْهارِ العبيد إلى العبيد

وقال:

إذا افتقر المولى سعى لك جاهداً لترضى وإن نال القنا عنكا أدبرا

الأغاني، ج١٦، ص١٠٦، ١٠٧.

(٢) الأغاني، ج٤، ص٤١١.

وقد مثل بين يدي هشام بن عبد الملك فافتخر بشعوبيته بعد مدح الخليفة حيث قال:

أصلي الكريم ومجدي لا يقاس به ولي لسان كحد السيف مسمومُ

من مثل كسرى وسابور الجنود معاً والهرمزان لنا فخرٌ وتعظيمُ

الأغاني، ج٤، ص٤٣٣.

وهناك ابنه ابراهيم، انظر الأغاني، ج٤، ص٤٢٧.

طريقاً، فأخذوا يرمزون للعرب بهند وسلمي وأمامه[1]، ثم يبتكر الشعوبيون مطاعن غيرها، فأخذوا يكبرون ويضخمون مثالب العرب بما ينطقون للرواة بما لا يعرفون، ولعل الجارية العامرية، وما نطقت به من شعر في ذم القبائل العربية كافة وبلا استثناء واضح في ذلك[2].

واستمرار للخطة واستكمالاً لها، يختلق الشعوبيون القصص لنيل من شرف العرب كما هي الحال في قصة وضاح اليمن[3].

ويسير الشعوبيون في الخطة المضادة، برفع شأن الفرس بالإكثار من رواية الشعر الجاهلي في مدح الفرس[4]، وذلك لإعطاء صورتين متعاكستين، تبين أحداهما هوان العرب وثانيهما مكانة وعزة الفرس.

ويستمر حرص الشعوبيين في أسلوبهم بالمغالطة وتزييف التاريخ بوضع القصائد ونسبتها إلى غير أصحابها لنيل شرف الرواية[5]. مما أحدث اضطراباً عند التأريخ للأدب العربي.

ويزيد بن ضبه، الأغاني، ج٧، ص٩٦. القائل:

وليـنـا الـنـاس أزمـــانـاً طـوالا ... سنـاهـم وبسناهم وقـدنا

وموسى شهوات. انظر الأغاني، ج٢، ص٢٦١ القائل:

أنا إبْنُ سلمـيـانُ جـدّيَ ظـالم ... وأمي حَـصَانٌ أخلصـتـهـا الأعـاجم

وفي ص ٣٢٣:

هنا الملك إلا أن شـيـئـاً يعكره ... قـريش ولو شئنا لفلت رقـابهـا

وإن غـضـبت من ذا قـريش فـقلْ لهـا ... مـعـاذ الإله أن أكـون أهابهـا

(١) الأغاني، ج٤، ٤١٤. ج٧، ص٩٥. ج٦، ص١١. ج٣، ص٣٥٩، ج٢، ص٢٦١.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص٢٨٦-٢٩٣.

(٣) الأغاني، ج٦، ص٢٢٤.

(٤) انظر ديوان الأعشى، وديوان عدي بن زيد، ولقيط بن يعمر.

(٥) الأغاني، ج٦، ص٢٨٩، ص٩٠، ٩٢.

ابن سلام: طبقات الشعراء، ص٢٤.

البغدادي: خزانة الأدب، ج٤، ص١٢٩.

ويقوم الشعوبيون بصبغ الإسلام بصبغتهم، ثم نسف التراث الديني بنشر الأباطيل والأراجيف، فتسللوا إلى الفرق الدينية، فقد تمكن ميمون بن خالد بن عمران من الدخول إلى الخوارج الأزارقة، وأباح لأتباعه الزواج من بنات البنات، وبنات البنين، مخالفاً مبادئ الإسلام وسائراً حسب ما تقتضيه التعاليم المجوسية[1]. ويتمرد المولى عبد ربه الكبير على قطري بن الفجاءة، ممافسخ جيشه، فتبعت غالبية الجيش المتمرد لأنهم كانوا من الموالي مثله، ثم يضع أحدهم حداً لنهاية قطري بالغدر به[2].

ونادى كيسان بتناسخ الأرواح، وهي أحدى صور النظريات الفارسية القديمة[3].

---

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٦.
الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٢٩.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٠٩ (حوادث عام ٧٧هـ).
قتل أحد الموالي قطري بن الفجاءة، ص٣١٠.

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص٥٠، ٥١.
البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٣٩.
الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٤٧.

وأخيراً يتخذ الشعوبيون ظاهرة الزندقة والإلحاد والتهتك والخلاعة[1] أسلوباً ضد الدين لمحاربته.

ويفلسف المولى جهم بن صفوان المرجئي الإيمان، فينادي بأن الإيمان في القلب، ولا ضيرفي التظاهر بأن يعكس غير ما يبطن[2].

وقد أدت هذه الدعوة إلى تحلل الناس من الفرائض، وأباحت لغير المسلمين ادعاء الإسلام.

وهكذا كانت المساجلات الأدبية، والتحامل على المثل العربية، والاستهانة بالثقافة العربية الإسلامية، بخلق المثالب، واختلاق القصص ونشر الأباطيل للنيل

---

(١) وأشهر من قام بذلك:

أ- جعد بن درهم: مبتدع ضال أعدمه هشام بن عبد الملك.
الذهبي: ميزان الاعتدال، ج١، ص٣٩٩.

ب- حماد الراوية، حماد عمرو، حماد الشريرقان.
انظر المرتضى: آمال المرتضى، ج١، ص١٢٧.
الأغاني ج٦، ٧٤.

جـ- منصور العجلي: الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص٧٤.
الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٧٩.
البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٢٤٣ (دعا لانتهاك المحرمات، قتله يوسف بن عمر الثقفي).

د- بيان بن سمعان: قال إن الله على صورة إنسان.
الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٥٢، ١٥٣.
الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص٦٦.
الغدادي: الفرق بين الفرق، ص٤٠.

(٢) هو مولى بني راسب، توفي سنة ١٢٨هـ.
الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص١٩٧.
البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٢١١.
الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص٨٨.
ميزان الاعتدال، ج١، ص١٩٧.
الزركلي: الأعلام، ج٢، ص١٤١.

من شرف العرب ومكانتهم، قد كشف الخيوط ورسم لنا خطوط الجذور الشعوبية للموالي في العهد الأموي.

مما سبق يمكن أن تلخص علاقة الموالي بالشعوبية في العصر الأموي كما يلي:

١- بدأت الشعوبية على شكل مساجلات أدبية، قام بها شعراء الموالي وخاصة من كان ينتمي لأصل فارسي، بدأ بالاعتزاز بماضيهم وملوكهم وانتهى بتحقير العرب.

٢- دس الشعوبيون المثالب على العرب، وانطقوا بها الرواة، واختلقوا القصص للنيل من العرب.

٣- أكثر رواة الشعوبيين من روايات الشعر الجاهلي التي تمدح ملوك الفرس لإعطاء صورة تبين مكانة العرب والفرس.

٤- تسلل الشعوبيون للفرق الدينية، وأدخلوا بعض الآراء المجوسية البعيدة عن مبادئ الإسلام.

٥- اتخذ الشعوبيون من البدع وسيلة لهدم تراث الإسلام.

رابعاً: الأدب:

كانت لغة القرآن هي اللغة الرسمية للدولة، وطلباً لتحقيق الأهداف الدينية والمنافع الدنيوية، سارع الموالي لتعلمها، وتيسرت لهم نتيجة الاختلاط والامتزاج حتى حذقوها كأهلها، فبرز منهم عدد من الأدباء والشعراء الذين أسهموا في مد الحياة الفكرية باتساع جديد.

ويلعب الشعر دوراً مهماً في المجتع العربي، فيه يتفاضلون وبه يمدحون أو يذمون[1]، ولما كن الموالي جزءاً من المجتمع الأموي، لذلك قلدوا العرب في نظمه،

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص١٠٢.

فأخذوا قوالبه وأساليبه عنهم واشتهرت طائفة من شعرائهم كإسماعيل بين يسار، وموسى شهوات، والحزين الكناني وزياد الأعجم. طرقت أبواب الشعر كافة تلمسا لطريق الحياة ولتسر ما يجيش في نفوسهم من أفكار متعددة ومتناقضة أحياناً[1].

والمدح من أبرز الأغراض التي طرقها شعراؤهم، وشغل النصيب الأكبر لديهم، متخذين سياسة الاتصال بأولي الأمر للتقرب من الحكم ولنيل عطاياهم وهباتهم، وكسب رضاهم مما جعله بعيداً عن الصدق[2].

---

(١) طه حسين: من حديث الشعر والنثر، ص١٨.
محمد كفافي: في أدب الفرس وحضارتهم، ص١٠.

(٢) أشهر من طرق المدح من شعراء الموالي:

أ- إسماعيل بن يسار: مدح عبدالله بن الزبير. الأغاني، ج٤، ص٤٠٨.
مدح الغمر. الأغاني، ج٤، ٤١٠. ومدح عبدالملك، ص٤١١.
والوليد بن يزيد، ص٤٢٤.

ب- يزيد بن ضبه: انقطع لمدح الوليد بن يزيد، الأغاني، ج٧، ص٩٧.

جـ- موسى شهوات: مدح سعيد بن خالد، الأغغاني، ج٣، ص٣٥٤.
انظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٣٦٦، ومدح حمزة ابن عبدالله بن الزبير، انظر الأغاني، ج٣، ص٣٥٧.
المبرد: الكامل، ص٤٠٠.

د- نصيب: مدح عبد العزيز بن مروان. الأغاني، ج١، ص٣٣٣.
وابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٣٣٢. ومدح هشام بن عبد الملك، انظر الأغاني، ج١، ص٣٣٩.

هـ- الحزين الكناني: مدح محمد بن مروان، الأغاني، ج١٥ص ٣٢٥.

و- أبو العطاء السندي: مدح يزيد بن هبيرة: الأغاني، ج١٧، ص٣٣٠.
البغدادي: خزانة الأدب، ج٤، ص١٧٠.

ل- زياد الأعجم، مدح عبد الجراح، الأغاني، ج٥، ص٣٨٦.

م- أبو العباس الأعمى: الأغاني، ج١٦، ص٢٩٩.

وينال ذكر محاسن الأموات (الرثاء) أهمية عند بعض شعرائهم، مما جعلهم يحسنون اختيار الصور الملائمة للغرض، فقد قدموا لنا مراثي على جانب من الإبداع[1].

ومن أهم الأغراض التي استغلها شعراؤهم الهجاء، فقد كان سلاحاً مرهوباً بأيديهم يخشاهم الناس، ويتقونهم بإكرامهم ومداراتهم، فحقق بعض الهجّائيين جزءاً من رغباتهم ومطامحهم. وقد استغله بعضهم لقذف أعراض الناس، حتى أصبح وسيلة للتكسب لديهم[2].

---

(١) ومن أشهر شعرائهم:

أ- الحسين بن مطير: الذي رثى معن بن زائدة بقوله:

ألمّا على معن وقولا لقبره   سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعاً

الأغاني، ج١٦، ١٨. البغدادي: خزانة الأدب، ج١، ص٤٨٥ (مولى بني أسد).

ب- زياد الأعجم: رثى المغيرة بن المهلب (خمسون بيتاً).

قل للقوافل والغُزّى إذا ما غزوا   والباكرين وللمجد الرائح

الأغاني، ج١٥، ٣٨١. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٣٥.

البغدادي: خزانة الأدب، ج٤، ص١٩٢.

(٢) أ- زياد بن الأعجم: هجا يزيد الضبي لأنه نصحه، الأغاني، ج١٥، ص٣٩٠. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٢١٢.

وهجا بني يشكر. ابن سلام: طبقات الشعراء، ص٢١٣.

ب- أبو العباس الأعمى: هجا عبدالله بن الزبير. الأغاني، ج١٦، ص٣٠٢.

جـ- يزيد بن مفرغ: هجا آل زياد. الأغاني، ج١٨، ص٢٥٧، ٢٦٢، ٢٨٠. البغدادي: خزانة الأدب، ج١، ص٥١٥، ٥١٦.

د- ابن الخياط: كان يقذف أعراض الناس، حتى والده لم يسلم من هجائه، هجا هشام بن عبد الملك، الأغاني، ج٢٠ ص١٠.

هـ- ابن ميادة: كان يهاجي الشعراء ومسبة الناس، هجا بني مازن وفزارة بن ذبيان، الأغاني، ج٢، ص٢٦٣. تبادل الهجاء مع الحكم بن معمر الحضري. المصدر السابق، ص٢٨٣.

يشك الدكتور حنا حداد بأن أصله مولى، ص٩٢ انظر كتاب:

وهذا الشعر يدل على مقدار الحقد والكراهية في نفوس قائليه من الموالي ضد العرب، ترجمت من إحساس عميق إلى تجريح وتحقير وإهانة.

وتنال المرأة حظاً لدى شعرائهم، فقد ذكر الشعراء محاسنها وتفننوا في ذكر صفاتها وميزاتها بأجمل الصور الرقيقة(١)، وآخرون ركزوا على مساوئها وتخيروا فحش الكلام لنعتها ووصفها به(٢).

وترجم بعض الشعراء تجاربهم إلى شعر، هو خلاصة مشاهداتهم وممارستهم، في عبر خالدة تصلح لكل زمان، صادرة عن نفوسهم فكانت لآلئ منظومة في شعر ينطق بالحكمة. ستظل مصدر امتاع وتأثير في ضمير

ابن ميادة، وزارة الثقافة السورية.

و- الحزين الكناني: يتكسب بالشعر، هجا سهل بن عبد الرحمن بن عوف. الأغاني، ج١٥، ص٣٣١، وبنو كعب، ص٢٣٢.

وأبا يعره (رجل من بني كعب عامر بن لؤي)، ص٣٣٤. عمرو بن عمر بن الزبير ص٣٣٦، ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر مقابل سكوته، ص٣٣٢.

ل- هجا أبو العطاء السندي بني هاشم: خزانة الأدب، ج٤، ص١٧٠.

بني هاشم عودوا إلى نَخَلاتكم   فقد قام سعر التمر صاع بدرهم

(١) أشهر من قال في الغزل:

أ- داوود بن سلم: الأغاني، ج٦، ص١٨، ١٩.

ب- وضاح اليمن، المصدر السابق، ج٦، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤.

جـ- يزيد بن ضبه، المصدر السابق، ،ج٦، ص٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤.

د- إسماعيل بن يسار، المصدر السابق، ج٣، ص٣٥٢، ٣٥٥.

و- ابن مفرغ، المصدر السابق، ج١٨، ص٢٨٩، ٢٩١.

(٢) وأشهرهم:

أ- وضاح اليمن: شبب بزوجة الوليد بن عبدالملك، الأغاني، ج٦، ص٢١٨، ص٢١٩. وبالمغنية حبابة، الأغاني، ج٦، ص٤١٤.

ب- ابن مفرغ، الأغاني، ج١٨، ص٢٨٣.

جـ- الحزين الكناني، ج١٥، ص٣٣٠.

البشرية[1].

ومارس بعض شعراء الموالي العداء ضد الدولة، فانخرطوا في الأحزاب السياسية المعارضة، ونطق شعراؤهم بذلك مدافعين عن مبادئها معبرين عما في نفوسهم من سخط نحو السلطة القائمة، وغير متناسين مصالحهم الآنية والمستقبلية، طلباً للاحتماء والانتفاع[2].

واندفع بعض الشعراء بالحض على الثورة والخروج على النظام القائم

---

(١) وأشهرهم:

أ- ابن ميادة، الأغاني، ج٢، ص٢٩٠، ٢٩٨.

فللموت خير من حياة ذميمة ... وللنجل خير من عناء طويل.

ب- ابن مفرغ، الأغاني، ج١٨، ص٢٦١، ٢٨٠.

العبد يُقْرَعُ بالعصا ... والحر تكفيه الإشارة

جـ- أبو العطاء السندي، الأغاني، ج١٧، ٣٢٩، ٣٣٦.

د- زياد الأعجم، الأغاني، ج١٥، ص٣٨٧، ٣٩٠.

وكل امرء لا بد للموت صائر ... وإن عاش دهراً في البلاد يسيح

هـ- ثابت بن قطنة، الأغاني،، ج١٤، ص٢٨١.

(٢) كان اسماعيل بن يسار بادئ الأمر مع الزبيريين. الأغاني، ج٤، ص٤٠٨. كان أبوالعباس الأعمى مع الأمويين. الأغاني، ج١٦، ص٢٩٨.

وكذلك يزيد بن ضبه. الأغاني، ج٧، ص٩٥.

عمرو بن الحصين كان مع الخوارج، الأعلام، ج٢، ص٩٨.

وامتدح كلاً من:

نصيب آل البيت، الأغاني، ج١، ص٣٤٣.

وابن المولى، آل البيت، الأغاني، ج٣، ص٢٩٥.

وداوود بن سلمة، آل البيت، الأغاني، ج٦، ص١٥، ص١٥.

الجميلة لما شاهدوه ولم يكونوا يعرفونه من قبل[1].

وأخذت الألفاظ الفارسية تدخل لغة كبار الشعراء العرب كالفرزدق[2] وجرير[3].

ولما كانت اللغة العربية إحدى اللغات السامية، ففيها من الخصائص ما يختلف عن اللغة الفارسية الآرية الأصل، لذا رأينا طوائف من الموالي يلفظون

---

(١) انظر الجاحظ: البيان والتبيي، ج١، ص١٧، ١٨.

السوق بالفارسية وازار. والبطيخ بالفارسية الخربز، والغناء بالفارسية الخيار... الخ.

وانظر محمد موسى هنداوي: المعجم في اللغة الفارسية، ص١٦١، ١٦٢. دولاب: آلة لرفع الماء. الدهقان المزارع. الديوان: مكان اجتماع القوم وما يسجل فيه من الشعر. تراز بداية: التطريز. طربوش: أصلها شربوش. قبان: أصلها كبان. كاكي: اللون الترابي. كار: الحرفة. بفته: قماش منسوج. بخشيش: عطاء، بشكير: أصلها بشجير. ترزي: خياط. خان: مكان. زبون: مشتري سجاف: غطاء أوستارة أو حجاب. سادة: صافي.

كما شاع إضافة مقطع آن الفارسي لعدد من الأسماء العربية. عرفت قطيعة سويد بن منجوف باسم سويدان، ولبنلان للبُنى بن عمره، وجبران لآل كلثوم بن جبر، وكثيران لكثير بن يسار. وبليلان لبلال بن برده.

انظر البلاذري: فتوح البلادان، ص٥٠٩.

(٢) النقائض، ج٢، ص٧٨٧، قال الفرزدق:

منعتك ميراه الملوك وتاجهم وأنت لدرعي بيذق في البيازق

البيذق: كلمة في الشطرنج وهي فارسية الأصل.

(٣) النقائض، ج٢، ص٨٤٥، قال جرير:

لا خير في غضب الفرزدق بعدها سلخوا عجانك سلخ جلد الروذق

الروذق: بمعنى الحمل المنتوف.

أحرفاً عربية بصورة آرية الأصل، يستبدلون حرفاً بحرف[1].

وقد انتشرت هذه اللكنة بين الموالي، وتسربت إلى كبار أدبائهم وشعرائهم[2]، هذا إلى جانب اللحن الذي عرف طريقه إلى شعراء العرب وفصحائهم[3].

إن نتاج الشعراء الموالي يظهر فيه بوضوح غزارة الألفاظ وحسن تنسيقها وغنى التعبير، وكثرة المعاني، مما يعكس لنا ثقافتهم السابقة، التي منحتهم العمق، ومكنتهم من الخلق والابتكار، والغوص وراء المعاني، بأسلوب متين

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٥١.

الموالي يلفظون الزين سيناً، والعين همزة، ج٢، ص١٦٧.

الدال ذالاً، والحاء همزة والضاء دال، ابن قتيبة: عيون الأخبار ج٥، ١٥٩. الحاء همزة والعين همزة.

الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٥٢، ٥٣، ٥٤ (انظر اللكنة عند الجواري).

الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص١٠٢، الدال ذالاً، والقاف كاف، الطاء تاء والعين همزة والشين سيناً.

(٢) الأغاني، ج١٥، ص٣٨٠، كان زياد الأعجم لا يحسن النطق بالعربية فيلفظ العين همزة والكاف همزة والحاء هاء.

ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٣٥٩، كان أبو العطاء السندي عنده لثغة بحيث لا يفهم كلامه.

الأغاني، ج١٧، ص٣٢٨. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٤٨٢.

كان أبو ميادة كثير السقط في شعره.

(٣) لحن الفرزدق فاستعمل كلمة مخارير بدلاً من محاسير، ومولى مواليا، بدلاً من موال. انظر ابن سلام: طبقات الشعراء، ص١٣.

ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٢٥.

وذكر أن زياد بن أبيه كان يلحن أحياناً. انظر الجاحظ: البيان، ج٢، ص٥٠. ولحن الحجاج، انظر ابن سلام: طبقات الشعراء، ص١٠، وكذلك لحن الوليد بن عبد الملك، انظر العيون والحدائق ج٢، ص٨.

جذاب[1].

أما الصور، فقد ابتكروا صوراً جديدة، تضمنت معاني السطوة والرهبة[2] بجانب الدعوة إلى الرفق بالحيوان[3]، نتيجة مسحة نانوية، وإليهم يعود إدخال الشعر القصصي للغة العربية[4].

وقد تأثر شعراء العرب، بمعانيهم حيناً، وبالاقتباس والانتحال حيناً آخر[5]، مما أدى إلى زيادة المعاني بالتوليدات والإبداعات[6] فالمعاني اتسعت تبعاً لذلك، ولتأنق العرب في المأكل والملبس، مما دفع بالشعر إلى الإبداع.

---

(١) وهذا واضح عند معظمهم، انظر الأغاني، ج٤، ص٤١٦. و ج١، ص٣٢٧. وج٢، ص٣٢٣. وج١٤، ص٢٧٠، وج٣، ص٣٥٧. وج١٧، ص١٨، وج١٥، ص٢٨٠.
ولعل وصف ابن ميادة لسحابة المطر خير مايمثل ذلك بوضوح،
انظر المبرد: الكامل، ج١، ص٥١.

(٢) ويمثل السطوة والرهبة ابن ميادة، انظر الأغاني، ج٢، ص٣٣٣.

(٣) ولعل قصيدة زياد الأعجم في مناجاة الحمامة يمثل هذا الاتجاه.
الأغاني، ج١٥، ٢٨٣.
البغدادي: خزانة الأدب، ج٤، ص١٩٩.

(٤) أحمد أمين: فجر الإسلام، ١٣٧.

(٥) انظر قصيدة اسماعيل بن يسار، الأغاني، ج٤، ص٤١٦، وقصيدة زياد الأعجم في الأغاني، ج١٥، ص٢٨٣.
محمد كفافي: الفرس وحضارتهم، ص١١.

(٦) انتحل جرير من سلمة بن عياش قوله:

بيت زرارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فأدخله في قصيدته، انظر الأغاني، ج٢٠، ص٢٩٦.
وانتحل الفرزدق قول ابن ميادة:

لو انَّ جميع الناس كانوا بتلعة وجئت بجدي ظالم وابن ظالم.

ومضنها شعره وغيّر ظالم بدارم.
وانظر الأغاني، ج٢، ص٢٦٧.
وانتحل ابن ميادة شعراً لامرئ القيس. الأغاني، ج٢، ص٢٧٤.
كما انتحل بيتاً لابن قتال، انظر الأغاني، ج٢، ص٣١١.

وهناك عدد من التأثيرات غير المباشرة للموالي في الأدب العربي وفي مقدمتها ظهور القصائد الطوال في الغزل لأول مرة، وانطلاقاً من مبدأ الفن لذاته[1] نتيجة توفر المال وكثرة السراري، وقد تميزت بذلك مدرسة الحجاز وعلى رأسها عمر بن أبي ربيعة[2].

كما أن مجالسة الشعراء العرب للزهاد من الموالي أثرت فيهم فمجالس الحسن البصري أنطقت الفرزدق شعراً دينياً[3]، وملازمة جرير لحلقة ابن سيرين ولّدت الصور الإسلامية في شعره[4]. وأثرت بعض أفكار الموالي الدينية في بعض شعراء العرب، فرأينا قصائد تتضمن فكرة تناسخ الأرواح والرجعة[5].

أما النثر فيظهر تأثير الموالي واضحاً فيما تركه الفقهاء والمحدثون والقصاصون من خطب ووصايا، وما كتبه الكتاب من كتابات متنوعة، أثروها بمعارفهم وثقافتهم القديمة، فأقبلوا على الدراسات الدينية والعقلية، يسهمون فيها بالحظ الأوفر، وارتقوا بالعقل العربي من خطابة وغيرها وخرج منهم أسراب

---

(١) طه حسين: حديث الأربعاء، ج٢، ص٤١٥، ٤١٦، ٤١٩.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٣٠٢، ٣٠٨.

(٣) الأغاني، ج٢١، ٣٩١. المبرد: الكامل ج١، ص٧٠.
وهناك قصيدة يهجو فيها ابليس، انظر الأغاني، ج٢١، ٣٠٤، ٣٥٧.
المبرد: الكامل، ج١، ص٧٠.
البغدادي: خزانة الأدب، ج٢، ص٢٧٠.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص١٦٩.
ديوان جرير، ص١٣٤، ٢٧٤، ٤١٥، ٥٠٩.

(٥) وممن تأثر بذلك السيد الحميري، وكثيّر.
انظر الأغاني، ج٦، ص٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤.
الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص٩٠، ٩١.
ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٩٦.

كثيرة في الكتابة كانوا أقدو على البيان والتصرف في الألفاظ من غيرهم[1].

ويلاحظ في هذا التراث النثري، بأنه مرتب الأفكار، وبارع التعبير، ومتزن الجمل، ومحلى بالسجع، وقصير الجمل، وكأنما يصاغ صوغ الأمثال، ولعل تأثير عبد الله بن المقفع واضح لتأثره باللغة الفارسية، هذا إلى جانب الأمثال الجديدة التي استحدثها المولّدون بكثرة[2].

ويشهد النثر تقدماً ملموساً في العهد الأموي، وبخاصة فترة ما بعد التعريب[3]، حيث ارتبط التعريب بديوان الإنشاء وكتابة الرسائل مما أدى إلى نثر سياسي، موضوعه الرسائل التي تتناول المسائل السياسية المختلفة[4]، وتكوين طبقة من الكتاب المحترفين، تتابعت أجيالهم على مر السنين، وكان كل جيل يضيف براعة جديدة إلى براعة سلفه[5]، وكا من أشهر كتاب هذا العهد سالم "مولى هشام"[6]، وعبد الحميد الكاتب[7]، اللذان رسّخا الكتابة الفنية.

---

(١) من أشهر من كان له تأثير الحسن البصري، انظر المبرد: الكامل ج١، ص٥٩، ومالك بن دينار. الجاحظ: البيان والتبيين ج١، ص٨٥. انظر وعظ مالك بن دينار لعمر بن عبد العزيز في الكامل، ج١، ص١٢٣. انظر خطب الحسن البصري، أنس بن مالك، يزيد بن أبان الرقاشي في البيان والتبيين، ج١، ص٢٠٧.

(٢) المولّدون: من ولد في أرض العرب، ونشأ مع أولادهم، وتأدب بآدابهم، وأمثال المولدين ما استحدث ولم يكن من كلام العرب فيما مضى. انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٩٨١. انظر الأمثال، للميداني، ج١، ص٨٨، ١٢٠، ١٥٠، ١٩٠، ٢٣٠، ٢٦٣، ٢٧٤، ٣١٧، ٣٢٧، ٣٥٦، ٤١٧، ٤٢٨، ٤٤٢، ٤٤٧، في الجزء الثاني، ص٥٥، ٦٧، ٩٠، ١٢٩، ١٧١، ٢٥٧، ٣٢٧، ٣٥٨، ٣٨٢، ٤٠٩، ٤٢٧.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص١٩٤.

(٤) طه حسين: من حديث الشعر والنثر، ص٢٧.

(٥) الدينوري: الأخبار الطوال، ٣١٨، ٣١٩ (رسالة ابن القرية إلى الحجاج).

(٦) ابن النديم: الفهرست ص١٧١ (روي أنه نقل رسائل أرسطو طاليس ونقل مجموعة مئة ورقة).

(٧) انظر رسالة عبد الحميد إلى الكتّاب، ص١٣٢، رسالته إلى ولي العهد ١٣٩ (من ضمن رسائل البلغاء التي جمعها محمد كرد).

أما سالم[1] فكان ممن تركوا تأثيراً واضحاً فيمن بعده، لبلاغته الكتابية، وبراعته الفنية، سار على نهجه من تلاه.

ويكمل عبد الحميد الكاتب[2] الإبداع النثري، فيرسخ أسلوبه الذي يبسط أفكاره بوضوح، وتوليد المعاني المبتكرة، بعد تأكيدها بشتى السبل، أما جُمله فقد امتازت بالتساوي والترادف والسجع، والتأنق في البدء والختام، فهو الذي مهد للكتاب من بعده، فلزموا طريقته لبراعته البيانية، وألفاظه المنتخبة، وغزارة معانيه التي أضفت على أسلوبه الروعة البيانية الخلابة.

إن سالم وعبد الحميد وصلا بالكتابة الأدبية النثرية في العصر الأموي إلى كل ما كان ينتظرهما من رقي وإبداع[3].

أما فيما يتعلق بعلم العربية "النحو" فلم يعرف علم النحو حتى نهاية العهد الراشدي، لعدم حاجة العرب إليه، لاعتمادهم على ملكة الفطرة التي تجنبهم الخطأ. فلما حصل الاختلاط والامتزاج مع الشعوب المفتوحة تسرب اللحن حتى للعرب أنفسهم[4] مما أدى إلى ضرورة إيجاد علم يقوّم اللسان ويبعده عن مواطن

---

(١) ابن النديم: الفهرست، ص١٧١ (ترك رسائل نحو مئة ورقة).

(٢) ابن النديم: الفهرست، ص١٧٠ (ترك نحو ألف ورقة).

المسعودي: مروج الذهب، ج٣ ص٢٦٣.

انظر رسائل البلغاء، ص١٣٢، رسالة عبد الحميد إلى الكتاب، ص١٣٩، رسالة عبد الحميد، ص١٣٩.

(٣) شوقي ضيف: العصر الإسلامي، ص٤٧٩.

(٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٥، ص١٥٨.

كان اللحن عند العرب عيبا، قال مسلمة بن عبد الملك "اللحن في الكلام أقبح من الجدري في الوجه "وقال عبد الملك" اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب النفيس" وقال أبو الأسود "إني لأجد من يلحن غمزاً كغمز اللحم".

وذكر الجاحظ في البيان والتبيين، ج١، ص٥٣، أن زياد ابن أبيه كان يلحن، وذكر ابن سلام في طبقات الشعراء، ص١٠، ان الجاحظ قد لحن، وجاء في العيون والحدائق، ج٣، ص٨ أن الوليد بن عبد الملك كان يلحن.

الزلل، يستمد أصوله وأسسه من طبيعة اللغة القرآنية، تقوم على تذوق أسلوب التعبير وفهمه في هذه اللغة.

واللحن يؤدي إلى تغيير المعنى ويفسده، وخاصة في القرآن الكريم، مما أدى إلى إيجاد أفكار جديدة، تحمل في طياتها لوناً جديداً لفلسفة الخطأ وتبريره وتعليله[1]، وهذا ليس هو الحل الأمثل لطبيعة الأمر، فقد زادت الحاجة الملحة إلى ظهور دراست نحوية لتقويم اللسان[2] وإبعاده عن سبل الخطأ.

وتحدثنا المصادر التاريخية أن أبا الأسود الدؤلي سمع أحد الموالي يلكن بأحد الأحرف مما أخل بالمعنى، وتوجه إلى الإمام علي بن أبي طالب وأعلمه بذلك فأرشده إلى البدء[3]، وأكمل أبو الأسود حتى وضع بداية علم النحو[4]، وبذلك

---

(١) لحن جرير، فاستعمل كلمة مخارير بدلاً من محاسير، ومولى موالياً بدلاً من موال فأتعب أهل الإعراب في طلب العلة وذلك في قوله:

فلو كان عبدالله مولى هجوته ... ولكن عبدالله مولى مواليا

ابن سلام: طبقات الشعراء، ص١٣.

ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٢٥.

(٢) حسين أمين: مجلة كلية الآداب (الاسكندرية) العدد ٢٢، ص١٨.

عبد الهادي محبوبة: مجلة المربد (البصرة) العدد١، ص٢٤٥.

(٣) ابن النديم: الفهرست، ص٦٠.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٣٥.

ابن خلدون: المقدمة، ص٥٤٦.

الأغاني ج١٢، ص٢٩٨ (قال له علي: تمم على هذا).

البغدادي: خزانة الأدب، ج١، ص١٣٦.

(٤) ابن النديم: الفهرست، ص٦٠، (أول باب وضع الفاعل والمفعول)

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٣٧ (أول باب وضع التعجب).

الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص٢٩٩ (أول باب وضع التعجب).

يكون أبو الأسود هو رائد علم النحو عند العرب(١) ثم أكمل عمله بعد ذلك بوضع علامات الإعراب (الضمة والفتحة والكسرة) في القرآن الكريم(٢).

وهكذا نشأ علم النحو استجابة لرد فعل أخطاء الموالي الذين كانوا في أمس الحاجة إليه، فظهرت نواة هذه المدرسة، التي اهتم بها الموالي(٣) واشتغلوا بها، وهم الذين مهدوا الخطوات لعلماء النحو فيما بعد، فالخليل بن أحمد وسيبويه والأخفش وغيرهم من الموالي(٤).

---

(١) ابن النديم: الفهرست، ص٦٠. الأغاني ج١٢، ص٢٩٧.
مات أبو الأسود سنة ٦٩ هـ بالطاعون. النجوم الزاهرة، ج١، ص١٦٩. البغدادي: خزانة الأدب، ج١، ص١٣٦. ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٥، ص١٩٧. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٤٥٨.
ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٣٥. ابن سلام: طبقات الشعراء، ص٩. البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص٤٢٢.
السيوطي: بغية الوعاة، ص٢٧٤.

(٢) كانت الحركات بادئ الأمر نقطاً على الحرف عند الفتح، بين يدي الحرف عند الضم، وتحته عند الكسر، ابن النديم: الفهرست، ص٦٠. الأغاني، ج١٢، ص٢٩٨. السيوطي: بغية الوعاة، ص٢٧٤.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٢٧٥. المبرد: الكامل ج١، ص٢٧٤. "مر الشعبي بقوم من الموالي يتذاكرون النحو، فقال لهم، لئن اصلحتموه، إنكم أول من أفسده".
ومن أشهر من اهتم بالنحو في هذا العهد:
أ- حماد الراوية. الأغاني، ج٦، ٧٠، ٧٣.
ب- حماد بن سلمة بن دينار، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص٢٠٢، ٢٠٣. السيوطي: بغية الوعاة، ص٢٤٠ (مولى ربيعة ابن مالك، توفي سنة ١٦٧هـ).
جـ- حماد الزبرقان. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٤٨٢.
د- خلف الأحمر. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٤٩٦.
(كان مولى لأبي بردة ابن أبي موسى الأشعري).

(٤) جرجي زيدان: التمدن الإسلامي، ج٣، ص٥٥.

خامسا: الحياة الفنية:

الفن هو الصورة الجميلة للحياة، يقوم بها الإنسان ليجسد موهبته وإبداعه عند توفر المناخات المناسبة.

ويشمل "الفن" هندسة العمارة والزخرفة والتصوير والحفر والموسيقا وغيرها.

ولم يأبه عرب الجزيرة -قبل الإسلام- بالفن لبدائيتهم وبعدهم عن الترف[1] إلا أنه ازدهر ونما وتطور في عهد بني أمية على يد الموالي، وأصبح له صفة مميزة عن غيره من العصور.

ويتميز الفن في هذا العهد بالسمات التالية:

١- تأثر الفن في هذا العصر بعدة موثرات فنية (ساسانية، بيزنطية وقبطية) كانت الأساس الذي قامت عليه بادئ الأمر[2].

٢- أدى تمازج الفنون السابقة -ولأول مرة- إلى بلوغ طراز فني جديد عرف بالمدرسة الأموية[3] كان الفن فيها مركباً يتألف من عناصر الفنون السائدة في البلاد، كما طور بعض العناصر وأصناف أخرى مما يتفق وثقافة العهد

---

(١) علماً أن الأزرقي ذكر في أخبار مكة، ج١، ص١٦٥ بأن عرب مكة زخرفوا جدران الكعبة وسقفوها بصور الأشجار والملائكة.
كما ذكر في ص١٢٣ أنه عرف في مكة رجل يصنع الأصنام اسمه أبو تجارة.

(٢) جورج مرسيه: الفن الإسلامي، ص٣٢.
عفيف بهنسي: جمالية الفن العربي ص١٦٠.
أنور الرفاعي: الإنسان العربي والحضارة، ص٣١١.
حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص٤٤.
عمر رضا كحالة: الفنون الجميلة في العصور الإسلامية، ص١٠.

(٣) بهنسي: جمالية الفن العربي، ص١٦١.
ريماند: الفنون الإسلامية، ص٩١.
نعوت نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٤٠.
حسن الباشا: دراسات في الحضارة الإسلامية ص٤٤.

الأموي، فالمدرسة الأموية كانت قائمة على الجمع والتحوير والإضافة، فكان العنصر الفني الجديد يختلف عن الأصل وذا شخصية مستقلة، إن ما أو أوجدته مدرستهم يعتبر حجر الأساس للفنون الإسلامية في سائر الأقاليم(١)

٣- هذب الفن الروح العربية بما أدخل عليها من الفنون المتنوعة. كما ربط بين المتعة الجمالية والمنفعة بمنتهى الانسجام(٢).

٤- كان الفن في هذا العهد -على الأغلب- في خدمة الحاكم أو حاشيته المباشرة(٣).

٥- حافظ الأمويون على التقاليد الفنية وعملوا على تقدمها في الطريق السليم، مما أدى إلى ظهور فن جديد حمل في طياته خبرات الأمم السابقة(٤) التي وفدت عن طريق الموالي أو المستخدمين (الخبراء).

٦- اعتنى الأمويون بالتصوير والفسيفساء، فجعلوا عمائرهم تحف بالصور الجدارية لعناصر متعددة إنسانية أو حيوانية ونباتية، إلى جانب الصور المحفورعلى المعدن.

---

(١) عبد القادر الريماوي: العمارة العربية الإسلامية، ص٣٧. دمشق وزارة الثقافة والإرشاد، سنة ١٩٧٩.

نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٤٠. نايف الطراونة: مجلة أفكار، العدد ٤٩، تشرين أول سنة ١٩٨٠، ص١٥٣. الفن في عهد بني أمية.

(٢) خليل صفية: مجلة الدوحة، السنة الخامسة، العدد ٤٩، ص٦٥. الفنون الإسلامية.

(٣) مارسيه: الفن الإسلامي، ص١٨، كحالة: الفنون الجميلة، ص٨.

التراث الإسلامي، ج٢، كريستي: الفنون الفرعية، ص٩ (ترجمة زكي محمد حسن، القاهرة: الجامعيين للنشر، سنة ١٩٧٨).

أنور الرفاعي: الإنسان العربي والحضارة، ص٣١٠.

(٤) تراث الإسلام، ج٢، جارين، العمارة، ص٥٤ (ترجمة حسين مؤنس، إحسان العمد، سلسلة المعرفة، الكويت سنة ١٩٧٨).

زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، ص١٦.

القاهرة: دار الآثار العربية، طبعة٢، سنة ١٩٤٦.

كحالة: الفنون الجميلة، ص٧، ١٩.

٧- تم تطوير القباب، فوصلت القبة بالجدران المربعة عن طريق مقعدات مثلثة أو عن طريق الأركان[١].

إن إسهام الفنانين من الموالي قد دفع الفن خطوات إلى الأمام، بما قدمه من تكييف الطرز والتقريب بينها وتطويع عناصرها بما يتلائم مع الحاجة والبيئة.

استمد الفن الإسلامي في هذا العهد ملامحه من القرآن الكريم التي دعت إلى الإجادة والإتقان والتجميل والتزيين والتأنق[٢]، بينما قام بالتطبيق العملي له فنانون من شعوب غير عربية، كان للفن فيها قوة ومكانة قبل الإسلام[٣].

ولعل من أكثر المباني الدينية إتقاناً في العهد الأموي، مسجد قبة الصخرة، والمسجد الأموي.

ويعتبر مسجد قبة الصخرة في القدس من أعجب المباني وأتقنها، فلا يوجد مسجد يضاهيه جمالاً وفناً وروعة وإتقاناً وشكلاً، فقد أخذ من كل بديعة بطرف، ولا يزال يستثير العلماء والباحثين ببهاءه ورونقه وتناسبه ودقة نسبه[٤] فهو من

---

(١) بهنسي: جمالية الفن الإسلامي، ص١٥٧.

(٢) هناك آيات متعددة تدعو لذلك:
"صنع الله الذي أتقن كل شيء" سورة النحل، آية ٨٨.
"قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق" الأعراف، آية ٣٢.
"وجعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين" الحجر، آية ١٦.
وقال عليه السلام "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه".

(٣) جورج مارسيه: الفن الإسلامي، ص٢٢. ترجمة عفيف بهنسي. دمشق وزارة الثقافة والإرشاد ١٩٦٨.
عفيف بهنسي: جمالية الفن العربي، ص١٦٠. الكويت: المجلس الوطني، سنة ١٩٧٩.
حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص٤٤. القاهرة: دار النهضة العربية سنة ١٩٧٩.
عمر كحالة: الفنون الجميلة في العصور الوسطى، ص١٠. دمشق، المطبعة التعاونية سنة ١٩٧٢.

(٤) كرزويل: مجلة الهلال (العدد الممتاز) العدد الرابع سنة ١٩٣٩، ص٩٢. قبة الصخرة.

أهم الآثار التي تركها الأمويون، وخلدها التاريخ[١].

ومسجد قبة الصخرة هو نتيجة تمازج الفنون السابقة للإسلام مع الفكرة الإسلامية في التخطيط، قام بالإشراف على التنفيذ المولىان رجاء بن حيوة[٢] ويزيد بن سلام[٣] بعد أن استقدم لهما الخليفة عبد الملك مهرة الصناع والفنانين من كافة أنحاء الدولة[٤] للقيام بهذا الصرح الفني النادر.

وقد نفذ موالي سوريا وضع المكعبات وفصوص الفسيفساء ذات الخلفية الذهبية التي تزين أماكن متعددة من أجزاء المسجد، ويظهر ذلك واضحاً في القبة وعنقها وبطون الأقواس[٥].

ويظهر تأثير موالي فارس بتوفير العناصر الفنية التي تمت إلى أصل ساساني، كالأجنحة المتناظرة والأشرطة المتماوجة التي تشبه تيجان الأكاسرة، إلى جانب عنصر الأشجار النخيلية والأقواس وقد نفذت بقدرة فنية وخبرة تطبيقية عالية لما فيها من إتقان وإبداع[٦].

---

(١) Hayter, Lewis: The Holy places of the Jerusalem, P.26

ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص٥٤. بيروت: دار التراث سنة ١٩٦٣.

غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص١٧٦. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ط٤، سنة ١٩٦٤.

(٢) مولى كنده: الطبري، ج٦، ص٥٥.

(٣) مولى عبد الملك مجير الدين: الأنس الجليل، ج١، ص٢٧٣.

(٤) مجير الدين: الأنس الجليل، ج١، ص٢٧٢.

(٥) تراث الإسلام، ج٢، مارتن برجر: فن العمارة، ص١١٥ (ترجمة زكي محمد حسن).
مارسيه: الفن الإسلامي، ص٣٥. نعمت علام: فنون الشرق الأوسط ص٣٢.
ديماند: الفنون الإسلامية، ص٣٥. الريماوي: العمارة العربية الإسلامية، ص٣٦. فريد شافعي: مجلة كلية الآداب، جماعة حسن الباشا: مدخل الآثار الإسلامية، ص١٢٦.

(٦) مارسيه: الفن الإسلامي، ص٤٥. ديماند: الفنون الإسلامية، ص٣٥.
نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٣٢. تراث الإسلام، ج٢.
مارتن برجر: فن العمارة، ص١٥٢.

أما المسجد الأموي، فهو من أهم المساجد المعمارية باعتباره أول منشأة إسلامية مبتكرة، وأصبحت فيما بعد نموذجاً لغيره من المساجد في الشام في عهد بني أمية[1].

وقد كان هذا المسجد ثورة على البساطة والتقشف[2]، وانطلاقة جديدة في العمارة والزخرفة، بحيث حاز على عجاب المؤرخين[3] لما فيه من فسيفساء، وجص معشق بالزجاج الملون وزخرفة متنوعة ذات أشكال نباتية وهندسية..

وتعتمد الزخرفة -في المسجد الأموي- على عنصرين أساسيين هما الرخام والفسيفساء.

فالرخام كان من النوع المجزع، الذي يشبه شرائح جذوع الشجر عند تركيبه، ليؤلف شكلاً زخرفياً جميلاً[4] ويتخلل هذا الرخام، قطع منقوش عليها موضوعات نباتية حيناً وهندسية حيناً آخر[5].

---

(١) جورج مرسيه: الفن الإسلامي، ص٤٠.
عفيف بهنسي: مجلة الثقافة العربية، السنة الأولى، العدد١١، أيلول، سنة ١٩٧٤، ص٧٠ (الزخرفة الإسلامية).

(٢) اشتغل فيه ١٢ ألف مرخم، وأنفق عليه الوليد مائة قنطار ذهباً.
انظر الذهبي: دول الإسلام، ج١، ص٦١.
الدميري: حياة الحيوان، ٦٦. القزويني: آثار البلاد، ص١٩٠ (خراج المملكة ٧ سنوات). لي سترانج: فلسطين في العهد الإسلامي، ص٢٠٧ (١١،٢ مليون) المعرب.
ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص٢١١ (٢،١١ مليون).
ابن حوقل: الأرض، ص١٦١.

(٣) انظر وصف للمسجد: اليعقوبي: البلدان، ص٣٣١.
القزويني: آثار البلاد، ص١٨٩. القلقشندي: مآثر الأنافة، ج١، ص١٣٥. ابن بطوطة: رحا بطوطة، ص٨٤.
Le strange: Palastine under the moslems, p 227.

(٤) الاصطخري: المسالك والممالك، ص٥٦. ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٦١،

(٥) وهذا واضح في دهليز باب جيرون.

أما الفسيفساء -فعلى الرغم من زوال أكثرها- إلا أن ما تبقى[1] تغلب عليه الفصوص المفضضة، والمذهبة، ويتخللها قطع من الصدف.

وتتميز مواضيع الفسيفساء بأنها قاصرة على مشاهد الطبيعة، والعمائر والزخارف النباتية والهندسية.

ويعتقد بأن لوحة الرواق الغربي تمثل نهر بردى[2] وعلى ضفافه القصور والدور والجسور، التي تمثل قرى جميلة تتخللها الأشجار المختلفة الأنواع، ويحيط بها إطار من الزخارف الهندسية[3].

وتحدثنا الروايات التاريخية عن كرمة عظيمة من ماء الذهب كانت تحيط بجدران الحرم تحت الفسيفساء مباشرة[4].

إن الذين قاموا بالزخرفة الرخامية، والفسيفسائية وما فيها من موضوعات جميلة هم مسلمو سوريا -من الآراميين- الذين تدربوا في بيزنطة، ثم قاموا بنقل ما اكتسبوه من خبرات من أجل تحقيق هذا الصرح المعماري الكبير[5].

---

(١) يشاهد ما تبقى منها في جدار رواق الصحن الغربي، ودهاليز البريد، واجهة المجاز.

(٢) الريحاوي: العمارة الإسلامية، ص٥٨.
أنور رفاعي: الإنسان العربي والحضارة، ص٣٣٥.
مارسيه: الفن الإسلامي، ص٤٦. نعمت علام: فنون الشرق الأوسط ص٢٣.

(٣) الريحاوي: العمارة الإسلامية، ص٥٩. مارسيه: الفن الإسلامي، ص٣٩.

(٤) ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٤٦٧.
ابن جبير: الرحلة، ص٢١٨-٢٢٠. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٥٧. بهنسي: مجلة الثقافة، السنة١، العدد١، ص٧١.

(٥) أبو صالح الالفي: الفن الإسلامي، ص٢٣٣.
رنيسيمان: الحضارة البيزنطية، ص٢٣.
نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٣٢.
بهنسي: مجلة الثقافة، السنة١، العدد١، ص٧١.

أما مسلمو فارس والهند، فقد تمت الاستعانة بهم[1] من أجل الزخرفة الجصية المعشقة، وإليهم يعود الفضل في إدخال هذا النوع من الفنون الهندسية المتنوعة[2].

ويحتوي قصر عمرة على صور جدارية ملونة أثارت اهتمام الباحثين[3] وهي العنصر الأهم في هذا القصر.

وتشمل هذه الرسوم موضوعات متعددة كالصيد والرقص والعزف

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٥٨.

(٢) Pope: Aservey of Persion Art, Vo13, p P2742.

كما ذكر كل من ديماند: الفنون الإسلامية، ص٢٤. وكحالة: الفنون الجميلة، ص١٠. بأن أحد المهندسين الإيرانيين أشرف على بناء المسجد الأموي.

(٣) من الباحثين الذين تأثروا بهذا القصر وكتبوا عنه:

لانكستر هاردنج: آثار الأردن، ص٨٨-١٩٢ (تعريب سليمان موسى) وزارة السياحة سنة ١٩٧١. يقع هذا القصر شرق عمان (الأردن) على بعد ٨٠ كم، وقد اكتشفه لأول مرة موزل ١٨٩٨، وفي عام ١٩٠١ اصطحبه المصور العالمي ميليك، فأكب على تصويره من ٥/٢٦ - ٩/٦ وزين بهذه اللوحات كتاب موزل. القصر عبارة عن مبنى من طابق واحد مشيد بالحجارة ويتألف من قسيمن: قاعة الاستقبال، وهي غرفة مستطيلة الشكل يتصدرها إيوان مغطى بسقف نصف دائري يقع في الجهة الجنوبية على الجدار المدخل يحف بهذا الإيوان إيوانان جانبيان توجد بمؤخرتهما غرفتان للنوم بها نوافذ ويغطي كلاً من هذه الغرف سقف نصف اسطواني. أما القسم الثاني فهو مبنى الحمام ويحتوي على ثلاث غرف صغيرة، الباردة نصفها مقبى نصف دائري ومدخلها من قاعة الاستقبال، والثانية الغرفة الدافئة، ويتكون نصفها من قبوين متقابلين، والثالثة الغرفة الساخنة تعلوها قبة نصف دائرة محمولة على أربعة مثمنات في نصفها حمام مغطى أيضاً.

كونل: الفن الإسلامي، ص٢٢. جورج مارسيه: الفن الإسلامي، ص٤٢.

ديماند: الفنون الإسلامية، ص٣٧. فواز طوقان: الحائر، ص٦٨.

أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي، ص١٥٢. نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٣٠. حسن الباشا: مدخل الآثار الإسلامية، ص٤٢.

محمود العابدي: الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن، ص٢١٢.

محمود العابدي: القصور الأموية، ص٤٤-٥٥. عمان، مطابع الشركة الصناعية، سنة ١٩٢٨.

والاستحمام، وصوراً تمثل الحرف وصناعة الحجارة والنجارة، إلى جانب الزخارف الهندسية والنباتية.

ولعل من أهم الصور في قاعة الاستقبال، تلك التي تمثل صورة الخليفة الجالس على العرش، وستة ملوك كتبت ألقابهم فوقهم، وقد تمت معرفة أربعة منهم: قيصر وكسرى ولذريق والنجاشي[1].

وهناك الحجرة الثالثة حيث توجد القبة وفيها زخارف تمثل البروج والمجموعة الشمسية.

وأول ما يلفت النظر لهذا القصر، مظهره وشكله الخارجي المأخوذ من الأنموذج الرافدي[2] الذي كان سائداً في العراق والذي يعتمد على القباب نصف الاسطوانية، مما ينسب التصميم إلى مسلمي فارس الذين يظهر تأثيرهم واضحاً في تكوين الصور وخاصة رسم الأشخاص حيث تراهم وقوفاً في وضع المواجهة بينما أيديهم مرفوعة ومفتوحة وأكفها إلى الأمام رمز الخضوع[3].

أما النقوش الحائطية البديعة والمتعددة للصيد، فقد نفذها مسلمو سوريا

---

(١) هذه الصورة هي التي أوحت للعلماء بنسبة القصر إلى الوليد بن عبد الملك، لانكستر هاردنج: آثار الأردن، ص١٨٥.
العابدي: القصور الأموية، ص٤٨.
مارسيه: الفن الإسلامي، ص٤٦. الألفي: الفن الإسلامي، ص١٥٢.
نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٢٧.
العابدي: الآثار الإسلامية، ص٢١٢.

(٢) عفيف بهنسي: جمالية الفن العربي، ص١٦٩.
الألفي: الفن الإسلامي، ص١٦٢.

(٣) هذا رمز الخضوع عند الساسانيين.
ديماند: الفنون الإسلامية، ص٣٧. الألفي: الفن الإسلامي، ص١٦٢.
نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٢٧

لتأثرهم بالمدرسة البيزنطية على الرغم مما أدخلوه من تطور[1].

ومما يلفت النظر في قصر المشتى، كثرة الآجر المشوي، والتخطيط الداخلي لقاعة العرش،إلى جانب الزخارف الفنية[2]

فالآجر الأحمر المشوي متوافر بأعداد كبيرة، ويظهر ذلك واضحاً في بناية الجدران ما عدا واجهة القصر ومدخله.

أما تخطيط القاعة الداخلية للقصر، فهي تؤدي إلى بهو حولها غرف تتكون من فناء مستطيل وفي كل من جانبي هذا الفناء ساحة حولها غرفتان، الغرف مسقوفة بقبب اسطوانية.

وتنحصر الزخرفة في واجهة القصر في إطار أفقي بطول الواجهة الرئيسية وبارتفاع ستة أمتار. وقد قسم هذا الإطار إلى مثلثات عددها أربعون بواسطة

---

(١) الألفي: الفن الإسلامي، ص١٦٢. نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٢٢. حسن الباشا: مدخل الآثار، ص٣٥.

(٢) انظر: هاردنج: نسب بناؤه إلى الوليد الثاني ١٢٥-١٢٦هـ، اثار الأردن، ص١٩٨- ١٩٩. محمود العابدي: القصور الأموية، ص٢٨-٣٧.

يقع هذا القصر جنوب عمان على بعد ٣٢كم، وقد نسب إلى الوليد الثاني (١٢٥-١٢٦هـ) = (٧٤٣-٧٤٤م) وهو يقع على طرف مطار عمان الجديد في الجهة الشمالية الشرقية من مطار الملكة علياء الجديد.

إن مبنى هذا القصر مربع الشكل، يحيط به سور محصن بأبراج نصف دائرية (لم يبق إلا بقايا تدل عليه)، طول ضلعه ١٤٤م. وفي أركانه الأربعة أبراج مستديرة، يقع المدخل بالجهة الجنوبية ويكتنفه برجان على شكل نصفي صحنين. قسمت الساحة المربعة إلى ثلاثة أقسام متساوية، تقع المباني في الجزء الأوسط من المسطح، أما القسمان الجانبيان فلم تشيد فيهما مبان. وقد أهدى السلطان عبد الحميد الإمبراطور غليوم سنة ١٩٠٥م واجهة هذا القصر.

فواز طوقان: الحائر ص٧١. مارسيه: الفن الإسلامي، ص٤٣.

بهنسي: جمالية الفن، ص١٦٣. نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٢٨. حسن الباشا: المدخل للآثار، ص٢٢٤. محمود العابدي: الآثار الإسلامية، ص٢٠٤.

Creswell: Early Muslims Archifecture, p. 144, 148.

شريط متعرج ذي زوايا حادة، وعشرون مثلثاً قاعدتها من أسفل في وضع عكسي، ويتوسط هذه المثلثات زخارف منحوتة على شكل وردة يزخرفها نقوش قوامها مراوح نخيلية وتتميز هذه المثلثات التي تتجه رؤوسها إلى أعلى بأن زخارفها كاملة بعكس المثلثات الأخرى.

وهذه العناصر الرئيسة الثالثة إحدى مظاهر تأثير الموالي -الشرقيين- في هذا القصر(١).

فالآجر المشوي الأحمر ينطق بصورة واضحة بجنسية صانعيه، لأن هذا النوع من أدوات البناء لم يكن معروفاً فيما عدا الأقاليم الشرقية وخاصة بهذا الإتقان.

أما التخطيط والتوزيع الداخلي للغرف وربطها بالقاعة الرئيسة فهو طراز معروف لدى المناذرة الذين اقتبسوه بدورهم من الفرس(٢).

وأخيراً يظهر تأثير الموالي في الزخرفة القائمة على المراوح النخيلية، ودمج الأزهار في الفروع النباتية الخارجية في تعرج متكور، هذا بجانب المثلثات(٣) المتعددة في أوضاع مختلفة.

وهكذا نجد أثر الموالي "الشرقيين" قد غلب على بقية التأثيرات بالرغم من

---

(١) الألفي: الفن الإسلامي، ص١٦٢. نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٣٤. العابدي: الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن، ٢٠٥.

(٢) الألفي: الفن الإسلامي، ص١٥٥. حسن الباشا: المدخل للآثار الإسلامية، ٢٥. نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٢٩. كونل: الفن الإسلامي، ص٢٣. العابدي: الآثار الإسلامية، ص٢٠٤. فواز طوقان: الحائر، ص٧١.

(٣) كونل: الفن الإسلامي، ص٢٨، ٢٩. نعمت علام: فنون الشرق الأوسط ص٣٥. ديماند: الفنون الإسلامية، ص٩٠. العابدي: الآثار الإسلامية، ص٢٠٥. زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، ص٣٠٦.

وجود بعضها كما هو الحال في الأثر القبطي[1]. إلى جانب الأعمدة الرخامية ذات الصلة بالفن البيزنطي[2].

وينمو إسهام الموالي -الشرقيين- ويزداد تأثيرهم في الأعمال الفنية فنجده واضحاً في مصورات قصر الحير الغربي[3] المرتبط ارتباطاً وثيقاً بأسلوب الرسم.

ففي هذا القصر نجد الجدران وأرض الغرفة مغطاة بالتصاوير وتتألف مما يلي:

أولاهما صور التنين والطاووس الساساني[4]. وثانيهما صورة عاهل بوضع أمامي والتاج على رأسه. وثالثة صورة لفارس يطارد الحيوانات بسهامه، وهو يرتدي ملابس ثمينة وفي وسطه حزام ذو أهداب يتدلى منها جراب السهام.

وأصحاب هذه الصور تلبس السراويل الواسعة[5] أما في أعلى الصورة فتوجد عازفتان في حالة العزف.

إن صورة الفارس والعازفتين يذكرنا بالساسانيين المنقوشين على الأطباق الفضية[6] مما يشير إلى أسلوب الرسم وأصحابه.

كما وردت نماذج عديدة من الأقراط النسائية المخروطية الشكل بخربة

---

(١) يظهر التأثير القبطي في ورقة الأكانتاس. الألفي: الفن الإسلامي، ص١٦٢. نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٣٤.
العابدي: الآثار الإسلامية، ص٢٠٥.

(٢) يظهر الفن البيزنطي في الأعمدة الرخامية.

(٣) يقع على الطريق بين دمشق - تدمر. اكتشفه سلوبرجر سنة ١٩٣٨. نسب بناءه إلى هشام لوجود نقوش بالخط الكوفي. الريحاوي ص٦١، ٦٧.

(٤) مارسيه: الفن الإسلامي، ٤٨. كونل: الفن الإسلامي، ص٢٥.

(٥) مارسيه: الفن الإسلامي، ص٥٠.

(٦) نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٣٨.

المفجر -قصر هشام- التي تشبه أقراط المصورات الساسانية[١].

وتظهر دقة التفكير، والمهارة لدى الفنانين الموالي في الزخارف الجصية الحيوانية منها والآدمية، إلى جانب حلقات القمرات فوق ممرات الأبواب بالجص المفرغ ذي الزخارف المتنوعة، كما في قصر المفجر والحير الغربي[٢].

ففي قصر الحير الغربي، تغطي الزخارف أكثر أقسام القصر من الداخل والخارج، وفي بوابة القصر ذات البرجين وحافة "درابزين" أروقة الطابق العلوي والنوافذ والمناور التي تعلو الأبواب والواجهات الداخلية[٣].

أما في خربة المفجر -قصر هشام- ففي سقف الحمام ثلاث رجال وثلاث نساء، وهناك واجهات الجدار والنوافذ المغشاة بالجص والمدهونة والتي تبدو كالمرمر الأبيض[٤]. هذا عدا عشرات الرؤوس لمجسمات بشرية.

إن هذا الإتقان والإبداع في العمل، سواء في الزخارف أو المجسمات ليدل على قدرة الفنانين، ويشهد على مقدار تمكنهم الفني في هذا المضمار، وإلى الموالي يعود الفضل في وضع أصول الزخرفة الإسلامية على مدى العصور[٥].

وقد أشاع الموالي في هذا العهد الفسيفساء الخزفية، -خزف مدهون- وكانت القطع تجمع لبعضها لتعطي موضوعاً زخرفياً.

ويتضح هذا التأثير في العناصر النباتية والحيوانية، في زخارف قصر

---

(١) زكية العلي: التزين والحلي عند العرب، ص١٣٩.

(٢) كونل: الفن الإسلامي، ص٢٦. فواز طوقان: الحائر، ص٦٦.

(٣) ديماند: الفنون الإسلامية، ص٣١.

(٤) لانكستر هاردنج: آثر الأردن، ص٢٢٤.

(٥) ديماند: الفنون الإسلامية، ص٣١. كحالة: الفنون الجميلة ص٨٥.

المفجر[1]. فشجرة النارنج وحدة متكاملة الدقة والإتقان.

وتحتها وحدة "رسمة" الأسد المنقض على فريسته (الغزال) وهي تظهر أحاسيس الحيوان الغالب والمغلوب بزخرفة دقيقة بديعة.

وتحت الشجرة سجادة عجيبة من الفسيفساء مؤلفة من ستة عشر نوعاً من الحجارة[2].

إن هذا التنوع المذهل لهذه العناصر الزخرفية، جعل البعض يشك في نسبتها إلى العهد الأموي[3].

مما يدل على عظمة الفنانين والمتمكنين من فنهم.

واشتهر الموالي بإتقانهم صناعة التحف المعدنية وكانت لهم مكانة سامية في هذا العهد، وتميزت أعمالهم الفنية بمسحة من القوة والعظمة[4].

ولعل الإبريق الذي ينسب إلى مروان الثاني خير ما يمثل إنتاجهم في هذه الفترة. فالإبريق جسم كروي ورقبته اسطوانية وله مقبض طويل وصنبور على صورة ديك يصيح، ويزخرف جسم الإبريق نقوش محفورة قوامها دوائر داخلها وريدات، وعلى نهاية رقبته زخارف مفرغة من أشجار النخيل وتزين المقبض

---

(١) إن هذا يذكرنا بنظائره في الفن الساساني.
مارسيه: الفن الإسلامي، ص٤٤. نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٣٢.
الألفي: الفن الإسلامي، ص٢٧٤. هاردنج: آثار الأردن، ص٢٢٤.
فواز طوقان: الحائر، ص٦٦.

(٢) لقد ضم هذا القصر ١٠ ملايين قطعة من الفسيفساء الخزفية.
انظر: محمود العابدي: القصور الأموية، ص٨٧.

(٣) شاخت وبوزورث: تراث الإسلام، ج٢. أولج جاربر: العمارة، ص٣٨.

(٤) زكي محمد حسن: الفنون الإسلامية، ص٢٦٩. حسن الباشا: مدخل للآثار، ص٢٨١.

زخارف بتفريعات نباتية وثمار الرمان(١).

وهناك بطتان ملوعتان بالخطوط والثنايا والأجزاء البارزة(٢).

والملاحظ أن الأباريق المصنوعة -في هذا القصر- أدق وأصغر حجماً وأظرف منظراً، وبأشكال متعددة كشكل الغزال أو الحصان أو الأسد(٣).

هذا إلى جانب عدد من الأطباق والصواني التي تزينها المناظر والموضوعات السابقة(٤).

ومما أسهم به الموالي الخط العربي كزخرفة، فقد زاد الإقبال على الحرف العربي بعد التعريب، مما أدى إلى إتقانه وتطوره وتحسينه بصفة عامة.

ويظهر تأثير الموالي باستعمال الأشكال الهندسية كعناصر زخرفية جميلة، مما أضاف إلى الفن نوعاً جديداً(٥)

ومن خلال المعطيات السابقة يمكن القول إن الفن -في هذا العصر- تأثر بالأساليب الفنية للأمم السابقة (ساسانية، بيزنطية، قبطية) ونفذه الموالي بتطبيق

---

(١) زكي محمد حسن: المرجع السابق، ص٢٧١.
نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٣٩.

(٢) ديماند: الفنون الإسلامية، ص١٤٢ (من مجموعة لوبرنسكي لينتغراد). حسن الباشا: مدخل الآثار، ص٣١٢.

(٣) زكي محمد حسن: المرجع السابق، ص٢٧٠.
Pope: Asurvey of parsion art, Vo1, 3, _. 2471.

(٤) ديماند: الفنون الإسلامية، ص١٣٩.

(٥) ديماند: الفنون الإسلامية، ص٧٦. مارسيه: الفن الإسلامي، ص١٧.
كحالة: الفنون الجميلة، ص٩.
واشتهر في هذا العهد عدد من الخطاطين أبرزهم: مالك بن دينار.
وابن الديم: الفهرست، ص١٠. ابن قتيبة: المعارف، ص٢٠٧.
وقطبة بن محرز، خالد بن أبي أطياج، شعيب بن حمزة.
بهنسي: جمالية الفن، ص١٣٠.

ذلك في إطار متكامل.

ومما لا شك فيه أن الأمويين استعانوا بمهارة الفنيين والصناع[1] لممارسة الفن بروح جديدة، تحمل من خبرة الماضي والمعاني الجديدة المنبثقة عن تعاليم الدين الحنيف. وهي وإن كانت متأثرة بطابع الأسلوب الماضي[2] إلا أن شخصية جديدة فنية قد بدأت في الظهور.

ويظهر أثر الموالي واضحاً في أنواعه المتعددة.

ففي العمارة، أثروا في كافة عناصرها من تصميم وتخطيط وسقوف وجدران. ففي التصميم أدخلوا النموذج الذي كان سائداً في بلادهم وأضافوا تعديلات في تخطيط المنازل والقصور من الداخل، في توزيع الغرف والقاعات. وإليهم تنسب القباب نصف الاسطوانية والأواس التي تحتها. ومواد بناء الجدران من الآجر الأحمر المشوي.

أما في الرسم والتصوير، فقد قدموا لنا صوراً متنوعة للإنسان والحيوان في عناصر فنية مختلفة، وأوضاع عديدة أبرزت قدرتهم الفنية الإبداعية في الحركة.

---

(١) ثرات الإسلام، ج٢، برجز، فن العمارة، ص١١٥، (ترجمة زكي محمد حسن).
مارسيه: الفن الإسلامي، ص٣٥.
ديماند: الفنون الإسلامية، ص٢٤، ٣٥.
نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٢٤، ٣٢.
سيدة كاشف: الوليد بن عبد الملك، ص١٩٧.
كحالة: الفنون الجملية، ص١٠.
ستيفن وتسيمان: الحضارة البيزنطية، ص٣٢٨.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص٢٦.
الجاحظ: التبصّر بالتجارة، ص٢٦.
مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج١، ص٢٧٣.
مارسيه: الفن الإسلامي، ص٣٩.

وفي الخزخرفة استعانوا بعنصرين مهمين: الجص والفسيفساء الخزفية فالجص استعمل في أغراض عديدة وأشكال هندسية متنوعة في حين استعانوا بالفسيفساء الخزفية في موضوعات متنوعة للإنسان والحيوان والنبات.

كما أنهم أسهموا في الحفر على المعدن لعناصر حيوانية مختلفة، وحتى أن الكتابة العربية وجدت لها نصيباً في الزخرفة.

سادساً: الغناء:

الغناء والموسيقا في العهد الأموي:

لعب الفن الغنائي دوراً مهماً في حياة الأفراد والجماعات، فهو من أكبر الملذات، يبعث النشوة والفرح في قلوب مستمعيه، فتهتز له الجوارح، وترتاح له النفس، ويريح الأعصاب وينسي الهموم كما يشحذ الذهن ويلين العريكة[1] لأنه صدى للحياة في شكل فني ومظهر من مظاهر الوجدان المتعددة[2]..." فالنفس عند سماع النغم يدركها الفرح والطرب، فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب وتستميت في سبيله[3].

فالصوت الحسن يجري في الجسم مجرى الدم في العروق، فيصفو له الدم، وتنمو له النفس، ويرتاح له القلب، لأنه لذة تكتسب بلا تعب ولا إرهاق للجسم والجوارح[4]، لذا نرى الأم تناغي ولدها فيكف عن البكاء، والراعي ينفخ بنايه لأغنامه فتقبل على الكلأ، والجمال تسرع بالحداء[5] والجنود يستميتون في الحرب

(١) ابن خرداذبة: كتاب اللهو والملاهي، ص٢١ (دار الشرق، بيروت، ط٢، سنة ١٩٦٩).
(٢) نسيب الاختيار: الفن الغنائي عند العرب، ص٧. دار بيروت سنة ١٩٥٥.
(٣) ابن خلدون: المقدمة، ص٢٥٨.
(٤) الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٤٦.
(٥) ابن خلدون: المقدمة، ص٢٥٨.
الأبشيهي: المستطرف، ج٢ص١٤٦.

عند سماعهم الموسيقا[1].

فالموسيقا غذاء للنفس، يطربها ويلهبها، تبتهج عند سماعه وتحن إلى تأليفه[2]، لأنها التعبير عن الإحساس الإنساني لحناً وأداءً موسيقياً.

وهي انعكاس لحياة الإنسان في مجتمعه، تصور الحياة الإنسانية في تطورها اللامتناهي، وتعطي صورة عن الحياة في مختلف مظاهرها المادية والمعنوية للوسط والعصر الذي عاشت فيه.

وإذا كان الغناء لا يستغني عن الموسيقا -بشكل عام- فعند العربي لا ينفصلان، لأن لكل منهما تأثيراته الخاصة، بحيث يكمل أحدهما الآخر[3] لارتباطهما ارتباطاً عضوياً متلاحماً.

ولما كان للغناء العربي أنواع كثيرة، كان لا بد من تعدد الألحان التي تناسبه، مما يدل على القابلية للتطور والمرونة، بحيث يشد المستمعين إليه، فيقبلون عليه في يسر وسهولة، وهذا يتناسب مع طبيعة العربي الروحية والعقلية[4].

وقد عرف العرب الغناء منذ أقدم العهود، وقد اشتهر عندهم من خلال ثلاثة أنواع[5]: النصب والنساء والهزج.

---

(١) ابن خلدون: المصدر والصفحة.
وقد قيل: "من لم يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره، فهو فاسد المزاج،ليس علاج" أحمد شلبي: الحياة الاجتماعية، ص١٧١.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٣٢١.

(٣) فارمر: تاريخ الموسيقا العربية، ص٦.

(٤) محمد محمود سامي حافظ: تاريخ الموسيقا والغناء العربي، ص٢.

(٥) ابن رشيق: العمدة، ج٢، ٣١٣، ٣١٤.
ابن خلدون: المقدمة، ص٤٢٧.
الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٥٠.
عبد الرحيم محمود: مجلة المقتطف، ديسمبر سنة ١٩٢٨، ص٣٨٦ (تاريخ الغناء العربي).

والنصب هو غناء الركبان، ويقال له المرائي، والغناء الجنابي ومنه كان أصل الحداء[1].

أما السناد: فالثقيل نو الترجيع، الكثير النغمات والنبرات.

والهزج: فهو الخفيف، الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الحليم.

وإذا كانت الصحراء وهي تتموج على همسات الأنغام والوحات تتراقص على تنهدات الألحان، تجعل الحادي يجود بما في أعماقه من ألحان وأنغام على وقع مناسم الإبل في هدأة الليل وسجوه[2] فلا عجب إذا رأينا العربي يعبر عن فرحته غناءً إذا وجد ماء بعد لأي[3] وكذلك وفود القبائل إذا التقت حول الكعبة[4]، أو في أسواقهم الموسمية[5] (عكاظ)، ولا عجب إذا رأينا بعض الشعراء ينشدون (غناء) ما تنتجه قرائحهم بين قبائل العرب[6]، فالغناء عند العربي أحد الأمور المهمة: كالحب والمخاطرة والحكمة[7]، لذلك مارسه الأنباط والغساسنة وعرب

---

(١) وقد ذكر أن أول من أخذ ترجيعة الحداء مضر بن نزار، وقد أنشده على وقع خطى الإبل.
انظر ابن رشيق: العمدة، ج٢، ص٣١٥.
الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٤٦.
المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٣٢١.
زيدان: الموجز في تاريخ آداب اللغة العربية، ص٥٠.

(٢) نسيب الاختيار: الفن الغنائي، ص٥.

(٣) Nicholson: ALiterary History of the Arabs, P. 73.

(٤) فاروق خورشيد: مجلة الدوحة، ديسمبر سنة ١٩٧٦، ص٦٠. (الغناء العربي). فارمر: تاريخ الموسيقا، ص١٦.

(٥) فارمر: المرجع السابق، ص١٠.

(٦) نسيب الاختيار: الفن الغنائي، ص١٦.

(٧) Nicholson, Ibid, p. 123.
Nicholson, Ibid, P. 136.

الحيرة ضمن طبيعة حياتهم، بمن في ذلك المرأة وخاصة في الأعياد والمناسبات[1].

ولكن الغناء في هذه الفترة لم يكن متطوراً، بل كان صورة عن حياة الناس البسيطة، فقد تميز بأنه حداء مهذب، إلا أن ألحانه كانت موزونة[2] غلبت عليه البساطة والارتجال[3] يؤديه صاحبه حسب الانفعالات والتأثيرات التي يتأثر بها في حياته بينما درجاته الصوتيه تتشابه مع ما يسمعه في الطبيعة، كصفير العصافير، وهديل الحمام[4].

وقد عرف عرب المناذرة الغساسنة القيان، اللائي كن يحيين حفلات السمر، مما جذب إليهن عرب الجزيرة، وتغنى بهن الشعراء[5]. وكذلك كان لدى عبدالله بن جدعان قينتان تسميان "جرادتي عاد"[6] ثم تعددت القيان[7] لحب أشراف العرب حفلات السمر والاستماع لهؤلاء القينات[8].

وقد لعبت القيان دوراً هاماً في حياة العربي المرهف الحس، فهي -في نظره- الكوكب الذي تتألق بأنواره دنياه، والبسمة المشرقة في ليله البهيم، وزاده المرتجى في سفره الطويل، إليها يستمع وهي تتغنى، ومنها يملأ ناظريه ويطرب، ولكن، هل كانت القينة تتمتع بالمكانة الاجتماعية المرموقة، التي تتناسب مع ما

(١) فارمر: تاريخ الموسيقا، ص١٣-١٩.

(٢) فارمر: تاريخ الموسيقا، ص٦٣.

(٣) نسيب الاختيار: الفن الغنائي عند العرب، ص٢٣.

(٤) محمد محمود سامي: تاريخ الموسيقا والغناء العربي، ص٣٢٢.

(٥) فارمر: تاريخ الموسيقا، ص٢٠ (تغنى الأعشى بالقهوة، وطرفه ولبيد وحسان بالقيان). انظر دواوينهم.

(٦) المفضل بن سلمة: العود والملاهي، ص٤٢، مخطوط.
ابن واصل الحموي: تجريد الأغاني، ج٣، ص٩٦٤.
ابن حبيب: المحبر، ص١٣٨.

(٧) عبده بدوي: السود والحضارة العربية، ص١١٩ (وعرف من القيان في هذا العهد بنت عفزر، زينب، حمامة، أرنب خليده، هريرة).

(٨) أحمد الشامي: في تاريخ العرب والإسلام، ص٤٧.

كانت تؤديه من رسالة فنية؟ والغريب أن الجواب بالنفي[1].

وهكذا نجد أن الغناء لم يكن مقتصراً على فئة دون أخرى، بل شارك فيه الرجال الحداة منهم، والشعراء، وأسهمت فيه المرأة بنصيب واضح، من سيدات البيوت والقيان، في الحجاز وشبه الجزيرة، إلى جانب الغساسنة وعرب الحيرة[2]

لقد بدأ الغناء العربي ساذجاً بسيطاً يردده التجار والبدو الرحل بتنغيم أبيات القصيدة على وقع حوافر الخيل والجمال حداء، ثم حسنوه باستخدام آلات الطبل والدف وانتهى به التطور إلى استخدام الطنبور والعود والقيثارة[3].

وأول من حسن الغناء وأدخل الموسيقا: النضر بن الحارث[4] فهو الذي طور الغناء الذي حل مكان النصب، وإليه يعود الفضل في إدخال العود ذي التجويف الجلدي[5] عن عرب الحيرة المتقدمين فنياً كإخوانهم الغساسنة والزنباط، الذين كانوا يكرمون الموسيقيين ويجلونهم لحاجاتهم لهم في حفلاتهم[6] .

---

(١) نسيب الاختيار: الفن الغنائي عند العرب، ص١٣.

(٢) يوسف غوانمة: مجلة الأفكار، فن الموسيقى والغناء عند العرب العدد ٤٨، ص١٤٣.

(٣) سامي محمد علي: مجلة الثقافة العربية، الغناء عند العرب قبل الإسلام، السنة الأولى، العدد٨، ص١٠٥.

(٤) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار من قريش، صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش ووجوهها، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في الحيرة، وهو أول من غنى على العود، وهو ابن خالة رسول الله (ص) آذى الرسول كثيراً، شهد معركة بدر مع مشركي قريش، فأسره المسلمون وقتلوه.

انظر: الكامل، ج٢، ص٣٦.

القيرواني: زهر الآداب، ج٢، ص٣٣، ٣٤.

ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص١١٢.

الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٣٣.

(٥) ابن خرداذبة: كتاب اللهو والغناء، ص٢١.

(٦) فارمر: تاريخ الموسيقى العربية، ص١٢ (نقلاً عن سترابو).

وقد عرف عرب الجزيره الآلات الموسيقية ، ومصاحبتها -غناء- حتى النساء عزفن وغنين على المزهر والكران ، والموتر، والدف، والجلاجل والناقوس(١) والمعزفة "الطبلة الطويلة "(٢) .

هذه الآلات الموسيقية كانت معروفة لديهم -على نطاق محدود - إلى جانب الآلات الموسيقية التي تميزوا فيها بين الشعوب الأرض الاوهي الرباب (٣)

وهكذا يتبين ، أن عرب الجزيرة عرفوا الغناء ، ومارسوا العزف على آلات بسيطة الحاناً تتناسب مع حياتهم الاجتماعية والثقافية ، ولكن هذا الفن الأدائي واللحني قد شهد تطوراً ملموساً على أيدي الموالي في عهد بني أمية، وهو ما سنتناوله في الفصل القادم .

موقف الإسلام من الغناء والموسيقى

اختلف الفقهاء في الغناء والموسيقى بين الإباحة والتحريم ، وألف كل منهم المصنفات في الأدلة والبراهين لدعم موقفه.

فإذا كانت الموسيقى تضرب لإثارة حماسة الجند في الزحف للحرب فهي مستحبة، ويحسن معها في هذا المقام الأناشيد الحماسية التي تدفع الجنود للذود عن الوطن(٤).

---

(١) انظر ديوان الأعشى، ص٩٢، ١٢٠.
فارمر: تاريخ الموسيقى، ص١٢.

(٢) عرفت الطبلة الطويلة عند أهل اليمن.
فارمر: تاريخ الموسيقى، ص٩.

(٣) نسيب الاختيار: الفن الغنائي عند العرب، ص١٧.

(٤) انظر آراء: الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة.
عبد الرحمن الجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة، ج٥، ص٥٥، ٥٦. بيروت: دار التراث. بلا تاريخ.

ولكن الرسول (ص) أبدى رضاه عن الصوت الحسن، فقد قال لأبي موسى الأشعري" لقد أوتيت مزماراً من مزامير داوود"[1] وقال "من لم يتغن بالقرآن فليس منا"[2].

وروي أن أبا بكر دخل على عائشة وعندها جاريتان في أيام منى تدففان وتضربيان -والنبي (ص) متغش ثوبه- فانتهرهما أبوبكر، فكشف النبي (ص) عن وجهه وقال: دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد"[3].

وذكر أن النبي (ص) مر على سيرين (جارية حسان بن ثابت) وهي تغني بمصاحبة مزهرها، فلم يأمرها بالتوقف، كما لم ينهها عنه، ولما خاطبته "هل عليّ إن لهوت من حرج" تبسم وقال "لا حرج إن شاء الله"[4]

وهناك قصص أخرى[5] أوردها المؤرخون تؤكد أن النبي عليه السلام سمح بالغناء وضرب الدف مما أعطى لذوي الإباحة رخصة لسماع الأصوات والأنغام

(١) الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٤٦.
(٢) ابن القيسراني: السماع، ص٢٧، ٣٨.
(٣) المفضل بن سلمه: العود والملاهي، ص٥ (مخطوط).
ابن خرداذبة: اللهو والملاهي، ص٣٦.
(٤) الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٤٧.
النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص١٣٩.
(٥) ابن سلمه: العود الملاهي، ص٩ (مخطوط).
ابن خرداذبة: اللهو والملاهي، ص٣٦.

والآلات المتعددة من دف ويراع قص وعود وطنبور وغيرها[1]، إلا أنه روي عن النبي عليه السلام أنه قال "لايحل بيع المغنيات ولاشراؤهن، ولا تحل التجارة فيهن، وأغانيهن حرام والاستماع إليهن حرام"[2].

---

(١) أ- روي أن إحدى الجاريات كانت قد نذرت إن عاد الرسول من غزوته أن تضرب بالدف وتغني، فلما عاد سالماً أخبرته بنذرها فقال لها: "إن كنت نذرت فاضربي، وإلا فلا" فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وعثمان، ثم دخل عمر فالقت الدف تحت أستها وقعدت عليه.

انظر: ابن القيسراني: السماع، ص٥٥.

(ذكر اسمها شرين)، الشوكاني: نيل الأوطار، ج٨، ص٢٧١.

ب- وذكر أن إحدى جاريات الأنصار زفت إلى بعلها بدون غناء، فقال عليه السلام لعائشة: "أهديتم الفتاة إلى بعلها؟ قالت نعم. فبعثتم معها من يغني لها؟ قالت لم نفعل. قال: أوما علمت أن الأنصار قوم يعجبهم القول، ألا بعثتم بها من يقول: "أتيناكم أتيناكم: فحيّونا نحييكم... لولا الحبة السمراء لم نحلل بواديكم. ثم قال لها: أدركيها يا زينب.

الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٤٧.

ابن القيسراني: السماع، ص٥٥.

النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص١٣٩.

جـ- وذكر أنه وجد في عهد الرسول ثلاثة موسيقيين عزفوا وغنوا أمام الرسول وهم /عمرو بن أمية الصخري، الذي عزف في زواج علي من فاطمة، والثاني حمزة بن يتيم -وكان شيخ الموسيقيين غنى مع بلال في زواج علي من فاطمة والثالث كان "بابا سونديك" وهو هندي، كان يعزف على الكوس "الطبلة الطويلة" في غزوات الرسول.

انظر: سامي محمد علي: مجلة الثقافة العربية، السنة١، العدد ٢٨، حزيران سنة ١٩٧٤، ص١٠٥. نقلاً عن مؤرخ تركي يدعى "أوليا شلبي". (الموسيقى العربية).

فارمر: تاريخ الموسيقى العربية، ص١٥١.

د- أمر أبو بكر بنزع ثنيتي مغنيتين شتمتا الرسول أثناء غنائهما.

انظر: الطبري/ تاريخ الطبري، ج٣، ص٣٢١، ٣٤٢.

البلاذري: فتوح البلدان، ص١٤٢.

(٢) ابن القيسراني: السماع، ص٨٤، ٨٥.

النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص١٥١.

كما روي عن عائشة مثل ذلك. انظر: النويري: نهاية الأرب ص١٣٤.

وإذا كان الإولون مختلفين حول إباحة الغناء، فمما لا شك فيه أن الإسلام لم يشجع هذه الحرفة لما فيها من تبذل وتخنث وجاهلية[1]، ورغبة منه في تجنيب المسلمين عوامل الضعف والانحلال نتيجة الاستماع، لما يرتبط بالغناء من احتساء للخمر واللهو والعبث في كثير من الأحيان، ولما للقيان من سمعة سيئة، لأن اسم القينة مرادف للعاهرة والخائنة[2]، هذا إلى جانب ما ارتبط بالغناء من صفات سيئة ألحقها المخنثون.

وبذلك يكون وضع الغناء في عهد الرسول وخلفائه من بعده، يقتصر على ترتيل القرآن والأذان وإنشاء الشعر[3]، وإن كان هذا لا يمنع من وجود الغناء كفن بسيط وصاف ونقي على نطاق محدود.

أما ما ورد عن القصب والأوتار -الموسيقى- فلم يذكر شيء عن إباحته ولا تحريمه، وإنما استباح المتقدمون اسماعه لأنه لم يرد في الشرع التحريم وكان أصله الإباحة[4] وإن كان المسلمون الأوائل متجافين عن قرع الطبول والنفخ في الأبواق، تنزهاً عن غانطة الملك، رفضاً لأحواله واحتقاراً لأبهته[5].

ونتيجة للفتوحات، يجلب ألوف الموالي والإماء إلى مراكز الخلافة في الحجاز، ويصطحب هؤلاء ما كان موجوداً أو معروفاً من أدوات الحضارة

---

(١) يوسف غوانمة: مجلة أفكار، فن الموسيقى والغناء عند العرب، العدد ٤٨، ص١٣٥.

(٢) فارمر: تاريخ الموسيقى العربية، ص٥٩.

الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج٤، ص٢٦٤: القينة: الأمة. المغنية، والمقينة، والماشطة. والتقين: التزين.

المعجم الوسيط، ج٢، ص٧٧٦: الأمة، وغلب على المغنية.

(٣) يوسف غوانمة: مجلة أفكار، فن الموسيقى والغناء، العدد ٤٨، ص١٣٥.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص١٤٣.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، ص٢٥٩.

والثقافة، وتنال الآلات الموسيقية بأنواعها من عيدان، وطنابير، ومعازف ومزامير[1] حظها من الاهتمام لديهم، ويأخذ هؤلاء الموالي -من فرس وروم-[2] بنصيب من ركب تطور هذا الفن بما أثروه بصورة مباشرة أو غير مباشرة في حياة المجتمع العربي الأموي، ونشاهد في ديار الحجاز والشام وغيرهما صورة جديدة لم نعهدها من قبل للفن، إذ نجد مراكز أشبه بمعاهد أو مدارس تخرج الفنانين من الجنسين، ويلتزم هولاء الفنانون الاحتراف الفني.

ويتخذ الفن في الحجاز -مكة والمدينة- مظهراً أكاديمياً وفنياً، وتتفوق مدرسته الفنية على سائر المدارس في كافة الأقاليم، فتصبح مصدراً للمغنين بمن فيهم أولئك الذين هم في قصور خلفاء بني أمية، ويسيطر أسلوبهم الغنائي حتى يصبح القدوة لباقي الفنانين في الشام والعراق، وأنى لهم أن يصلوا إلى مستواه الأكاديمي أو التطبيقي.

وتشاء الأقدار أن يجتمع الأضداد معاً، فحيث الزهد والورع والتقوى والفقه والحديث، نجد حياة أخرى، تقوم على العبث واللهو، ذات فن بديع، وتنادر وشراب، وتغص مكة والمدينة وضواحيهما بالمغنين والمغنيات، يشاركون الحجاج بقوافل فنية منهم، ويعقدون الندوات والمجالس الخاصة للفن الغنائي[3].

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: لماذا تقدم الفن الغنائي والموسيقي في أرض النبوة على الأقاليم كافة في العهد الأموي؟

ومما لا شك فيه، أن هناك مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ساعدت على ذلك وكان لها أكبر الأثر وأهمها:

---

(١) ابن رشيق: العمدة، ج٢، ص٣١٤.
المفضل بن سلمه: العود والملاهي، ص٢٢، ٢٦، ٢٨، ٣٠، (مخطوط).

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص٢٥٩.

(٣) ابن واصل الحموي: تجريد الأغاني، ج١، ص٢٨٠.

١- الأسباب السياسية وإن استئثار الأمويين بالخلافة وحصرها في أسرتهم دفعهم إلى تضييق الخناق على غيرهم من بطون قريش وأشرافها، فنكلوا بالحسين في كربلاء، وصلبوا ابن الزبير بعد القضاء على ثورته. بذلك حجروا على التفيكر في الشؤون السياسية(١) وخاصة عند الفتيان مما دعا هؤلاء إلى الانصراف إلى الأمور السهلة التي لا تجر علهيم المتاعب، من ظرف وغناء وشراب ومجون. مما حقق خطة سياسة الدولة في عزل أبناء الأشراف عن مهام الملك وشؤون السياسة(٢).

٢- وفرة الأموال بين أيدي الحجازيين، وذلك نتيجة للفتوحات لما كانت تغدقه الدولة عليهم بإسراف، مما شكل طبقة من الموسرين الأغنياء، دفعهم إلى الانطلاق وراء اللهو والطرب والعبث، مما أدى إلى إفساد النفوس أكثر من تهذيبها(٣).

٣- توافر خيرة الجواري والإماء والعبيد، وأكثرهم تأدباً وأرفعهم نسباً، هذا إلى جانب أن أكثر الجواري كن ممن تربين في بيوت الملوك والأمراء، وتأدبن بآداب الحضارة، فقام هؤلاء -ذكوراً وإناثاً- بنقل ما يعرفونه إلى البيئة الجديدة بعد صبغه باللون العربي(٤).

٤- تشجيع الأمويين لحياة الترف والمجون في الحجاز للقضاء على نفوذ المدينة ومكة والمدينة الديني(٥) والسياسي.

---

(١) ابراهيم بيضون: ملامح التيارات السياسية، ص١٥٦.

(٢) بنت الشاطئ: سكينة بن الحسين، ص١٢٧.

(٣) محمد جميل بيهم: المرأة في حضارة العرب، ص٨٣. دار النشر للجامعيين، سنة ١٩٦٢.

(٤) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص١٧٩.

(٥) أحمد أمين: المرجع والصفحة. سامي محمد علي: مجلة الثقافة العربية، السنة١، العدد ٢٨، حزيران، سنة ١٩٧٩، ص١٠٥.

٥- طبيعة البدو، فإذا تحضروا، وتوافرت لهم سبل الحياة الرغيدة أسرفوا في اللهو، شأن من غني بعد حرمان[١].

لعل هذه هي أبرز الأسباب التي لعبت دوراً مهماً في إيجاد البيئة المناسبة لازدهار فن الغناء والموسيقا في الحجاز بحيث بقي قاعدة للفن ومركزاً للإشعاع حتى العصر العباسي[٢].

التفاعلات الحضارية في الفن الغنائي والموسيقا

قام الموالي بدور مهم في الفن الغنائي والموسيقا في عهد بني أمية، فقد قدموا أساليب جديدة في الغناء، وعزفوا على آلات موسيقية لم تكن معروفة من قبل -لدى العرب- وأدخلوا ظاهرة الاحتراف الفني، وأوجدوا الروابط الفنية، كما لم تسيطر الأنانية عليهم، بل اتخذوا من أنفسهم معلمين ومرشدين لعشاق هذا الفن ومحبيه، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن "جميع المحترفين من الموسيقيين والموسيقيات كانوا من الموالي[٣].

إننا لا نستطيع أن نحصر الموالي المسلمين بجنسية معينة فقد أسهم من هم من أصل فارسي وبيزنطي[٤] وحبشي، وإذا كان موالي الأحباش تميزوا بظاهرة المرح والرقص وخاصة ما عرف باسم الحجل[٥] إلا أن موالي الفرس كانوا أصحاب النصيب الأوفر في التأثير والتطور.

---

(١) جبرائل جبور: عصر عمر بن أبي ربيعة، ج١، ص٥٣.
بنت الشاطئ: سكينة بنت الحسين، ص١٢٨.

(٢) بيضون: الدولة الأموية والمعارضة، ص٦٦.
بيهم: المرأة في حضارة العرب، ص٨٣.

(٣) فارمر: تاريخ الموسيقى العربية، ص٥٩.

(٤) نسيب الاختيار: الفن الغنائي عند العرب، ص١٤.

(٥) ابن القيسراني: السماع، ص٣٠.
السيوطي: أزهار العروش، ص١٥، ٤٣ (مخطوط).

ومهما حاولنا تجاهل دور الموالي في هذا الفن، فمن الجحود أن ننكر تأثيرهم في هذا الميدان، فلقد ظهر عدد من أوتي مواهب فنية صوتية أطربت المستمعين –من العرب– وسحرت لبهم.

وقد غنى الموالي بادئ الأمر في مجالسهم الخاصة[1] بلغتهم وموسيقاهم، ولكن الذي فتن مستمعيه –من العرب– بحسن أدائه وموسيقاه، نشيط الفارسي[2] الذي يعتبر الرائد الحقيقي للموسيقا في الحجاز، فهو الذي تتلمذ على يديه جيل المبدعين الأوائل[3] من أمثاله.

ورأى سائب خاثر ضرورة الارتقاع إلى مستوى أستاذه الفني والتفوق عليه، فقام بمحاولة فنية رائدة، وذلك بتركيب الشعر العربي على الموسيقى الفارسية، وهكذا حصلت أول عملية تبادل[4] ومزج ما بين الثقافتين –العربية والفارسية– في إطار فني تطبيقي.

وبعلمه هذا فقد طور الغناء العربي من الأسلوب الذي يقوم على السليقة والطبع إلى أصول الموسيقا التي تستمد عناصرها من الأسس الموسيقية الفارسية، وكأنه قام بتعريب الألحان، التي أضفت على غنائه الإتقان، ومنحته أولوية السبق على غيره. ويعجب "طويس" منهج أستاذه "نشيط" الموسيقي فيقلده، ثم يتحرر من ذلك باختيار الألحان التي تتفق مع ذوق مستمعيه، وأخيراً يستقل بنهج خاص به في صناعة الغناء، فيقدم لأول مرة نمطاً يقوم على العزف

---

(١) الأصفهاني: تجريد الأغاني، ج١، ص٩٥.
النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٥.

(٢) النويري: المصدر السابق، ص٢٤٣.

(٣) اشترى عبدالله بن جعفر نشيط الفارسي ليجعل منه معلماً، فعلم سائب خاثر الذي علمه الألحان العربية، وعزة الميلاء، ومعبد، وطويس وغيرهم.
انظر: الأصفهاني/ تجريد الأغاني، ج٣، ص٢٦٢، ٢٤٦.
النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٣٩.

(٤) علّم كلا من نشيط وسائب الآخر الألحان.

بمصاحبة الدف ثم يخترع الهزج والرمل[1].

ويبدأ ابن مِسجَح مشواره الفني بنقل ألحان بنائي الكعبة -من الفرس- إلى غناء العرب، وتلح عليه الرغبة في التعمق الموسيقي، فيتوجه إلى الشام ليأخذ أجمل الألحان الرومية[2] ويدفعه حب المنافسة والتفوق فيتوجه إلى بلاد فارس، ليقتبس ألحاناً كثيرة[3] ويعود إلى الحجاز ليضع اللبنات الأولى للمدرسة العربية الغنائية القديمة ويصبح أستاذاً لعدد كبير من المغنين والفنانين في مكة، وصاحب نظرية جدية للغناء العربي قائمة على ترتيب الأشعار العربية على محاسن النغم الفارسي ثم الخلق والإبداع الفني، حتى عُدَّ من أصحاب المذاهب الفنية.

وسار ابن محرز على نهج الاقتباس والتقليد الفني، فقام -كابن مسجح- برحلة إلى فارس والشام[4]، وأخذ أحسن الألحان الفارسية والرومية ومزجها مزجاً جيداً حتى بدت وكأنها ألحاناً جديدة مبتكرة بعد أن أضفى عليها من ذوقه وحسه الفني، فغدت لوناً غنائياً لم يسمع بمثله، منحته السبق عمن سواه، وساعده في ذلك جمال صوته وحسن أدائه، حتى لقب "صناجة العرب"[5].

وإذا كان ابن محرز نشر إنشاد الرمل الفارسي، فإليه يعود الفضل في اختراع الترانيم الزوجية من الشعر.

أما ابن سريج، فلم يقدم جديداً بل سار على خطى من سبقوه فأخذ

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٣٩.

(٢) النويري: المصدر السابق، ٢٤٠. تجريد الأغاني، ج٢، ص٣٢٢.
ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٥٠٦.

(٣) النويري: المصدر السابق والصفحة.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ص٢٨٧.

(٥) النويري: المصدر والصفحة. تجريد الأغاني، ج١، ص١٣١.

محاسن النغم -عن الفرس والروم- بما يتناسب مع الغناء العربي[1]. إلا أنه نظر إلى الغناء كمهنة رفيعة تخضع للتعبير اللحني مع مراعاة التعبير في الضروب والأوزان.

ويتأثر الغريض بألحان الرهبان الحزينة[2] فيقدم لوناً جديداً غناءً يقوم على النوح والمراثي وهو المأتمي الحزين[3].

كان هؤلاء هم جيل الرواد الذين أرسوا نواة الغناء والموسيقى العربية في هذا العهد، ثم تلاهم جيل سار على نهجهم، مزجوا القديم بالحديث، ثم أبدعوا في الألحان مما طور رسالة الموسيقا، كعزة الميلاء، وكثير غيرها[4].

وفي مجال التجديد في الموسيقا والألحان، قام "سائب خاثر" بعمل العود وغنى بمصاحبته لأول مرة[5] وإليه ينسب ابتكار الإيقاع المعروف بمصاحبته Rhythm[6] المسمى الثقيل في الأغنية ذات اللحن الفني. بينما كان ابن سريج أول من ضرب بالعود على الغناء العربي بمكة[7] وأدخل التنويع في الضرب والأوزان واهتم بتطويل الأنغام[8].

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٥٦.
تجريد الأغاني، ج١، ص٩٥.

(٢) نسيب الاختيار: الفن الغنائي، ص٢٦.

(٣) تجريد الأغاني، ج١، ص٢٨٧.
نسيب الاختيار: الفن الغنائي، ص٤٠.

(٤) وأشهرهم: معبد، ابن عائشة، يونس الكاتب، عطرد، الأبجر، حنين، الغزيل، نجم بن طنبور.
ومن المغنيات: جميلة، سلامة، حبابة، سلامة الزرقاء، ربيحة، سعدة، سعاد... الخ.
انظر الملحق.

(٥) الأصفهاني: تجريد الأغاني، ج٣، ص٩٦٢.

(٦) فارمر: تاريخ الموسيقى العربية، ص٦٩.

(٧) الأصفهاني: تجريد الأغاني، ج١، ص٩٥.
النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٥.

(٨) محمد محمود سالم حافظ: تاريخ الموسيقى والغناء العربي، ص٤١.

وإلى "طويس" يعود الفضل في صنع الهزج والرمل في الإسلام لأول مرة[1]، بينما كان ابن محرز ينشد الرمل الفارسي، ثم اخترع الترنيم بزوج من الشعر العربي[2].

أما حنين، فقد طور -لأول مرة- اللحن من الهزج إلى السناد، مما جعل الأغنية تقوم على أصول وقواعد فنية جديدة[3].

وألفت عزة الميلاء ألحاناً جميلة، وهي أول من غنى الغناء الموقع من النساء، إلى جانب إتقانها العزف على عدة الآت موسيقية[4] كالمزهر والعود والمعازف (القانون).

وإلى جميلة يعود الفضل في إبراز شخصية الفنان، فقد كانت تحشد الموسيقيين والمغنين في تنافس شريف[5] إلى جانب قيامها بالنقد الفني[6] للأعمال التي تقدم.

وغلبت على الغريض الألحان الحزينة[7] أكثر من الأداء.

أما الآلات الموسيقية التي جرى العزف عليها خلال هذا العهد فهي على ثلاثة أنواع: وترية، ونفخية، والآت قرع، وأهم الآلات الوترية: الرباب: وهي رفيقة العرب، وصديقة الشعراء من قبل الإسلام[8].

(١) الأصفهاني: تجريد الأغاني، ج١، ص٣٢٢.
النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٤٦.
ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٥٠٦.

(٢) محمود حافظ: المرجع السابق، ص٥٨، ٥٩.

(٣) فارمر: تاريخ الموسيقى العربية، ص٧١.

(٤) ابن خرداذبة: اللهو والملاهي، ص٣٧.

(٥) الأصفهاني: تجريد الأغاني، ج١، ص٢٨٠.

(٦) ابن خرداذبة: اللهو والملاهي، ص٣٨.

(٧) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١، ص٥٣٥.

(٨) محمد محمود حافظ: تاريخ الموسيقى والغناء العربي، ص٢٢.

والرباب Rubab فارسية الأصل، تختلف عن الأولى عزفاً، فهي تعطي النغم بنبر الأوتار بقطعة من الغاب أو العظم[1].

والمزهر آلة تشبه العود وأقرب إلى البزق، عزفت عليها سيرين جارية حسان بن ثابت، وبرعت بالعزف عليها عزة الميلاء[2].

والعود: انتشر في هذا العهد، وحل محل آلة المزهر، وأصبح متداولاً بين عدد من الفنانين[3].

والطنبور: آلة تشبه العود من حيث إعطاء الأنغام، ولكنها أطول عنقاً[4]، وقد عزف عليها الشعراء والمداحون[5] قبل الإسلام، وفضلها أهل الري عن سائر الآلات[6].

والبربط: آلة تشبه العود، عرفت لدى الغساسنة والمناذرة[7] وكانت محببة لديهم في مجالس الأنس والطرب.

والصنج: وهي آلة تعزف بالأنامل، وذكرت في شعر الجاهليين[8].

---

(١) المرجع السابق، ص٢٤.

(٢) ابن خرداذبة: اللهو والملاهي، ص٣٦، ٣٧. انظر أسماء العود: ابن سلمه: العود والملاهي، ص٢٦، مخطوط.

(٣) كعزة الميلاء، وحباية (ابن خرداذبة: اللهو ص٢١، ٣٧، ٤٠).
المفضل بن سلمه (العود والملاهي، ص٢٦ مخطوط).
وابن سريج (تجريد الأغاني، ج١، ص١٠٦).

(٤) الموسوعة الميسرة، ص١١٦: القاهرة، دار القلم، سنة ١٩٦٥.
انظر أسماء العود، ص٢٦. في العود والملاهي.

(٥) محمد محمود حافظ: تاريخ الموسيقى والغناء العربي، ص٢٦.

(٦) ابن خرداذبة: اللهو والملاهي، ص١٧.

(٧) محمد محمود حافظ: تاريخ الموسيقى والغناء العربي، ص١٨.
انظر أسماء العود، ص٢٦.

(٨) الموسوعة الميسرة: ص-٦٥.

والجنك: وهي أشبه بالقانون اليدائي القديم اختص به العجم[1]. (الفرس) استعملوه منذ القدم.

وآلات النفخ التي اشتهرت ثلاث: الناي والمزمار وزمارة القرب. والناي: فارسية الأصل "ناي نارم" واكتفى العرب بالمقطع الأول وإن كانوا يسمونها "قصابة" وقد صاحبت الشعراء والمداحين قبل هذا العهد[2] وكذلك في مجالس الحجاج[3].

والمزمار: وهي آلة تشبه الناي[4] نغمها ناتج عن تبديل الأصابع على الثقوب، ذات صوت صارخ، واسمها الفارسي "صورناي"[5].

زمارة القرب: اشتهرت عند الفرس باسم "ناي انباب" وكانت لها شهرة في مصاحبة القيان والمغنيات لديهم، كما عرفها الغساسنة والمناذرة[6].

أما الآت القرع فأهمها: الطبل والدف والجلاجل.

الطبل: كان يصاحب منغم المزمار، واستعمل العرب طبلتين على جانبي الجمل في مواكب الحج للقرع عليهما[7].

الدف أو الرق: أشهر الآت الإيقاع في مصاحبة النغم، وقد اشتهر بالنقر عليه عدد

---

(١) الأصفهاني: تجريد الأغاني، ج١، ص١٣١.

(٢) محمد محمود حافظ: تاريخ الموسيقى والغناء العربي، ص٢٨.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢، ص٥٢.

(٤) الموسوعة الميسرة: ص١٦٩١.

(٥) محمد حافظ: تاريخ الموسيقى والغناء العربي، ص٢٨.

(٦) المرجع السابق، ٣٢.

(٧) الموسوعة الميسرة، ص١١٥٤.

من الفنانين[١].

الجلاجل: من الآلات التي كانت تصاحب حركة الرقص[٢].

وهكذا نجد أن الآلات الموسيقية تعددت وكثرت بين أيدي الفنانين، وأخذوا يعزفون عليها جماعات وأفراداً.

وعلى الرغم من أن معظم هذه الآلات الموسيقية كانت معروفة من قبل إلا أن هذا العهد تميز في أن استعمالها قد شاع وانتشر وأن بعضها قد طور ودخله التحسين.

ولئن كان العرب -قبل الإسلام- يغنون في كل مكان، وفي كل مناسبة، فقد وجدت في هذا العصر ظاهرة جديدة، وهي الاحتراف، فلم يكن لدى الفنانين عمل سوى التفرغ للفن، وكان الموالي المتهنين المحترفين[٣] مما جعل فن الغناء والموسيقا فناً منظماً له رجاله وأصحابه، وملك هذا الفن الجديد على المحترفين قلوبهم وعقولهم، مما دفعهم إلى اتخاذ أندية خاصة بهم يتجه إليها الفنانون[٤] المختصون، فربطت بينهم أواصر الفن بروح أخوية.

واستجابة لهواية الفن، شكل -بعض- الفنانين، ما يمكن أن نطلق عليه -تجوّزاً- معاهدة التعليم الموسيقي والغناء، تدربوا وخرجوا أعداداً كبيرة وبخاصة من القيان اللائي كن ينزلن القصور حتى لا يكاد قصر يخلو منهن[٥].

وكما أسلفنا القول، فقد كان للموالي فضل تعليم الغناء للبيئة العربية، وكان

(١) وقد نقر عليه: الدلال (ابن خرداذبة: اللهو والملاهي، ص٣١).
طويس (حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١، ص٥٢٤).
حكم الوادي (النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٠٥).

(٢) محمد محمود حافظ: تاريخ الموسيقى والغناء العربي، ص٦٩.

(٣) فارمر: تاريخ الموسيقا العربية، ص٨٢.

(٤) علي ابرهيم حسن: التاريخ الإسلامي، ص٥٥٥.

(٥) فارمر: تاريخ الموسيقا العربية، ص٨٣.

ذلك يتم بالرواية والمشافهة في أغلب الأحيان، فلم يعرفوا الكتابة الموسيقية (النوتة) على الرغم من أنه جرت محاولات لتدوين الموسيقا بالاستعانة بالرموز المأخوذة من الأبجدية العربية، لأن أغانيهم كانت تقوم على أشكال لحنية محلاة بالزخارف الموسيقية[١].

وإذا كان الموسيقيون لم يعرفوا الأبعاد الموسيقية، فإنهم عرفوا مواضع الأبعاد على العود، فعرفوا المطلق والسبابة والوسطى والبنصر والخنصر[٢] كما أطلقوا لفظة سجاح وصياح على الطنين[٣].

بالرغم من أن الغناء العربي بدأ بسيطاً ساذجاً، فكان الحداء الذي غناه الركبان[٤] سواء أكان نصباً أو غناء مرتجلاً[٥] إلا أن تأثير الموالي كان واضحاً في تطور الموسيقا عندما أدخلوا الأنغام اللحنية على الإيقاع بصياغة الألحان حسب نسب زمنية معلومة على نقرات تساعد الملحن في إيجاد اللحن المناسب لمعاني الشعر[٦].

---

(١) فارمر: المرجع السابق، ص٧.

(٢) المطلق: الوتر المطلق، السبابة: الإصبع الأول، الوسطى: الإصبع الثاني، البنصر: الإصبع الثالث، الخنصر الإصبع الرابع.

(٣) فارمر: المرجع السابق، ص٦٦، ٦٧.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص٢٥٨.
الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٤٦.

(٥) محمد محمود حافظ: تاريخ الموسيقا والغناء العربي، ص٤.
النصب: الغناء المهذب من الحداء، لما دخله من تحسينات وأوزان تبعاً لضرورة الشعر القديم، وهو من بحر الرجز.
الغناء المرتجل: وهو حداء الركبان المحسن الذي أحيته القبائل البدوية في الصحراء، لبدائيه وسهولته لمن لم يتعلم ويتلقى تمريناً في الغناء، وهو من بحر الرجز أيضاً.

(٦) المرجع السابق، ص١٦.

وقد تعددت الإيقاعات[1] في هذا العهد، فكان منها: الخفيف الأول والثاني، والثقيل الأول والثاني والرمل وخفيفه، والهزج.

وقد أدت هذه الإيقاعات إلى الغناء المتقن الذي يعتمد على طريقة جديدة في التناسق الإيقاعي المستقل عن الوزن الشعري.

إلا أن الموسيقا كانت لحنية متشابهة، سواء رافق المغني آلة أو أكثر، ولكن الموسيقي البارع "كابن سريج"[2] هو الذي يشبع الألحان، ويملأ الأنفاس، ويعدل الأوزان ويفخم الألفاظ، ويستوفي النغم الطويل، ويحسن مقاطع النغم القصار، ويصيب أجناس الإيقاع، ويختلس مواقع النبرات، ويستوفي الضرب من النقرات[3] ليقدم في النهاية لحناً رائعاً.

لقد وصل الموسيقيون إلى مستوى أرضٍ أهل الفن وعشاقه، بما قدموه من موسيقى مستوفاة النغم، متوازنة مع الإيقاع أرضت أذواق المستمعين ونالت إعجابهم.

وغزت الألحان الحجازية سائر الأقاليم، واعتبرها الموسيقيون مثالاً يحتذى به لما بلغته من صياغة لحنية وتناسق إيقاعي، وقدره فنية نالت إعجاب الخلفاء

---

(١) أوزان الإيقاعات:
الخفيف الأول: مفاعل مفاعيلن.
الخفيف الثاني: فعلن فعلن فعلن.
الثقيل الأول: مفعولن مف مفاعيلن مف.
الثقيل الثاني: مفعولن مفعو مفاعيلن مف.
الرمل: يشبه صياح الديك: كي ككي ككي ككي فاعلات فاعل.
خفيف الرمل: متفاعلتين متفاعلتن.
الهزج: مفاعلن مفاعلن.

(٢) محمد محمود سالم حافظ: تاريخ الموسيقا والغناء العربي، ص٤١.

(٣) فارمر: تاريخ الموسيقا العربية، ص٨٨، ٨٩.

والأمراء، ونال أصحابها الجوائز القيمة، ولذلك ظلت الحجاز معهد الفن[1] الذي يخرج الأفواج على مدى عقود الحكم الأموي، بينما لم تقدم الشام والعراق سوى مغنيين، فالعراق أنجبت حنين الحيري[2] والشام أبا كامل الغزيل[3]، اللذين لم يصلا إلى مستوى عمالقة الفن في الحجاز.

وأخذ تأثير الموالي أبعاداً متعددة، فإلى جانب التأثيرات الموسيقية التي تطورت مع تقدم الأمة العربية، التي أوجدها كل من ابن مسجح وابن محرز[4] حتى نسب إليهما علم الموسيقا في هذا العهد[5]، نجد ريادة جديدة قامت على توثيق الغناء والموسيقا على يد المولى يونس الكاتب، الذي قام بأول محاولة لجمع أغاني العرب، وأرخ للمؤلفين والملحنين[6].

على الرغم من أن كتبه مفقودة حتى الآن، فإن جوهرها موجود فيما كتبه كل من اسحق الموصلي وابن المهدي والأصفهاني[7] لاعتمادهم عليها.

وبناء على ما تقدم يكن أن نجمل تأثير الموالي على الفن الغنائي والموسيقا الغنائية بما يلي:

١- أصبح الغناء فناً قائماً على أسس واضحة لديهم، فأول من غنى على أصول فنية كان نشيط الفارسي، الذي علم عدداً من جيل الرواد، ثم انتقل الغناء

---

(١) حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج٢، ص١٢١. دار الثقافة سنة ١٩٥٩م.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج١ص ٣٤١.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٢٨.

(٤) جبرائيل جبور: عصر ابن أبي ربيعة، ج١، ص٥٢.

(٥) فارمر: تاريخ الموسيقا العربية، ص٦.

(٦) ابن النديم: الفهرست، ص٢٠٧. دار المعرفة: بيروت سنة ١٩٧٨.
ذكر ثلاثة كتب: محمود يونس، القيان، النغم.
ياقوت: معجم الأدباء، ج٤، ص١٨٢. ذكر له كتابان: النغم، الإيقاع. بركلمان: تاريخ الأدب العربي، ج١، ص١٩٧، القاهرة دار المعارف سنة ١٩٥٩.

(٧) شوقي ضيف: الشعر والغناء في مكة والمدينة، ص٦١.

الفارسي، فأصبح عربياً على أيديهم (ابن مسجح، ابن محرز) كما تم تأليف ألحان جميلة (عزة الميلاء).

٢-القيام برحلات علمية فنية، ونقل ألحان الروم والفرس، (ابن مسجح، ابن محرز، ابن سريج)، واقتباس هذه الألحان وتضمينها الموسيقا الشائعة.

والجدير بالإشارة أنها كانت محاولات وتجارب جديدة في سبيل إثراء الفن الغنائي والموسيقي ولها قيمة الريادة أيضاً.

٣- إيجاد جوقات موسيقية، بلغ أعضاء بعضها خمسين عازفاً، كما حصل في حفلة جميلة، والتنافس الفني الشريف بين الفنانين في سبيل الأجود.

٤- مزج الغناء بالرقص في الحفلات، كما حدث في حفلة جميلة أيضاً.

٥- وجود مراكز لتعليم الغناء والموسيقا، كمجلس وبيت عبدالله بن جعفر، وابن دهمان الذي كان متخصصاً في تعليم الجواري ثم بيعهن بأضعاف ما اشترى.

٦- احتراف الفن واتخاذه مهنة، وإيجاد رابطة للفنانين.

٧- محاولة إيجاد أسلوب لتدوين الموسيقا عن طريق الاستعانة بالرموز الأبجدية العربية.

٨- تحديد موضع الأبعاد على الآلات، وبخاصة العود عن طريق توزيع الأصابع على الأوتار.

٩- انتشار الآلات الموسيقية المعروفة سابقاً، وإدخال آلات جديدة لديهم كالصنج، والمزهر، والطنبور، والجنك والدف، والطبل وغيرها. بعد أن كان عزف الناس عليها محدوداً، أخذ الانتشار بُعديه الأفقي والعمودي.

١٠- تدوين الغناء العربي، فقد شمل -هذا التدوين- المؤلفين والملحنين وكان مصدراً اعتمد عليه مؤرخو الفن في عصر الحضارة العربية الإسلامية (العصر العباسي).

مجالس الفن والطرب:

لقد وجد عدد من الموسرين في الحجاز، بأنهم مدفوعون من قبل السياسة الأموية إلى الابتعاد عن شؤون الخلافة، فاتجهوا نحو تذوق الفن الموسيقي والغنائي وما فيها من جمال وإبداع، ولما كان منزلتهم لا تسمح بزيارة الفنانين متى يشاؤون، لذلك اتخذوا بيوتهم منتديات فنية[1]، بعد أن وفروا لها عناصر النجاح، علهم يجدون فيها السلوى والعزاء لنسيان واقعهم السياسي.

ويأتي على رأسهم[2] عدالله بن جعفر، الذي اتخذ من بيته مركزاً لمحترفي الموسيقا والغناء، أوى إليه مشاهير الفنانين، الذين تنافسوا في تقديم الأجود.

فلقد ضم بيته عدداً من الموالي وفي مقدمتهم نشيط الفارسي، وسائب خاثر، وابن سيريج، طويس عزة الميلاء[3] وغيرهم.

وهؤلاء هم رواد وواضعو أصول الموسيقا في هذا العهد، الذين أدخلوا وحسنوا وطوروا الفن حتى وصل إلى ما وصل إليه.

ولقد كان بيت ابن جعفر مكاناً لعشاق هذا الفن من أصحاب السلوى، حتى زاره معاوية بن أبي سفيان -أثناء خلافته- وأعجب بما سمع ورأى وقد أجاب ابن جعفر فيما إذا كان يرى بأساً، قال: لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان[4].

ورعت سكينة بين الحسين الفن لأصالتها المميزة لها ولذوقها وحسها، نسباً وجمالاً[5] وأدباً ونقداً[6]، فقد استمعت إلى عدد من الفنانين: الغريض ومعبد[7]

---

(١) حتي: تاريخ العرب المطول، ج١، ص٣٠٥

(٢) ابن عبدربه: العقد الفريد، ج٧، ص١٦. وهناك غيرهم مثل: حمزة بن عبدالله بن الزبير، وابن أبي عتيق.

(٣) بنت الشاطئ: سكينة بنت الحسين، ص١٧٢.

(٤) حتي: تاريخ العرب المطول، ج١، ص٣٠٦.

(٥) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١٠، ص٩٠.

(٦) الأصفهاني: تجريد الأغاني، ج٣، ص٤٦٣.

واجتمع في بيتها عشاق الطرب لسماع الحفلة الفنية التي أحياها كل من حنين وابن سريج ومعبد[1].

وهناك عائشة بنت طلحة، التي كان تدعو الفنانين للاستماع إلى أجود ما لديهم كعزة الميلاء[2] والغريض الذي أعجبت بفنه الغنائي فأكرمته أيما إكرام[3].

ولا شك أن هذه المجالس قد قدمت خدمات جلّى للفن، فمنها غزت الألحان والآلات الحجان، ومنها تعلم هواة الفن الأساليب والأصول، وفيها تحسن الأداء وتطور، ومنها انطلق المبدعون واشتهروا في الآفاق بعد أن نقلوا فنهم، فقد كانت أشبه بمراكز علمية تؤهل طلبة العلم بما يحتاجون وتؤهلهم للأستاذية في الفن.

ومما شاع في هذا العهد، انطلاق قوافل الفنانين للحج -إلى مكة- ولعل قافلة جميلة وما صحبت من الفنانين، وما كانت تعده لها من الإعلام، ليكون مترفو القوم من الشعراء والوجهاء (عمر بن أبي ربيعة، الحارث بن خالد المخزومي) في شرف استقبالها، قد أكسبها شهرة كبيرة.

وفي المساء، كانت تقام حفلات السمر والغناء بحضور عشاق الاستماع والموسيقا، ولعل حفلة جميلة كانت أبرز الحفلات، قد قامت فيها بدور "مقدمة البرنامج" فقدمت ما يزيد على ثلاثين فناناً وفنانة خلال ثلاثة أيام، كل حسب لونه ومكانته، ثم أنهت الحفل بعزف للجواري على خمسين آلة وترية، وغناء لها بمصاحبة عودها[4].

---

(٧) وهناك غيرهم: كحمزة بن عبدالله بن الزبير وابن ابي عتيق.

(١) الأصفهاني: تجريد الأغاني، ج١، ص٢٨٠ (كانت نهاية الحفل مفجعة، فقد سقط ومات حنين تحت الهدم).

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٧٦.

(٣) تجريد الأغاني، ج١، ص٢٩٠ (منحته خمسة آلاف درهم).

(٤) الأصفهاني: تجريد الأغاني، ج٣، ص٩٣٦.

وهذه الحفلة علامة فارقة تدل على كثرة الفنانين والفنانات، وتعدد ألوانهم الغنائية، لإيجاد التنافس الشريف في سبيل الأفضل والأبدع، والأهم من ذلك، أنها أبرزت نواة الفرق الموسيقية.

خاتمة:

أثر الموالي في نقل الحضارة إلى الأقاليم العربية، حيث حصل الاختلاط والامتزاج مما أدى إلى تفاعل حضارة الأمم السابقة في البيئة العربية، وقد شمل الحياة الثقافية من جوانبها المختلفة، العلوم الشرعية، كتابة التاريخ، الأدب، الشعوبية، وأخيراً الفن.

أولاً: العلوم الشرعية:

يظهر تأثير الموالي واضحاً في العلوم الشرعية ومتمثلاً في كافة أنواع النشاط الفكري الديني، ويبرز فيما يلي:

١- تمثل حسن إيمان الموالي في طلبهم للعلوم الشرعية، وتفانيهم في سبيله، وغيرتهم عليه، ويكثرتهم لنيله، حتى كانوا الغالبية في البصرة والكوفة، قام على أكتاف عدد كبير منهم.

٢- استوعب الموالي جميع أنواع العلوم الشرعية، من قرآن وحديث ورواية، فكان منهم الفقهاء المفسرون والقراء والحفاظ والمفتون.

٣- قام علم التصنيف على يد أحد الموالي "ابن جريج" فهو أول من صنف الحديث، فوضع كتاباً للطهارة، وآخر للصيام، وثالثاً للصلاة ورابعاً للزكاة.

٤- نفذ الموالي دعوة الإسلام إلى التفكير والبحث، فكان منهم المجتهدون الذين استنبطوا الأحكام الشرعية للقضايا المستجدة، مما مهد للثورة الفكرية فيما بعد.

٥- قام عدد من فقهاء الموالي بالنقد الاجتماعي -الترف وظلم الحكام- كما وقفوا إلى جانب المستضعفين والمضطهدين وشاركوهم في الثورة.

٦- أسهم الموالي في حركة التدوين للحديث[1] وقد أدت هذه إلى ظهور بوادر علم جديد، علم النقد والتحري للرواة.

٧- اتساع دائرة الحركة العلمية والفقهية عند الفقهاء نتيجة الطواف في الأقاليم للبحث عن الرواة وتبادل الآراء في الأمور الشرعية.

٨- حافظ الموالي على التراث من الأحاديث والأسانيد وأراء الصحابة.

٩- وضع الموالي مبادئ الأفكار الفلسفية الإسلامية، الجبرية والقدرية.

١٠- أوجد الموالي مبدأ المعتزلة، وهم الذين أوجدوا مبادئ الجدلية الإسلامية للتصدي للزنادقة والملحدين، وإليهم تنسب نظرية الشك كباعث للمعرفة.

١١- وأخيراً، أوجدوا بعض الأفكار المتطرفة الغريبة عن مبادئ الإسلام، كالحلول والتناسخ والرجعة.

ثانياً: كتابة التاريخ:

مما سبق يتضح لنا أن تأثير الموالي في علم التاريخ كان تأثيراً ملموساً، فقد أوجدوا عدداً من المبادئ التاريخية التي يقوم عليها هذا العلم. وهذا المبادئ تتمثل فيما يلي:

١- قام التاريخ -في هذه الفترة- على أكتاف الفقهاء باعتباره مكملاً للعلوم الشرعية للعلوم الشرعية ومرتبطاً بها، مما دفعهم إلى الإحاطة بالأخبار

---

(١) قام سالم مولى مروان بن الحكم بكتابة الأحاديث التي يرويها أبو هريرة بينما كان يجلس خلف الستارة، كلفه بذلك مروان بن الحكم عندما كان والياً للمدينة في عهد معاوية.
ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٧، ورقة ١٧، الوجه٢ (ترجمة سالم أبو الزعيزعة) مخطوط.

والأسانيد التي تتعلق بذلك[1]

٢- اعتمد المؤرخون -في هذه الفترة- على أساس الاقتباس العلمي من المصادر والوثائق، وقد أدى ذلك إلى إدخال الإسرائيليات في بعض العلوم الشرعية[2].

٣- الموالي أول من وضع أساس علم المغازي.

٤- استكمل الموالي المعرفة التاريخية الإنسانية، فسدوا الفراغ من بدء الخلق حتى ظهور البعثة النبوية[3].

٥- الموالي هم أول من استعمل اسم التاريخ في هذا العصر[4].

٦- وضع الموالي بداية عملية فلسفة التاريخ، فحاولوا تحليل وتعليل الأسباب

---

(١) ابن طولون: قيد الشريد، ص١٢ (رواية الشعبي) مخطوط.
المرجع نفسه، ص٤ (رواية مكحول) مخطوط.
ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٢، ص٢١٤(إسناد عطاء عن ابن عمر).
الأغاني، ج١٦، ص٨٣ (رواية الشعبي).
ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٢، ص٢٨٩ (رواية طاووس عن ابن عباس).
المصدرالسابق، ج٣، ص٧٥ (رواية الشعبي).
المصدر السابق، ج٤، ص٢١٤ (إسناد رجاء بن حيوه).
ابن كثير: الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، ص٧.
(أسانيد محمد بن سيرين والأعمش ونافع، أصح الأسانيد).

(٢) أول من قام بذلك وهب بن منبه.
ابن قتيبة: المعارف، ص٢٠٢.
الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٠١.
ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج٢، ص٢٩٦.
روى الشعبي عن عيسى بن مريم.
الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٠٠.

(٣) أول من قام بذلك وهب بن منبه، وابن اسحق.

(٤) أول من وضع ذلك: عوانة بن الحكم من كتاب التاريخ.

للأحداث[1].

٧- ابتدع الموالي التاريخ القصصي في الثقافة الإسلامية[2] استغلها المعارضون في نشر مذاهبهم وآرائهم فيما بعد[3].

ثالثاً: المعمار الفني:

ونستطيع أن نلخص تأثير الموالي في ذلك بما يلي:

١- أسهم الموالي في الناحية المعمارية[4] في بناء مسجد الكعبة في عهد ابن الزبير[5] ومسجد الكوفة[6] وقصر الرقط[7] ومسجد قبة الصخرة[8] والمسجد

---

(١) كان عوانة بن الحكم ينطلق من مبدأ الجبرية، بينما كان ابن احسق يؤمن بحرية الإرادة ومع المعارضة.

(٢) أول من ابتدعه وهب بن منبه وتميم الداري. تميم كان نصرانياً وأسلم سنة ٩هـ، وسكن الشام.
ابن سعد: الطبقات، ج٧، قسم٢، ص١٢٩، ١٣٠.
ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص٢٥٦.
وكان تميم قد استأذن عمر بن الخطاب فأذن له.
ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص٢٥٦.
واحتل سعيد بن جبير والحسن البصري منزلة في الكوفة.
الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص١٩٦، ٢٥٧، ج٢، ص١٠.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٤٣.
المقريزي: ،ج٢، ص٢٥٣.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص٣٥٨، ١٧٢.

(٥) الأغاني، ج٣، ص٢٧٦، ٢٧٧. أوليري: الفكر الإسلامي، ص٩٥.

(٦) أوليري: المرجع السابق، ص٩٤٧.

(٧) النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٤٠.
أوليري: الفكر الإسلامي، ص٩٥.

(٨) انظر: سيدة كاشف: الوليد بن عبد الملك، ص١٩٧. نقلاً عن ليل.
ترجمة أوراق البردى.

الأموي[1].

٢- الإشراف على الناحية الإدارية في العمارة، فقد كان كل من رجاء بن حيوة[2] ويزيد بن سلام[3] هما المسؤلان عن الإنفاق على مسجد قبة الصخرة حتى انتهى.

٣- نفذ الموالي "الفرس" الفسيفساء الخزفية في خربة المفجر[4].

٤- استخدم الفنانون من الموالي الزخرفة الجصية بمهارة فائقة، وإليهم يعود الفضل في وضع أصولها في الزخرفة الإسلامية[5].

٥- أوجد الموالي الرسوم الهندسية من مثلث ومربع ودائرة[6] إلى جانب الزخارف النباتية والأشرطة المتماوجة[7].

٦- وأخيراً أدخلوا القبة نصف الاسطوانية إلى العمارة[8].

وبذلك أسهم الموالي في هذه الحركة الفنية بنشرهم مبادئ الفن وأساليبه، ثم تغلغل في عدد من المنشآت الأموية، وكان علامة واضحة في هذا المضمار، رسخت أساليب هذا العهد وجعلته متميزاً عن غيره.

---

(١) ديماند: الفنون الإسلامية، ٢٤.
كحالة: الفنون الجميلة، ص١٠.

(٢) الطبري: ج٦، ص٥٥. مجير الدين: الأنس الجليل، ج١، ص٢٧٣.

(٣) مجير الدين: المصدر والصفحة.

(٤) مارسيه: الفن الإسلامي، ص٢٥.
نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص٤٤.

(٥) ديماند: الفنون الإسلامية، ص٣١. كحالة: الفنون الجميلة، ص٣٥.

(٦) Pope: Aservey of Persion Art, Vo13, P 2742

(٧) مارسيه: الفن الإسلامي، ص٤٦، ٥٧.

(٨) الألفي: الفن الإسلامي، ص١٦٢.
بهنسي: جمالية الفن العربي، ص١٦٩.

رابعاً: الأدب:

ويمكن أن نلخص تأثير الموالي في الأدب العربي بأنه كان على نوعين:

أ- التأثير المباشر:

١- أسهم الموالي في نظم أغراض الشعر كافة، من مدح ورثاء وهجاء وغزل وحكم، وكان -في معظم الحالات- وسيلة للرياء تقرباً للحكام، أو سلاحاً لتحقيق أغراضهم يعبر عما في نفوسهم.

٢- المساهمة في كافة الفرق الإسلامية، معبرين عما يحسون به من سخط، وطلباً للاحتماء حيناً آخر.

٣- أدخل الموالي عدداً كبيراً من المفردات الفارسية، لأدوات الحرف والفنون الجميلة.

٤- ابتكار صور جديدة تدعو إلى الرفق بالحيوان حيناً، وتحمل معاني الرهبة والسطوة حيناً آخر، متأثرين بآدابهم القديمة.

٥- أدخل شعراء الموالي الشعر القصصي للغة العربية.

٦- استحدث المولدون أمثالاً لم تكن من كلام العرب ولا من أمثالهم.

ب- التأثير غير المباشر:

١- أصبحت الأغراض الشعرية فناً قائماً بنفسه، وخاصة الغزل، نتيجة الثراء وكثرة السراري.

٢- تسرب اللحن إلى العرب، حتى إلى كبار الشعراء، نتيجة الاختلاط والامتزاج.

٣- وجد علم النحو وعلامات الإعراب كرد فعل لأخطاء الموالي.

٤- تقدمت المعاني والصور والتوليدات الجديدة نتيجة تأنق العرب وتقدمهم.

٥- تأثر عدد من الشعراء العرب بعلماء الموالي وزهادهم فكتبوا شعراً دينياً.

٦- نقل بعض الشعراء العرب تأثرهم بأفكار الموالي، فكتبوا شعراً يحمل مضمون التناسخ والرجعة.

٧- تقدم النثر على يد سالم وعبد الحميد بما أضافه من معانٍ وصور جديدة.

خامساً: الغناء والموسيقى:

ويبرز دور الموالي في هذا الجانب في الأمور التالية:

١- أصبح الغناء فناً قائماً على أسس واضحة لديهم، فأول من غنى على أصول فنية كان نشيط الفارسي الذي علم عدداً من جيل الرواد، ثم انتقل الغناء الفارسي فأصبح عربياً على أيديهم (ابن سريج، ابن محرز).

٢- القيام برحلات علمية فنية، ونقل ألحان الروم والفرس (ابن مسجح، وابن محرز، وابن سريج) واقتباس هذه الألحان وتضمينها الموسيقا الشائعة.

والجدير بالإشارة أنها كانت محاولات وتجارب جديدة في سبيل إثراء الفن الغنائي والموسيقا ولها قيمة الريادة أيضاً.

٣- إيجاد جوقات موسيقية، بلغ أعضاء بعضد خمسين عازفاً، والتنافس الفني الشريف بين الفنانين في سبيل الأجود.

٤- مزج الغناء بالرقص في الحفلات، كما حدث في حفلة جميلة أيضاً.

٥- وجود مراكز لتعليم الغناء والموسيقا، كمجلس وبيت عبدالله ابن جعفر وابن دحمان الذي كان متخصصاً في تعليم الجواري ثم بيعهن بأضعاف ما اشترى.

٦- احتراف الفن واتخاذه مهنة وإيجادرابطة للفنانين.

٧- محاولة إيجاد أسلوب لتدوين الموسيقا عن طريق الاستعانة بالرموز الأبجدية العربية.

٨- تحديد موضع الأبعاد على الآلات، وبخاصة العود عن طريق توزيع الأصابع على الأوتار.

٩- انتشار الآلات الموسيقية المعروفة سابقاً، وإدخال الات جديدة لديهم كالصبخ، والمزهر، والطنبور، والجنك، والدف، والطبل وغيرها، وبعد أن كان عزف الناس عليها محدوداً، أخذ الانتشار بُعديه العمودي والأفقي.

١٠- تدوين الغناء العربي، وقد شمل هذا التدوين المؤلفين والملحنين، وكان مصدراً اعتمد عليه مؤرخو الفن في عصر الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي.

من خلال المعطيات السابقة، يظهر لنا واضحاً دور الموالي وإسهامهم في كافة المظاهر الثقافية مما أدى إلى ارتفاع المستوى الثقافي الذي لولاهم لما وصل إلى ما وصل إليه من تقدم وازدهار بهذه السرعة وبهذه الصورة المشرقة في هذه الفترة القصيرة من الزمن.

الخاتمة:

اختلط الموالي في المجتمع العربي نتيجة الفتوحات، فأدى هذا إلى الامتزاج والتفاعل وقام هؤلاء بنقل الكثير من الوسائل الحضارية التي كانت سائدة لديهم -إلى المجتمع الجديد- في جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مما كان له عظيم الأثر على المظاهر الحضارية في هذا العصر.

والموالي كان لهم دور كبير في الحياة الاجتماعية، منذ قاموا بنقل المجالس وما تبعها من حجابة وستارة وندماء، وأدوات جلوس كالسرر والكراسي.

وكان الموالي وراء تطور المأكل والملبس، فعرف المجتمع الأموي المأكولات الجديدة وخاصة الحلويات (كالفالوذج واللوزنج) والمحاشي وما احتاجته من صحف مفضضة وسكاكين وملاعق وفوط، وكراسي وطاولات، إلى جانب إعدادها من قبل مهرة الطباخين منهم.

أما الملابس، فأدخلوا الحريرية بأنواعها، والسروايل والأقبية والثياب الكتانية الموشاة، والدراريع، والملاءات، والقلانس، والثياب الشفافة، والخمر، كما سربوا أنواع الزينة، والشعور المستعارة، والعصائب، والمراوح، والأقراط، والأوسمة.

وبذلك أسهم الموالي في رفع المستوى الاجتماعي بما أدخلوه من تلك الوسائل.

ويظهر تأثير الموالي في الحياة الاقتصادية واضحاً، فقد كانوا عماد الإنتاج، وأكبر مورد لبيت المال، كما كانوا يؤثرون على الأسواق المحلية بعدم التلاعب بأسعار المواد التموينية الاستهلاكية.

كما أنهم أدخلوا الحركة التعاونية في الزراعة (عند الحفر خاصة) والأدوات الزراعية الراقية، ونقلوا النباتات الجديدة.

وفي الصناعة، أوجدوا صناعة المنسوجات المنوعة، والعطور والزينة، والصناعات الخشبية، والورق والسكر.

وساهموا في التجارة الداخلية والخارجية بإنعاش الأسواق، بنقل البضائع الجديدة، مما أدى إلى وجود أسواق مالية مزدهرة، وهذا عكس تقدم الحياة الاقتصادية.

أما الحياة الثقافية، فقد أسهم الموالي فيها بدور كبير، وكانوا رواداً للعديد من العلوم والمعارف، تركوا بصمات واضحة وتأثيراً في العلوم الشرعية والتاريخ والأدب العربي، والنحو، والفنون.

ففي العلوم الشرعية، شارك فقهاؤهم أفراد المجتمع، وقاموا بالنقد الاجتماعي، والوقوف بجانب المستضعفين، بجانب التفسير والرواية والفتيا.

وهم الذين أوجدوا بداية الثورة الفكرية في الإسلام، فقد أوجدوا مدرسة الرأي في العراق، وأسهموا في المحافظة على التراث الديني في مدرسة الحجاز،

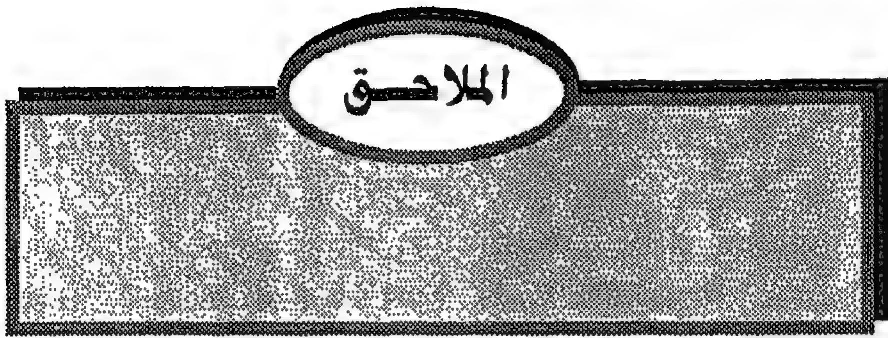
وإليهم يعود الفضل في وضع مبادئ الأفكار الفلسفية الدينية في الإسلام (الجبرية والقدرية) والجدلية (المعتزلة).

وإذا كان الموالي قد شاركوا في كتابة التاريخ على أسلوب رجال الحديث، فهم أول من وضع طريقة الاعتماد على المصادر، وأول من وضع أساس علم المغازي والتاريخ العلمي، وإليهم يعود الفضل في ابتداع التاريخ القصصي في الإسلام.

والموالي ساهموا في الفنون التشكيلية، من رسم وزخرفة،.وهم الذين أدخلوا الزخرفة الجصية، والرسوم الهندسية (مثلث، مربع، دائرة) بجانب المشاهد الطبيعية، والزخارف النباتية والأشرطة المتماوجة.

أما دورهم في الأدب فيظهر، واضحاً في الشعر بما أدخلوه من إبداعات وتشبيهات جديدة، وشعر قصصي، كما كانوا السبب في وجود القصائد الطوال في الغزل، وشعر الزهد عند شعراء العرب، كما تقدم النثر على أيدي كتابهم، ووصل إلى ما كان ينتظره من الرقي والتقدم بفضل ما رسخوه من أصول الكتابة.

ويبدو تأثير الموالي بارزاً في الفن الغنائي، فقد قام وازدهر على أيديهم، فظهرت أنواع جديدة من الأوزان، وتطور السلم الموسيقي القديم المتداول، ووضعت أسس جديدة للغناء قائمة على الاستعانة بالنبرات والدرجات الصوتية التي تتناسب مع ذوق المجتمع الجديد، كما ظهر في هذا العهد محترفو الفن، ووجدت لهم مجالس فنية يتلقى فيها الطلبة علم الموسيقى والفن الغنائي، مما أوصل هذا الفن إلى مستوى لم يبلغه من قبل، وإن كنا -شخصياً- نعتقد بأن ما وصل إليه المجتمع الأموي من تقدم حضاري يمكن أن يتم بصورة طبيعية بعيداً عن تأثير الموالي، إلا أننا نكاد نجزم بأن الموالي قد سارعوا في دفع ذلك التطور حتى وصل إلى ما وصل إليه.


الملاحق

ملحق رقم "١"

معجم الألفاظ الغريبة مرتبة ترتيباً هجائياً

(أ)

الأحامرة: الحمراء قوم من العجم نزلوا البصرة[١].

الأساورة: قوم من الفرس نزلوا البصرة.

الإعذار: طعام الختان[٢]

الأمَة: المملوكة، العبدة، الخادمة[٣] هي ضد الحرة.

المرأة المملوكة خلاف الحرة[٤].

(ب)

البارق: نوع من الأساور يوضع في اليد.

البدنة: ما يلبس من الثياب على البدن.

البريم: خيطان مختلفة أبيض (أبيض، أسود) تشده المرأة في وسطها للزينة[٥].

البقيعة: طعام الزفاف[٦]

---

(١) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج٢، ص١٣

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص٢٩٢.

(٣) الرازي: اختيار الصحاح، ص٣١

(٤) المعجم المحيط، ج١، ص٢٨.

(٥) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج٤.

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص٢٩٢.

(ت)

التزجيج: تدقيق الحواجب.

التَّقَيُّن: التزيين الفعل من القينة وهي المغنية المتزينة.

التنمص: إزالة الشعر من الوجه وكذلك الحف[1]

(ج)

الجارية: فتية النساء، جمعها جوارٍ[2].

الجبارة: إسوارة توضع في الساعد[3].

الجريب: مقياس مساحة ومكيال استعمل في العهد الإسلامي[4]. وهو أربعة أقفزة.أما المقياس ١٠×١٠=١٠٠ قصبة = ٣٦٠٠ ذراعاً مربعاً[5].

جيغوية: لقب أميري أطلقه كسرى الفرس على أمير خصرستان.

(خ)

الخرس: طعام الولادة[6]

الخلخال: ما يلبس في الخال من الحلي[7].

الخميصة: كساء أسود مربع له علمان[8].

---

(١) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج٢، ص٣٢٢

(٢) المصدر السابق، ج٤، ص٣١٣

(٣) الثعالبي: فقه اللغة، ص١٥٩.

(٤) أحمد الشرباصي: الاقتصاد الإسلامي، ص٩٣.

(٥) المقريزي: إغاثة الأمة، ص٥١.

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص٢٩٢

(٧) الثعالبي: فقه اللغة، ص١٥٩.

(٨) ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٣١.

(د)

دراعة: جبة مشقوقة المقدمة، وكذلك قميصها[1].

الدراعة: لباس مفتوح من الجهة الامامية أعلى القلب ومزررة بأزرار وعُرى، وكانت تلبس في الهند من قبل القضاة والأدباء، كما كانت ترتديها جماهير الشعب[2].

درة: حبة اللؤلؤ التي تزن نصف مثقال فأكثر[3].

الدملج: إسورة توضع في العضد[4].

(ر)

رسخاء: شديدة العرق.

ريطة: ملاءة

(س)

السنحاب: نوع من العقود،يشد إلى الوسط، ويكون مطعماً بالدرر والعنبر.

السرية: الجارية المملوكة.

(ش)

الشفوف: نوع من الأقراط يعلق بالأذن[5].

---

(١) ابن سيدة: المختصر، ج٤، ص٣٦.

(٢) دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند الشعوب، ترجمة د. أنور فاضل، ص١٤٦، ١٤٧.

(٣) الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص١٢

(٤) الثعالبي: فقه اللغة، ص١٥٩.

(٥) الثعالبي: فقه اللغة، ص١٥٩.

(ص)

الصاع: خمسة أرطال وثلثا رطل على رأي فقهاء الحجاز، وثمانية أرطال على رأي فقهاء العراق[١].

(ط)

الطرز: اشتقت من الفارسية، أصلها ترازيدن وتعني التطريز.

الطوق: حلية مستديرة تحيط بالعنق[٢].

الطيلسان: منديل حريري يتدلى فوق العمامة وعلى الكتفين ليقي العنق من الشمس[٣].

(ع)

العصبة: طرحة من الحرير مربعة الشكل سوداء اللون، لها حاشية حمراء أو صفراء، يلف بها الرأس[٤].

العواتك: جمع عاتكة، المرأة المحمرة[٥].

العقاص (تسريحة): عقصت المرأة شعرها مثل الرمانة على قفاها وشعرها[٦].

---

(١) الشرياصي: المعجم الاقتصادي، ص٢٥٩.
(٢) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج٣، ص٣٢٢.
(٣) أمير علي: مختصر تاريخ العرب، ص٧٥.
دوزي: المعجم المفصل بأسماء اللابس عند العرب، ص٢٢٩.
(٤) دوزي: المرجع السابق، ص٢٤٧.
(٥) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج٣، ص٣٢٢.
(٦) المعجم الوسيط، ج٢، ص٦٢١.

(غ)

غلالة: ثوب رقيق يلبس تحت ثوب صفيق وهي مفرطة في الشفوف والخفة [1]

(ف)

الفرسخ: وحدة مساحة وتساوي ١٢ ألف ذراع[2].

= مسافة ٣ أميال، وفي البريد ٦ أميال في الغالب[3].

الفوطة: كلمة هندية الأصل، وهي منشفة لها حواشٍ جميلة[4] لستر العورات[5].

كما تشير إلى المئزر الذي يشد حول الوسط لدى دخول الحمام[6].

(ق)

القارح: الحافر إذا عمره خمس سنين[7].

القباء: لباس خارجي للرجال، فارسي الأصل، مقفلة من الأمام بأزرار ومقورة تمام التقوير في موضع الرقبة، وعند أهل اليمن هو القفطان نفسه[8].

---

(١) دوزي:، ص٢٦١.

(٢) ياقوت، ج٣، ص٢٧٢.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٦٦.

(٤) دوزي، ص٢٧٥.

(٥) دوزي: ص٢٧٦.

(٦) دوزي، ص٢٧٨.

(٧) الرازي: مختار الصحاح، ص٤٥٢.

(٨) دوزي، ص٢٨٥.

قرط: ما يعلق في الأذن من أجل الزينة[1].

القفيز: (مساحة) مائة وأربعة وأربعين ذراعاً.

(مكيال) يسع ثمانية مكاييل[2].

قلادة: كل ما يعلق بالأذن من أجل الزينة[3].

قلب: إسورة من الفضة.

قلنسوة: لباس يلاذ على الرأس تكويراً[4].

القن: عبد، وهو الخالص للعبودية[5].

القينة: الأمة المغنية، وجمعها قيان.

(ك)

الكمأة: نبات مستدير كالقلقاس، يوجد في الربيع تحت الأرض ويستعمل في الطبخ.

(م)

المأدبة: طعام الضيوف[6].

المذرع: أمة كريهة وأبوه خسيس.

المرجان: حبة اللؤلؤ التي تزن أقل من نصف مثقال[7].

---

(١) الثعالبي: فقه اللغة، ص١٥٩.

(٢) الشرباصي: المعجم الاقتصادي، ص٣٦٧.

(٣) الثعالبي: فقه اللغة، ص١٥٩.

(٤) ابن سيدة: المخصص، ج٤، ص٨٢.

(٥) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج٤، ص٢٦٣.

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص٢٩٢.

(٧) الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص١٣.

المرزبان: لقب فارسي أطلقه كسرى على قائد الحدود.

المرط: كساء من خز أو كتان أو صوف تلبسه نساء العرب وتأتزر به[1].

المكوك: المد، وقيل الصاع[2].

الموالي: كل من أسلم من غير العرب.

المولّد: من ولد في أرض العرب، ونشأ مع أولادهم وتأدب بآدابهم[3].

(ن)

النبط: بمعنى النبيط، وهم قوم كانوا يستنبطون (يحتفرون) الآبار للعرب، وقد أطلقت على أهل السواد في العراق[4].

(هـ)

الهجين: من كان أبوه شريفاً وأمه وضيعة.

(و)

الوشاح: نظمان من اللؤلؤ والجوهر يخالف بينهما، ومعطوف أحدهما على الآخر[5].

الوقف: إسورة من العاج.

الوكيرة: طعام بناء الدار[6].

---

(١) دوزي، ص٣٢٦.
(٢) الشرباصي: المعجم الاقتصادي، ص٤٣٨.
(٣) لسان العرب، ج٣، ص٩٨١.
(٤) المرتضى: آمال المرتضى، ج١، ص٢٦١.
(٥) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج١، ص٢٦٤.
(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص٢٩٢.

ملحق رقم "٢"

تراجم اعلام الموسيقا والغناء في العهد الأموي من الموالي

المدنيون:

١- نشيط: مولى فارسي، اشتراه عبد الله بن جعفر ثم أعتقه[١] خلق في المدينة ثورة فنية بألحانه الفارسية وغنائه[٢].

كان أستاذاً لسائب خاثر، الذي تعلم عنه الألحان العربية، وكذلك علّم عزة الميلاء[٣].

٢- طويس: وهو عيسى بن عبدالله، من موالي بني مخزوم من أعظم المغنين في الإسلام[٤]، فهو أول من غنى بالعربية غناء فنياً نقلاً عن الفرس[٥]، وأول من غنى بالإيقاع[٦] وأول من صنع الهزج والرمل في الإسلام[٧]، وكان يتقن النقر على الدف[٨] علّم الغناء لابن سريج والدلال[٩] غنى عبدالله بن جعفر[١٠]

---

(١) الاصفهاني: الأغاني، ج١، ص٣٨.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٤٣.

(٣) المصدر السابق، والصفحة.

الأغاني، ج٣، ص٢.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٥٠٦.

النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص ٦٤٢.

(٤) فارمر: مصادر الموسيقا العربية، ص٢٦.

(٥) عبد الرحيم محمود: المقتطف، ديسمبر، سنة ١٩٢٩، ص٥٥١.

(تاريخ الغناء العربي).

(٦) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١، ص٥٣٤.

(٧) الاصفهاني: الأغاني، ج٣، ص٢٧.

النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٤٦.

(٨) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١، ص٥٣٤.

(٩) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٢٤.

الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٥٠.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٥٠٦.

ومات في خلافة عبد الملك[1] وغنى شعر عروة بن الورد[2].

٣- سائب خاثر: أبو جعفر، سائب بن يسار[3] أصله من بني كسرى اشترى ولاءه عبدالله بن جعفر من بني الليث ثم أعتقه[4].

أول صوت غنى في الإسلام الغناء المتقن، بعد أن نقل الألحان الفارسية عن نشيط[5]، وأول من عمل العود في المدينة وغنى به[6] وهو مبتكر الإيقاع المسمى الثقيل، كما استعمل الإيقاع في أغانيه ذات الحن الثني في الموسيقا العربية[7].

كان عزيز النفس لا يغني أحدى سوى عبدالله بن جعفر إلا أن يكون خليفة أو ولي عهد (غنى معاوية في بيت ابن جعفر)[8] تعلم على يديه الموسيقي ابن سريج، وجميلة، ومعبد، وعزة الميلاء[9].

٤- معبد: هو معبد بن وهب، مولى العاص بن وصبة المخزومي "وقيل مولى معاوية بن أبي سفيان"[10] كان أبوه أسود وكان هو خلاسياً تلقى موسيقا

---

(١٠) الأغاني، ج٤، ص٢.

(١) المصدر نفسه صفحة٣١.

(٢) المصدر نفسه صفحة٣٢.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٤٣.
الأغاني، ج٨، ص٣٢١.

(٤) الأغاني، ج٨، ص٣٢١.
المصدر السابق والصفحة.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٤٤.

(٦) الاصفهاني: الأغاني، ج٨، ص٣٢١.

(٧) فارمر: تاريخ الموسيقا العربية، ص٦٩.

(٨) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٢٩٢.
البلاذري: أنساب الأشراف، قسم٤، ج١، ص٢٣ - تحقيق إحسان عباس.

(٩) الأغاني، ج٨، ص٣٢٢.
النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٤٤.

(١٠) الأغاني، ج١، ص٣٦.

على يدي نشيط الفارسي، وسائب خاثر، واستوعبها، فصار موسيقا ترددت ألحانه وأغانيه على جميع الشفاه[1] حتى اعتبر إمام أهل المدينة في الغناء[2].

علّم مجموعة من الجواري في الأهواز[3]، ودرس على يديه كل من حكم الوادي، وابن عائشة، مالك الطائي، ويونس الكاتب، ودحمان، وحبابه، وسلامه.

٥- ابن عائشة: هو محمد بن عائشة، نسب إلى أمه لأنه لم يعرف له أباً، وكانت أمه مولاة لكثير بن الصلت الكندي[4]، وكان من أحسن الناس غناء[5] حتى قيل: لو كان أول غنائه مثل آخره لقدم على ابن سريج[6]. وقيل أنه أفسد فتيات المدينة[7] لمحادثته ومجالسته لهن[8] وكان لا يغني إلا لذي قدر جليل أو خليفة، فغنى لهشام بن عبد الملك ولوليد بن يزيد حتى كفر وألحد، كما منحه ألف دينار[9].

ويعود إتقان غنائه إلى أنه تعلم أصوله على يدي معبد ومالك الطائي[10].

٦- يونس الكاتب: يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار ولد هرمر وكان مولى

(١) فارمر: مصادر الموسيقى العربية، ص٢٥.

(٢) الأغاني، ج١، ص٣٦.
النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٦٢.

(٣) الأغاني، ج١، ص٤١.

(٤) الأغاني، ج٢، ص٢٠٣.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٣٢.

(٦) الأغاني، ج٢، ص٢٠٣.

(٧) المصدر السابق، ص٢٠٤.

(٨) النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٨٢.

(٩) الأغاني، ج٢، ص٢٠٥.
النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٨٢.

(١٠) الأغاني، ج٢، ص٢٠٣.
النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٨٣.

لعمرو بن الزبير[1]، كان أبوه فقيهاً، فأسلمه إلى الديوان، حتى كان من كتابه[2] ولذلك لحقته هذه الصفة.

تعلم الغناء على أيدي: معبد، ابن سريج، ابن محرز، الغريض، ولكن إعجابه كان بمعبد، فأكثر من الرواية عنه[3]، له غناء حسن، فيه صنعة، غنى الوليد بن يزيد. كما أن له شعراً جيداً[4]. ويعد رائد تدوين الأغاني والموسيقا والمؤلفين والملحنين[5]، ذكر له ابن النديم: مجرد يونس، القيان، النغم، وهي الأمثل التي اعتمد عليها كل من ابن اسحاق وابن المهدي، وابو الفرج الأصفهاني، وقد عاش حتى أدرك الدولة العباسية.

٧- عطرد: مولى الأنصار، كان جميل الوجه، حسن الغناء، إلى جانب الفقه وقراءة القرآن[6]، غنى الغناء الثقيل كأستاذه معبد[7] فأعجب بغنائه الوليد بن يزيد بن عبدالملك، فشق حلة وشي كانت عليه ثم أكرمه بعد ذلك بألف دينار[8].

---

(١) الأغاني، ج٤، ص٣٩٨.
النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٩٢.

(٢) النويري: المصدر السابق، والصفحة.
ابن خرداذبة: اللهو والملاهي، ص٤١.

(٣) النويري: المصدر السابق، ص٢٩٣.
الأغاني، ج٤، ص٣٩٨.

(٤) النويري: المصدر السابق والصفحة.

(٥) ابن النديم: الفهرست، ص٢٠٧.
ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص١٨٢.

(٦) الأغاني، ج٣، ص٣٠٣.

(٧) شوقي ضيف: الشعر والغناء، ص٦٣، ٦٤.

(٨) الأغاني، ج٣، ص٣٠٤.

وعاش حتى أدرك الدولة الأموية، ويقال إنه عاش حتى أيام الرشيد[1].

كان هؤلاء ممن تفوقوا وساهموا في تطور الموسيقا والغناء، إلا أن الأصفهاني والنويري ذكرا مغنين آخرين مثل: سعد بن هارون، يزيد بن حويراء، البيدق الأنصاري، وأبوسعيد مولى قائد... وغيرهم.

مغنيات المدينة

٨- عزة الميلاء: مولاة الأنصار، وهي أقدم مغنيات المدينة، تعلمت الغناء على قينة تدعى رائقة[2]، بيد أنها كانت تقلد سيرين وزرنب والرباب[3]، ثم تعلمت الموسيقا الفارسية على يدي نشيط والعربية على يدي سائب خاثر[4] وبذلك جمعت بين القديم والحديث.

وقد ألفت ألحاناً جديدة، وأول من غنى الغناء الموقع من النساء، وأتقنت العزف على المزهر والمعازف (القانون)[5]، لقد أثرت ألحانها بأهل المدينة[6] مما أثر على تطور رسالة الموسيقى بما حرصت عليه في فنها بحيث يكون عربياً خالصاً أصيلاً على الرغم من دراستها للألحان الفارسية، أي أن التطوركان جزءاً من طبيعتها.

كان لها دار تغني فيها، وتعلم من تلاميذها ابن سريج وابن محرز.

---

(١) الأغاني، ج٣، ص٣٠٣.

(٢) فارمر: تاريخ الموسيقى العربية، ص٧٠.
محمد محمود حافظ: تاريخ الموسيقى والغناء العربي، ص٤٢.

(٣) فارمر: المرجع السابق، الصفحة.
شوقي ضيف: الشعر والغناء، ص٦٥.

(٤) الأغاني، ج٤، ص٢٤٣.
النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٤٤.

(٥) ابن خرداذبة: اللهو والملاهي، ص٣٧.

(٦) المصدر السابق والصفحة.

٩- جميلة: مولاة بني بهر من بني سليم، بينما كان زوجها من موالي بني الحارث بن الخزرج، وغلب ولاء زوجها فقيل مولاة الأنصار[١].

أخذت أصل الغناء عن سائب خاثر، ونبغت فيه حتى أصبحت أصلاً من أصوله في المدينة[٢].

كانت دارها أشبه بمعهد للموسيقا تتدرب فيه الجواري، فتدرب عندها معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وعقيلة العقيقية وخليدة ورميمة[٣].

أدخلت جميلة -ما يعرف اليوم باسم- الفرق الوسيقية (خمسين عازفاً)[٤] وحشود الفنانين، فقد ضم أحد مجالسها ابن محرز، وابن سريج، ومعبد وغيرهم في تنافس فني[٥]، فاعترف بقيمتها مؤرخو الفن بأنها أصل من أصول الغناء[٦].

كما كانت تتمتع بالأستاذية في النقد بين كبار المغنين وفحولهم بلباقة ورجاحة عقل إلى جانب الذوق الفني[٧]، حتى قيل عنها إنها "أعلم الخلق بالغناء"[٨].

وقد وضعت لبنة إبراز شخصية الفنان، وإظهار مكانته المرموقة في المجتمع،

---

(١) الأغاني، ج٨، ص١٦٨.

(٢) المصدر السابق والصفحة.

(٣) المصدر والصفحة، المكان نفسه.

(٤) الاصفهاني: تجريد الأغاني، ج١، ص٢٨٠.

(٥) محمد محمود حافظ: تاريخ الموسيقى العربية، ص٦١.

(٦) المرجع السابق، ص٦٢.

(٧) مصطفى الشكعة: رحلة الشعر، ج١، ص١٠٤.

(٨) ابن خرداذبة: اللهو والملاهي، ص٣٨.

فقد كانت لا تغني أحداً إلا في بيتها[1] ترفعاً لفنها وعزة لمكانتها.

١٠- حبابة: مولاة كانت تسمى العالية، ولما أحبها يزيد بن عبد الملك أسماها حبابة، وهي إحدى مولدات المدينة لرجل من سكانها[2] يعرف بابن رمانة. درست الغناء على سريج، وكانت تجيد العزف على العود إلى جانب الغناء[3]. اشتراها يزيد بأربعة آلاف دينار، فحمق عليه سليمان بن عبد الملك[4] وزاد تعلق يزيد بهابعد خلافته[5] لما ماتت لحقها بعد فترة قصيرة[6].

١١- سلاّمة: مولدة من مولدات المدينة، أخذت الغناء عن معبد وابن عائشة وجميلة ومالك بن أبي السمح[7] نسبت إلى القس وهو عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي الملقب بالقس لعبادته وتقواه، حيث كان بمنزلة عطاء بن أبي رياح[8].

وروي أنه مر بها وهي تغني فوقف يستمع لها، ولم يزل يلاحظها حتى شغف بها، ولما طارت سمعتها بالغناء، اشتراها يزيد بن عبد الملك في خلافة أخيه سليمان[9]، إلا أنه انتقل في حبه إلى مغنية أخرى وهي حبابة[10] التي فاقتها

---

(١) الأغاني، ج٨، ص١٦٨.
ابن خرداذبة: اللهو والملاهي، ص٣٨.

(٢) الأغاني، ج١٠، ص١٢٢.

(٣) ابن خرداذبة: اللهو والملاهي، ص٤٠.

(٤) الأغاني، ج١، ص٦٢٢.

(٥) القلقشندي: مآثر الإنافة، ج١، ص١٤٥.
الكازروني: مختصر التاريخ، ص٩٨.
ابن قتيبة: المعارف، ص١٥٩.
ابن قتيبة: المعارف، ص١٥٩.

(٦) القلقشندي: مثار الإنافة، ج١، ص١٤٦.

(٧) الأغاني، ج٨، ٣٣٤.

(٨) المصدر السابق والصفحة.
ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص١٤.

(٩) الأغاني، ج٨، ص٣٣٤.

جمالاً وقلت عنها غناء[1].

واستمرت عند يزيد حتى توفي حتى راحت والناس وراءها يبكون[2]، غنت الوليد شعرها في أبيه وعيونها دامعة[3]، وعاشت بعد الوليد ولكنها لم تعمّر.

المغنون في مكة:

١٢- ابن مسجح: سعيد بن مسجح، مولى بنيّ جمح ولد في مكة، وكان أسود[4] وهو أول من نقل الغناء الفارسي إلى الغناء العربي[5] عندما كان البناؤون الفرس يبنون الكعبة في عهد الزبير. رحل إلى الشام، فأخذ ألحان الروم[6] ثم توجه إلى فارس فأخذ غناء كثيراً ثم عاد إلى الحجاز[7].

يعتبر المؤسس الحقيقي للمدرسة العربية القديمة[8] كما أنه أول من أعد النظرية العربية للغناء[9] وأطلق عليه أستاذ المغنين المكيين[10]، فقد علم ابن

---

(١٠) الأغاني، ج٨، ص٣٤٣.

(١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢) الأغاني، ج٣، ص٢٧٦.

النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٤٠.

(٣) الأغاني، ج٣، ص٢٧٦.

(٤) المصدر السابق والصفحة.

النويري: المصدر السابق، والصفحة.

(٥) النويري: المصدر السابق والصفحة.

(٦) فارمر: مصادر الموسيقى العربية، ص٢٦.

(٧) شوقي ضيف: الشعر والغناء، ص١٩٥.

(٨) مصطفى الشكعة: رحلة الشعر، ج١، ص١٠٥.

(٩) الأغاني، ج٨، ص٣٣٤.

ابن خرداذبة: اللهو والملاهي، ص٣٨.

(١٠) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ٥٦٠.

القلقشندي: مآثر الأنافة، ج١، ص١٤٥.

الكازروني: مختصر التاريخ، ص٩٨.

ابن الطقطيقي: الفخري، ص١٣١.

محرز وابن سريج.

١٣- ابن محرز: هو أبوالخطاب، مسلم بن محرز، مولى بني عبد الدار ابن قصي، فارسي الأصل[1]، كان أبوه في خدمة الكعبة. كان يتنقل بين مكة والمدينة حيث يقيم في كل منها ثلاثة أشهر تعلم الضرب على يدي عزة الميلاء[2].

سافر إلى فارس والشام وأخذ ألحانهما وغناءهما، ثم استعمل نوقه الخاص، فأسقط مالم يستحسنه من نغم الفريقين، فقدم لمستمعيه مالم يسمعوه من قبل[3].

التقى بالمغني حنين الحيري[4] فدفع له مبلغ ألف دينار وأعاده إلى الحجاز خوفاً على مكانته عند أهل العراق. وكانت ألحانه تمتاز بأسلوب فريد ولا نظير لها في ذلك العصر، فهو أول من أنشد رملاً فارسياً، وأول من غنى على إيقاع الرمل، وهو صاحب الاختراع الأول بزوج من الترانيم الشعرية[5] وقد أطلق عليه صناج العرب لجمال صوته وحسن أدائه. ومات في آخر حياته بالجذام.

١٤- ابن سريج: هو أبويحيى، عبيد بن سريج، مولى بني نوفل ابن عبد

---

(١) الأغاني، ج١، ص٣٧٨.
النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٨٧.

(٢) النويري: المصدر والصفحة.

(٣) النويري: المصدر والصفحة.

(٤) الأغاني، ج١، ص٣٧٩.

(٥) محمد محمود سالم: تاريخ الموسيقى والغناء العربي، ص٥٨، ٥٩.

مناف،كان آدم أحمر، خفيف العارضين في عينيه حول[1]. أخذ الغناء عن نشيط، وابن مسجح وكان منقطعاً لعبد الله بن جعفر[2]

أول من ضرب بالعود على الغناءالعربي بمكة، فقد رآه مع بناة الكعبة من الفرس في عهد ابن الزبير[3] كما أتقن النقربالدف وكان ينظر إلى الغناء كمهنة رفيعة تخضع لأسلوب عميق في التعبير اللحني، وتشييع الألفاظ في قالب جميل بديع، مع مراعاة التنويع في الضروب والأوزان، وكان يهتم بتطويل الأنغام، وتفخيم الألفاظ في أسلوب مرتجل جميل[4].

ويعد ابن سريج أحد أركان الغناء الأربعة في عهد بني أمية (مع ابن محرز، ومعبد، ومالك). أحب الناس غناءه، وأعجبوا به بالرغم من أنه كان يغني مقنعاً[5].

غنى يزيد بن عبد الملك فكافأه بحلته وخاتمه ودفعهما إليه[6] كما كانت تربطه علاقة وطيدة مع الشاعد عمر بن أبي ربيعة، وله الفضل في تعلم كل من عبد الملك (مملوك سكينة بنت الحسين) والغريض، وحبابة[7] وابنه زوج سعيد بن مسعود الهذلي[8].

---

(١) الأغاني، ج١، ص٢٤٨.
النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٤٩.
ولد في خلافة عمر بن الخطاب ومات في خلافة هشام
الأغاني، المصدر والصفحة.

(٢) الأغاني، المصدر والصفحة.
النويري، المصدر والصفحة.

(٣) الأغاني، ج١، ص٢٤٩.

(٤) محمد محمود حافظ: تاريخ الموسيقى والغناء العربي، ص٤١.

(٥) الأغاني، ج٢، ص٣٧٩.

(٦) المصدر السابق، ص٣٨١.

(٧) المصدر السابق، ص٣٧٩.

(٨) المصدر السابق، ص٣٩١.

١٥- الفريض: أبو مروان عبد الملك[١] كان مولداً من مولدي البربر وهو مولى الثريا بنت علي بن عبدالله (صاحبة عمر بن أبي ربيعة[٢]) تعلم الغناء على يدي ابن سريج، فحسده لجماله فطرده[٣].

تعلم النواح من مولياته[٤]، كما أخذ ألحان الرهبان من الأديرة، وسكب عليه شعراً عربياً، فهو الذي أوجد الغناء المأتمي[٥].

أمضى غناءه معارضاً لأستاذه، كما غنى يزيد بن عبد الملك[٦] وعاتكة بنت يزيد[٧] (زوجة عبد الملك) وعائشة بنت طلحة[٨]..

١٦- حكم الوادي: فارسي الأصل، كان حاذقاً يغني بالدف مرتجلاً[٩] وكان في صحبة الوليد بن يزيد يغني شعره[١٠].

١٧- الأبجر: عبدالله بن القاسم، مولى بني كنانة[١١]، وكان حسن الهيئة والبزة، يعتني بملابسه ومظهره، فكانت حلته بمائة دينار، وفرسه بمائة، ومركبه بمائة[١٢].

---

(١) الأغاني، ج٣، ص٣٥٩، لقب الغريض لأنه كان نضر الوجه غض الشباب حسن النظر. (الغريض = الطري العود).

(٢) المصدر السابق، ج١، ص١٢٢، ٢، ٣٥٩.

(٣) المصدر والصفحة.

النويري: نهاية الأرب، ج٤، ٢٦٧

(٤) الأغاني، ج١، ص٢١١.

(٥) نسيب الاختيار: الفن الغنائي عند العرب، ص٢٦.

(٦) الأغاني، ج٢، ص٣٨٢.

(٧) الأغاني، ج٣، ص٣٢٣

النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٧٢.

(٨) النويري: المصدر السابق، ص٢٧٠.

(٩) النويري: المصدر السابق، ص٣٠٥.

(١٠) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ٢٧.

(١١) الأغاني، ج٣، ص٣٤٤.

ابن خرداذبة: اللهو والملاهي، ص٤٤.

(١٢) الأغاني، ج٣، ص٣٤٥

أخذ الغناء عن الغريض[1] غنى الوليد بن يزيد فأعطاه جوائز قيمة[2]، كان صوته حسناً يغني في مواسم الحج فيحبس الحجاج عن مناسكهم[3]. لزم الوليد حتى مات فخرج إلى مصر ومات فيها.

المغنون في العراق والشام:

١٨- حنين: هو حنين بن بلوع الحيري، كان شاعراً ومغنياً فحلاً يسكن الحيرة، وكان نصرانياً[4]. أول من تناول أغنية عربية من نوع السناد، بينما كان من قبله يغنون الهزج الذي يقرب النصب، وبذلك أسهم في تطور أصول وقواعد الغناء على أصول جديدة[5] وكان قد أخذ الغناء عن حكم الوادي[6]، غنى هشام بن أبي عبدالملك، وبشر بن مروان في الكوفة[7].

١٩- سلاّمة الزرقاء: تلميذة جميلة، تعلمت على يديها أصول الغناء[8]، اشتراها ابن رامين[9] ومعها رقية وسعدة، فجعل بذلك منزله مكاناً يلتقي فيه عشاق الغناء في الكوفة، وبخاصة أهل الوجاهة والفكر كمعن بن زائدة، وروح بن حاتم، وابن المقفع[10].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٤٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٤٥.

ابن خرداذبة: اللهو والملاهي، ص٤٤.

(٤) الأغاني، ج٢، ص٣٤١.

(٥) محمد محمود حافظ: تاريخ الموسيقى والغناء العربي، ص٤٢.

فارمر: تاريخ الموسيقى، ص١٨.

(٦) نسيب الاختيار: الفن والغناء، ص٣٢، ٣٣.

(٧) الأغاني، ج٢، ص٣٤٩.

(٨) الأغاني، ج٨، ص٢٠٨.

(٩) الأغاني، ج١٠، ص١٣٥.

(١٠) الأغاني، ج١٢، ١٣٢.

وهناك المغنية سعاد[1] التي كانت في الكوفة والتي سمعها الوليد بن يزيد الذي أعجب بها فاشتراها.

كما وجد في البصرة مغن عرف بخليلان الأموي، وكان يعزف على العود ويغني غناءً جيداً، غنى إلى عقبة بن سلم الهنائي[2].

وعرف في اليمن نجم بن طنبورة، وكان من أهزج الناس وأخفهم غناءً[3].

واشتهر في الشام الغزيل[4] ويكنى أبا كامل، الذي غنى الوليد ابن يزيد، وكان الوليد شديد التعلق به لا يستطيع الاستغناء عنه.

ووجد في الحجاز عدد من المغنين بجانب من سبق ذكر أسمائهم، منهم: هشام بن سليمان[5] مولى بني أمية الذي قدم على الوليد، وابن جامع[6] الذي كان يتكسب بغنائه فيعود بالمال الوفير، وعروة ابن أذنية[7] الذي كان ثقة في الحديث ويصوغ الألحان. والدلال[8] وهو مولى بني فهم الذي غنى نائلة بنت عمار الكلبي. وقند[9] المولى الذي كانت تستظرفه عائشة أم المؤمنين. وسعيد بن الهريذ[10] مولى آل الزبير بن العوام. علوية المغنى ومخارق[11].

---

(١) ابن واصل الحموي: تجريد الأغاني للأصفهاني، ج٢، ص٨٠.

(٢) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج١، ص٣٩١.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص٢٧.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ٢٨.

(٥) الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص١٥٢.

(٦) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١٠، ص٩١.

(٧) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص١٤.
النويري: نهاية الأرب، ج٤، ص٢٩٨

(٨) تجريد الأغاني، ج٢، ص٥٥٥.

(٩) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ٣١.

(١٠) تجريد الأغاني، ج١٠، ص٨٢٦.

(١١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٩٢.

المخطوطات

١- البياسي "يوسف بن محمد البياسي" توفي سنة ٦٥٤ هـ=١٢٥٦م..

الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام -جزآن.

مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٣٩٩، تاريخ.

٢- ابن طولون "شمس الدين بن محمد بن طولون" توفي سنة ٩٥٣ هـ=١٥٤٦م.

قيد الشريد في أخبار يزيد.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٣٢، تاريخ.

٣- ابن سلمة النحوي "أبوطالب المفضل بن سلمة النحوي اللغوي".

توفي سنة ٣٦٠هـ.

كتاب العود والملاهي وأسمائها.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣٣، فنون جميلة.

٤- السيوطي "جلال الدين السيوطي" المتوفى سنة ٩١١هـ.

أزهار العروش في أخبار الجيوش.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٦٤، تاريخ. عن نسخة الأسكوريال.

٥- ابن عساكر "فقه الدين أبو القاسم علي بن محمد الدمشقي ٤٩٩-٥٧٥١هـ.

تاريخ دمشق (وقف أسعدباشا العظم).

مخطوط بدار الكتب الظاهرية ٢٣٨٤-٢٣٩١.

المصادر

الأبشيهي "محمد بن أحمد بن منصور" توفي سنة ٨٥٠ هـ=١٤٤٦م.

١- المستطرف في كل فن مستظرف: جزآن، بيروت، دار الفكر بلا تاريخ.

ابن الأثير "علي بن أبي الكرم بن محمد بن محمد عبد الكريم ابن الواحد الشيباني، توفي سنة ٦٣٠هـ= ١٢٣٣م.

٢- الكامل في التاريخ، ١٣ جزء: بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٦٧.

٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٧ أجزاء. تحقيق محمد البنا ومحد عاشور ومحمد فايد، القاهرة، كتاب الشعب سنة ١٩٧٠م.

ابن آدم القرشي: يحيى. توفي سنة ٢٠٣هـ=٨١٨م.

٤- الخراج: تحقيق أحمد محمد شاكر: بيروت دار المعرفة ١٩٧٩م.

الدينوري "أبو حنيفة" أحمد بن داوود. توفي سنة ٢٨٢هـ=٨٩٥م.

٥- الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر.

القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد، سنة ١٩٦٠م.

الأزرقي "أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد".

توفي سنة ٢٤٤هـ=٨٥٨م.

٦- أخبار مكة: جزآن في مجلد: تحقيق رشدي الصالح ملحس، بيروت، دار الأندلس، ط٣، سنة ١٩٦٩.

الأشعري "أبو الحسن علي بن اسماعيل" توفي سنة ٣٣٠هـ=٩٤١م.

٧- مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين، جزآن، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد: القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٥٠.

الأصفهاني "أبوالفرج، علي بن الحسين"
توفي سنة ٣٥٦هـ=٩٦٩م.
٨- الأغاني: ٢٤ مجلداً، بيروت. مؤسسة جمال‌سنة ١٩٨٠م.
صورة بالأفست عن طبعة دار الكتب.
٩- مقاتل الطالبيين: تحقيق السيد صقر، بيروت دار المعرفة، بلا تاريخ.
الاصطخري "إبراهيم بن محمد الفارسي" توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري.
١٠- المسالك والممالك: تحقيق د. محمد عبد العال، مراجعة: محمد شفيق غربال.
القاهرة – وزارة الثقافة والإرشاد سنة ١٩٦١م.
الأعشى "ميمون بن قيس بن جندل"
١١- ديوان الأعشى: شرح إبراهيم جزيني، بيروت.
دار الكتاب اللبناني سنة ١٩٦٨.
ابن الأكفاني: محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري البخاري. توفي سنة ٧٤٩.
١٢- نخب الذخائر في أحوال الجواهر: تحقيق أنسطاس الكرمي.
القاهرة: المطبعة المصرية، سنة ١٩٣٩م.
البخاري: أبو عبدالله محمد بن اسماعيل.
١٣- التاريخ الصغير، جزآن – تحقيق: محمود زايد.
حلب: دار الوعي، القاهرة: دار التراث سنة ١٩٧٧م.
ابن بطوطة: أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد إبراهيم الطنجي.
١٤- رحلة ابن بطوطة: بيروت، دار التراث، سنة ١٩٦٣م.
البغدادي: عبد القادر عمر. توفي سنة ١٠٩٣هـ=١٦٨٢م.

١٥- خزانة الأدب: أربعة أجزاء، بيروت: دار صادر، بلا تاريخ.

البغدادي: عبد القاهربن طاهر بن محمد الإسفراييني التميمي.

توفي سنة ٤٢٩هـ= ١٠٣٧م.

١٦- الفرق بين الفرق: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

بيروت: دار المعرفة، بلا تاريخ.

البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر. توفي سنة ٢٧٩هـ= ٨٩٢م.

١٧- فتوح البلدان: تحقيق عبدالله وعمر الطباع.

دار النشرر للجامعيين - سنة ١٩٥٧م.

١٨- أنساب الأشراف: الجزء الرابع: تحقيق: ماكس - كلوسنجر، القدس، سنة ١٩٣١م.

الجزء الخامس: تحقيق جوتنيه، القدس، سنة ١٩٣٦م.

وقد صدر هذان الجزآن في مجلد بتحقيق. إحسان عباس.

القسم الرابع: الجزء الأول فيسبادن فرانسيس شتانز.

البيضاوي: ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن الشيرازي.

١٩- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: خمسة أجزاء، بيروت: مؤسسة شعبان، بلا تاريخ، صوّر عن نسخة دار الكتب العربية الكبرى سنة ١٣٣٠هـ.

البيهقي: إبراهيم بن محمد. توفي سنة ٣٢٠هـ.

٢٠- المحاسن والمساوئ: بيروت، دار صادر، سنة ١٩٦١م.

ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتباكي. توفي سنة ٨٧٤هـ.

٢١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ٤ أجزاء، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، سنة ١٩٦٤م.

ابن تيمية: تقي الدين.

٢٢- السياسية الشرعية في صلاح الراعي والرعية. القاهرة: دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٦٩م.

الثعالي: أبو منصور.

٢٣- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. جزآن، تحقيق أيليا حاوي، بيروت: الشركة الشرقية سنة ١٩٧١م.

الجاحظ: عمرو بن بحر. توفي سنة ٢٥٥هـ=٨٦٨م.

٢٤- البيان والتبيين: ٤ أجزاء، بيروت: دار الفكر للجميع ١٩٥٤م.

٢٥- المحاسن والأضداد: بيروت مكتبة العرفان، بلا تاريخ.

٢٦- التاج في أخلاق الملوك: تحقيق فوزي عطوي، بيروت: الشركة الصناعية سنة ١٩٧٠م.

٢٧- التربيع والتدوير: تحقيق فوز عطوي.

بيروت الشركة اللبنانية، سنة ١٩٦٩م.

٢٨- الحيوان: ٧ أجزاء، تحقيق فوزي عطيوي.

بيروت، مكتبة الطلاب والكتاب، سنة ١٩٦٨م.

٢٩- التبصّر بالتجارة: تصحيح حسن حسني عبد الوهاب.

القاهرة، مكتبة الخانجي، طبعة ٢، سنة ١٩٣٥م.

٣٠- رسائل الجاحظ: نشر بعناية محمد الساسي المغربي.

القاهرة، مطبعة التقدم، سنة ١٩٢٤م.

ابن الجراح: أبو عبدالله محمد بن داوود. توفي سنة ٢٩٦هـ.

٣١- الورقة: تحقيق د. عبد الوهاب عزام، عبد القادر أحمد فراج.

القهرة، دار المعارف، سنة ١٩٥٣م.

ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد.

توفي سنة ٨٣٣هـ.

٣٢- غاية النهاية في طبقات القراء، جزآن، تحقيق ج. برجستراسر بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٠م.

جرير والفرزدق:

٣٣- النقائض: ثلاثة أجزاء، ليدن سنة ١٩٠٥م.

جرير: جرير بن عطية الخطفي.

٣٤- ديوان جرير: جمع وشرح محمد بن اسماعيل الصاوي.

بيروت، د ار الأندلس، بلا تاريخ.

الجهشياري: محمد بن عبدوس الكوفي. توفي سنة ٣٣١هـ=٩٤٢م.

٣٥- كتاب الوزراء والكتاب: تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ الشلبي.

القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٩٣٨م.

ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. توفي سنة ٥٥٠هـ.

٣٦- تاريخ عمر بن الخطاب: تحقيق أسامة عبد الكريم الرفاعي.

دمشق، دار إحياء علوم الدين، سنة ١٣٩٤هـ.

ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرج. توفي سنة ٥٩٧هـ=١٢٠٠م.

٣٧- صفوة الصفوة، أربعة أجزاء، تحقيق محمود فاخوري. حلب، داز الوعي، ج١، ج٢ سنة ١٩٧٠، ج٣، ج٤ سنة١٩٧٣م.

تلبيس إبليس: بيروت، دار الكتب العلمية، بلا تاريخ.

ابن حبيب: أبو جعفر، محمد بن حبيب البغدادي.

توفي سنة ٢٤٥هـ= ٨٥٩م.

٣٨- المحبر: تحقيق د. أيلزه ليمنتين شتينر.

بيروت، المكتبة التجارية، بلا تاريخ.

عن صورة: وزارة المعارف العثمانية، سنة ١٣٦١هـ.

الحصني: تقي الدين أبو بكر محمد الحسيني الحصني الدمشقي الشافعي.
٣٩- كفاية الأخبار: جزآن، بيروت، دار المعرفة. الطبعة الثانية، بلا تاريخ.
ابن حوقل: محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي.
توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري.
٤٠- صورة الأرض: بيروت، دار الحياة، سنة ١٩٧٩م.
ابن حجر: شهاب الدين بن أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني. توفي سنة ٨٥٢هـ.
٤١- الإصابة في تمييز الصحابة، أربعة أجزاء.
٤٢- وبهامشه كتاب "الاستيعاب في أسماء الأصحاب" لأبي عمر بن يوسف ابن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عاصم النمري. توفي سنة ٤٦٢ هـ. بيروت، دار الفكر سنة ١٩٧٨.
ابن خرداذبة: عبدالله بن أحمد. توفي سنة ٢٩٠هـ.
٤٣- كتاب اللهو والملاهي: تحقيق الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي بيروت، دار المشرق، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٩م.
٤٤- المسالك والممالك: تحقيق، م.ج. دي جورج بريل، سنة ١٨٨٩م.
الخطيب البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت.
توفي سنة ٤٦٣هـ=١٠٧١م.
٤٥- الكفاية في علم الرواية: بيروت، المكتبة العلمية، بلا تاريخ.
٤٦- الفقيه والمتفقه: تصحيح وتعليق إسماعيل الأنصاري. بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٠م.
٤٧- تاريخ بغداد: ١٤ جزء، بيروت، دار الكتاب العربي.
ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، توفي سنة ٨٠٦هـ=١٤٠٦م.
٤٨- المقدمة: القاهرة المكتبة التجارية الكبرى، بلا تاريخ.

٤٩- تاريخ ابن خلدون "سبعة أجزاء" بيروت مؤسسة الأعظمي سنة ١٩٧١.

ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر.

توفي سنة ٦٨١هـ=١٢٨١م.

٥٠- وفيات الأعيان وأبناء الزمان، سبعة أجزاء، تحقيق د. إحسان عباس: بيروت دار صادر ١٩٦٩/١٩٧٠.

ابن خياط: خليفة بن خياط العصفري البصري.

توفي سنة ٢٤٠هـ=٨٥٤م.

٥١- كتاب الطبقات: وهو قسمان في جلدين. تحقيق د. سهيل زكار. دمشق وزارة الثقافة والسياحة، سنة ١٩٦٧م.

ابن دريد: محمد بن الحسن. توفي سنة ٣٢١هـ=٩٣٢م.

٥٢- الاشتقاق: تحقيق عبد السلام محمد بن هارون. القاهرة مؤسسة الخانجي، سنة ١٩٥٨.

ابن دقماق: إبراهيم بن محمد بن أيدقر العلائي.

٥٣- الانتصار بواسطة عقد الأمصار، جزآن في مجلد، تحقيق فوليزر، بيروت: المكتب التجاري، بلا تاريخ.

الدمشقي: أبو الفضل جعفر بن علي. من علماء القرن السادس الهجري.

٥٤- الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق البشرى الثوريجي، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، سنة ١٩٧٧.

الدميري: كمال الدين.

٥٥- حياة الحيوان الكبرى، جزآن في مجلد. القاهرة، المكتبة الإسلامية، لصاحبها الحاج رياض الشيخ، بلا تاريخ.

الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داوود. المتوفى سنة ٢٨٢هـ.

٥٦- الأخبار الطوال: تحقيق، عبد المنعم عامر، مراجعة د. جمال الدين الشيال، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سنة ١٩٦٠م.

الذهبي: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان.

توفي سنة ٧٤٨هـ=١٣٤٨م.

٥٧- دول الإسلام. جزآن في مجلد، تحقيق: فهمي شلتوت، محمد مصطفى إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، سنة ١٩٧٤.

٥٨- تذكرة الحفاظ: أربعة أجزاء من مجلدين عدا الذيل. بيروت: دار إحياء التراث. عن نسخة دائرة المعارف العثمانية سنة ١٩٥٦، ١٩٥٨.

٥٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: أربعة أجزاء. تحقيق: علي محمد البجاوي، بيوت دار المعرفة، سنة ١٩٦٣م.

الرازي: محمد بن بكر.

٦٠- مختار الصحاح: دمشق، طبع على نفقة عزة القصيبي، طبعة ثامنة، بلا تاريخ.

الرامهرمزي: الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى أبو هاشم. من أئمة اليمن. توفي سنة ٤٢٦هـ.

٦١- المحدث الفاضل بين الراوي والواعي: تحقيق. محمد عجاج الخطيب، بيروت، دار الفكر -سنة ١٩٧١.

ابن رجب الحنبلي: عبد الرحمن بن محمد. توفي سنة ٧٩٥هـ.

٦٢- الاستخراج لأحكام الخراج: صححه وعلق عليه السيد عبدالله الصديق، بيروت، دار المعرفة - سنة ١٩٧٩م.

ابن رسته: أحمد بن عمر. توفي حوالي ٣١٠هـ=٩٢٢م.

٦٣- الأعلاق النفيسة: ليدن طبعة برايل سنة ١٨٩١م.

ابن رشيق: الحسن بن رشيق. توفي سنة ٤٥٦هـ.

٦٤- العمدة في محاسن الشعر، جزآن، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: المكتبة التجارية، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٣.

ابن سعد: محمد بن سعد. توفي سنة ٢٣٠هـ=٨٤م.

٦٥- الطبقات الكبرى: ثمانية أجزاء، القاهرة: دار التحرير، سنة ١٩٦٨م.

ابن سلام: أبو عبيد القاسم بن سلام. توفي سنة ٢٢٤هـ= ٨٣٦م.

٦٦- كتاب الأموال: تحقيق محمد خليل هراس. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر.

توفي سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م.

٦٧- شارع الخلفاء: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة المكتبة التجارية، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩م.

٦٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. بيروت، دار المعرفة بلا تاريخ.

ابن شاكر الكتبي: محمد بن شاكر الكتبي.

توفي سنة ٧٦٤هـ=١٣٦٣م.

٦٩- فوات الوفيات: جزآن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٥١م.

ابن شداد: عز الدين ابي عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم الحلبي. توفي سنة ٦٨٤هـ=١٢٨٨م.

٧٠- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة: تحقيق سامي الدهان. القسم الخاص بفلسطين وشرق الأردن. دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، سنة ١٩٦٢م.

الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد.

توفي سنة ٥٨٤هـ=١١٥٢م.

٧١- الملل والنحل: جزأن، تحقيق محمد رشيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٥م.

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد. توفي سنة ١٢٥٥هـ.

٧٢- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار: تسعة أجزاء، بيروت، دار الجيل، سنة ١٩٧٣م.

ابن الصلاح: أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهرزادي.

توفي سنة ٥٦٣هـ.

٧٣- علوم الحديث: تحقيق د. نور الدين عتر. المدينة المنورة، المكتبة العلمية، طبعة ٢، سنة ١٩٧٢م.

٧٤- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث. بيروت: دار الكتب العلمية، سنة ١٩٧٣م.

الطبري: محمد بن جرير. توفي سنة ٣١٠هـ=٩٢٣م.

٧٥- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) تحقيق: محمد أبو الفضل القاهرة: دار المعارف، ج١، سنة ١٩٦٠، ج٢، سنة ١٩٦١، ج٣ سنة ١٩٦٢، ج٤، ٥ سنة ١٩٦٣، ج٦ سنة ١٩٦٤، ج٧، سنة ١٩٦٦، ج٨ سنة ١٩٦٧، ج٩ سنة ١٩٦٨.

ابن طباطبا: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي.

توفي سنة ٧٠٩هـ=١٣٠٩م.

٧٦- تاريخ الدولة الإسلامية "الفخري".

بيروت: دار صادر- دار بيروت سنة ١٩٦٠م.

ابن عبد الحكم: أبو محمد بن عبد الحكم.

توفي سنة ٢١٤هـ=٨٢٩م.

٧٧- سيرة عمر بن عبد العزيز. تصحيح وتعليق أحمد عبيد.
بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٦٧.
ابن عبد ربه: أحمد بن عبد ربه الأندلسي.
توفي سنة ٣٢٨هـ=٩٤٠م.
٧٨- العقد الفريد. ثمانية أجزاء، تحقيق: محمد سعيد العريان،
بيروت: دار الفكر- سنة ١٩٥٤م.
ابن العربي: أبو بكر العربي. توفي سنة ٥٤٣هـ.
٧٩- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة. تحقيق: محب الدين الخطيب. القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، طبعة٢، سنة ١٣٧٥هـ.
عمر بن أبي ربيعة:
٨٠- ديوان عمر بن أبي ربيعة، جزآن، تحقيق: فوزي عطيوي.
بيروت الشركة اللبنانية، سنة ١٩٧١م.
الغزالي: أبو حامد، محمد. توفي سنة ٥٠٥هـ.
٨١- كتاب الأربعين في أصول الدين.
القاهرة: مكتبة الجندي، سنة ١٩٦٥م.
أبو الفداء: عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر.
توفي سنة ٧٣٢هـ=١٣٣١م.
٨٢- تقويم البلدان: تصحيح رينود جاك كوكين ديلاق.
باريس دار الطباعة السلطانية، سنة ١٨١٥م.
٨٣- المختصر في أخبار البشر. أبربعة أجزاء في مجلدين، بيروت: دار المعرفة، سنة ١٩٥٦م.
الفيروزأبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب. توفي سنة ٨١٧هـ.

٨٤- القاموس المحيط: أربعة أجزاء.
بيروت - دار الجيل، مصور نسخة مكتبة مصطفى الحلبي سنة ١٩٥٢.
قدامة: أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي.
توفي سنة ٣٢٠هـ.
- نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، ليدن، سنة ١٨٨٩م.
ابن القيسراني: محمد بن طاير بن علي بن أحمد بن أبي الحسن الشيباني.
٨٥- كتاب السماع: تحقيق أبو الوفاء المراغي.
القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي - سنة ١٩٧٠م.
القالي: إسماعيل بن القاسم.
٨٦- الأمالي: جزآن، بيروت -المكتب الإسلامي، بلا تاريخ.
ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.
توفي سنة ٢٧٦هـ=٨٨٩م.
٨٧- الإمامة والسياسة: جزآن، القاهرة - مكتبة مصطفى الحلبي، طبعة ٣ سنة ١٩٦٣م.
٨٨- المعارف: صححه وعلق عليه: محمد اسماعيل العبادي، بيروت: دار إحياء التراث، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٠م.
٨٩- عيون الأخبار: عشرة أجزاء (٤ مجلدات).
بيروت: دار إحياء التراث، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٣م.
٩٠- الشعر والشعراء: ليدن، مطبعة برايل، سنة ١٩٠٢م.
٩١- كتاب العرب أو الرد على الشعوبية: نشر محمد كرد علي.
ضمن رسائل البلغاء، القاهرة - مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩١٣.
القزويني: زكريا بن محمد بن محمود. توفي سنة ٦٨٢هـ.

٩٢- آثار البلاد وأخبار العباد: بيروت - دار صادر، بلا تاريخ.
القلقشندي: أحمد بن عبدالله. توفي سنة ٨٢١هـ= ١٤١٨م.
٩٣- مآثر الإنافة في معالم الخلافة: ثلاثة أجزاء.
تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الكويت - وزارة الإرشاد، سنة ١٩٦٤م.
القيرواني: إبراهيم بن علي الحصري. توفي سنة ٤٥٣هـ.
٩٤- زهرة الآداب وثمرة الألباب، أربعة أجزاء.
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت - دار الجيل، سنة ١٩٧٢م.
ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر.
توفي سنة ٧٥١هـ.
٩٥- أعلام الموقعين عن رب العالمين: أربعة أجزاء.
مراجعة طه عبد الرؤوف سعد. بيروت - دار الجيل، سنة ١٩٧٣م.
الكاتب: أحمد بن يوسف. توفي سنة ٣٣٠هـ.
٩٦- المكافأة: ضبطه وصححه أحمد أمين وعلي الجارم.
القاهرة - المطبعة الأميرية، سنة ١٩٤١م.
الكاتب: عبد الحميد.
٩٧- رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب.
٩٨- رسالة عبد الحميد إلى ولي العهد.
نشره محمد كرد علي ضمن رسائل البلغاء. القاهرة - مصطفى الحلبي، سنة ١٩١٣م.
ابن الكازروني: ظهير الدين علي بن محمد البغدادي.
توفي سنة ٦٩٧هـ.
٩٩- مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس.
تحقيق: د. مصطفى جواد، بغداد - وزارة الإعلام، سنة ١٩٧٠م.

ابن كثير: عماد الدين اسماعيل عمر بن كثير القرشي الدمشقي.
توفي سنة ٧٧٤هـ=١٣٧٣م.
١٠٠-البداية والنهاية: ١٤ جزء، بيروت - مكتبة المعارف، سنة ١٩٦٦م.
١٠١-الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث. بيروت - دار الفكر، بلا تاريخ.
الماوردي: علي بن محمد بن حبيب البغدادي البصري.
توفي سنة ٤٥٠هـ=١٠٥٨م.
١٠٢-الأحكام السلطانية. بيروت - دار الكتب العلمية سنة ١٩٧٨.
مجير الدين: عبد الرحمن بن محمد بن عبد محمد العليمي المقدسي الحنبلي. توفي سنة ٩٢٨هـ.
١٠٣-الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل. جزآن.
بيروت - دار الجيل، سنة ١٩٧٣م.
المبرد: محمد بن يزيد النحوي. توفي سنة ٢٨٥هـ= ٨٩٨م.
١٠٤-الكامل في اللغة والأدب، جزآن.
بيروت - مكتبة المعارف، بلا تاريخ.
أبو مخرمة: عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد.
توفي سنة ٨٤٤هـ.
١٠٥-تاريخ ثغر عدن. ليدن، مطبعة برايل، سنة ١٩٣٩م.
المرتضى: علي بن الحسين الموسوي العلوي. توفي سنة ٤٣٦هـ.
١٠٦-أمالي المرتضى. جزآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
بيروت -دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٧م.
المسعودي: علي بن الحسين بن علي. توفي سنة ٣٤٦هـ.
١٠٧-مروج الذهب ومعادن الجوهر. أربعة أجزاء في مجلدين.
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة - المكتبة التجارية، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٥٨م.

١٠٨-التنبيه والإشراف. بيروت -د ار التراث، سنة ١٩٦٨م.

مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد. توفي سنة ٤٤٨هـ.

١٠٩-تجارب الأمم. أربعة أجزاء في مجلدين، تحقيق: امدورز، القاهرة - شركة التمدن الصناعية، مجلد ١ سنة ١٩١٤، مجلد ٢، سنة ١٩١٦.

المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي. توفي سنة ٨٤٥هـ.

١١٠-إغاثة الأمة بكشف الغمة. تحقيق: محمد مصطفى زيادة، جمال الشيال، القاهرة - لجنة التأليف والترجمة، سنة ١٩٤٠م.

١١١-خطط المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. جزآن بيروت - دار صادر، بلا تاريخ.

ابن المقفع: عبدالله بن المقفع.

توفي في القرن الرابع الهجري.

١١٢-الدرر اليتيمة. نشره محمد كرد علي ضمن رسائل البلغاء.

القاهرة - مصطفى الحلبي، سنة ١٩١٣م.

المقدسي: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبو بكر البشايري.

توفي سنة ٣٧٥هـ.

١١٣-أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تحقيق: دي جورج.

مطبعة برايل، ليدن، سنة ١٩٠٦م.

ابن منظور: جمال الدين بن محمد بن مكرم.

توفي سنة ٧١١هـ=١٣١١م.

١١٤-لسان العرب. أربعة أجزاء، تصنيف (هجائي) يوسف خياط ونديم مرعشلي، بيروت -دار لسان العر، سنة ١٩٨٠م.

مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري:

١١٥-أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده. تحقيق: د. عبد العزيز الدوري، وعبد الجبار المطلبي، بيروت -دار الطليعة، سنة ١٩٧١م.

مؤلف مجهول:

١١٦-العيون والحدائق في أخبار الحقائق. يشمل ١٩٨-٢٥١هـ.

الجزء الثالث، تحقيق دي جوج، برايل، سنة ١٨٧١م.

الميداني: أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري.

توفي سنة ٥١٨هـ=١١٢٤م.

١١٧-مجمع الأمثال. جزآن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

القاهرة - مطبعة السنة المحمدية، سنة ١٩٥٥م.

ابن النديم: محمد بن اسحق كنيتة أبو الفرج.

توفي سنة ٢٣٥هـ=٨٤٩م.

١١٨-الفهرست. بيروت - دار المعرفة، سنة ١٩٧٨م.

النرشخي: أبو بكر محمد بن جعفر. توفي سنة ٣٤٨=٩٥٩م.

١١٩-تاريخ بخارى. عربه عن الفارسية د. أمين بدوي، نصر الله الطرزي.

القاهرة - دار المعرفة، سنة ١٩٦٥م.

النسفي: عبدالله بن أحمد بن محمود.

١٢٠-تفسير النسفي "مدارك التنزيل في حقائق التأويل".

أربعة أجزاء، بيروت - دار الكتاب العربي، بلا تاريخ.

النويري: شهاب الدين ين أحمد بن عبد الوهاب.

توفي سنة ٧٣٢هـ=١٣٣١م.

١٢١-نهاية الأرب في فنون الأدب، ١٨ جزء.

القاهرة - دار الكتب المصرية، سنة ١٩٥٥م.

النيسابوري: الحاكم أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ.

توفي سنة ٤٠٥هـ.

١٢٢-معرفة علوم الحديث. صححه وعلق عليه د. السيد معظم حسين.
المدينة المنورة – المكتبة العلمية، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٧م.
ابن هشام: عبد الملك بن هشام. توفي سنة ١٤١هـ=٧٥٨م.
١٢٣-السيرة النبوية. أربعة أجزاء.
تحقيق: مصطفى السقا وابرهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي.
القاهرة – مصطفى الحلبي، سنة ١٩٣٦م.
ابن هارون الخلال: أبو بكر أحمد بن محمد. توفي سنة ٣٣١هـ.
١٢٤-الحث على التجارة والصناعة والعمل.
دمشق – مكتبة القدسي، سنة ١٣٤٨هـ.
ابن واصل الحموي: محمد بن سالم. توفي سنة ٦٩٧هـ.
١٢٥-تجريد الأغاني للأصفهاني. في ستة أجزاء.
تحقيق: طه حسين وابراهيم الأبياري.
القاهرة – كتاب التحرير، سنة ١٩٦٣م.
ياقوت: شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي.
توفي سنة ٦٢٦هـ–١٢٢٩م.
١٢٦-معجم الأدباء. ستة أجزاء، تحقيق: د. س مرجيليوث.
القاهرة – مطبعة هندية بالموسكي، طبعة٢، ١٩٢٣–١٩٣٠.
ج١ سنة ١٩٢٣، ج٢ سنة ١٩٢٤، ج٣، ج٤ سنة ١٩٢٧، ج٥ سنة ١٩٢٨، ج٦ ١٩٣٠.
١٢٧-معجم البلدان. خمسة مجلدات.
بيروت – دار الكتاب العربي، سنة ١٩٨٠م.
اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر.
توفي سنة ٢٨٤هـ=٧٩٨م.

١٢٨-تاريخ اليعقوبي. مجلدان.

بيروت - دار صادر، دار بيروت سنة ١٩٦٠م.

١٢٩-كتاب البلدان. ليدن، مطبعة برايل، سنة ١٨٩١م.

أبو يوسف: القاضي يعقوب بن ابراهيم.

توفي سنة ١٨٢هـ=٧٩٨م.

١٣٠-الخراج. القاهرة - المكتبة السلطانية، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٨٢هـ.

المراجع

ابرهيم: د. نجيب ميخائيل.

١- مصر والشرق الأدنى القديم.

حضارات الشرق القديم: العراق، فارس. الجزء السادس.

القاهرة - دار المعارف، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٧.

٢- أبيض: د. ملكة.

٢- التربية والثقافة العربية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى.

بيروت - دار العلم للملايين، سنة ١٩٨٠م.

الاختيار: نسيب.

٣- الفن الغنائي عند العرب.

بيروت -د ار بيروت للطباعة، سنة ١٩٥٥م.

أدهم: علي.

٤- بعض مؤرخي الإسلام. بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، سنة ١٩٧٤م.

أرنولد: توماس.

٥- الدعوة إلى الإسلام. ترجمة حسن ابراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، اسماعيل النحراوي. القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧١م.

٦- تراث الإسلام. تعريب جرجيس فتح الله.

بيروت - دار الطليعة، طبعة ثالثة، سنة ١٩٧٨م.

الأفغاني: سعيد.

٧- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام.
دمشق - دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٠م.

الألفي: أبو صالح.

٨- الفن الإسلامي. بيروت - دار المعارف، طبعة٢، بلا تاريخ.

أمير علي

9- A Short History of the saracens.
London, Macmillan, 1963.

١٠- مختصر تاريخ العرب. ترجمة عفيف بعلبكي. بيروت - دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٧.

أمين: أحمد.

١١- فجر الإسلام. القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة سنة ١٩٦٥م.

١٢- ضحى الإسلام. ثلاثة أجزاء، القاهرة - مكتبة النهضة الإسلامية، الطبعة السابعة، سنة ١٩٦٤م.

أوليريك ديلاسي.

١٣- الفكر العربي ومكانه في التاريخ.

Arab Thought and it's place in History.

ترجمة: تمام حسن، مراجعة: د. محمد مصطفى حلمي.
القاهرة - وزارة الثقافة والإرشاد، سنة ١٩٦١م.

الباشا: د. حسن

١٤- مدخل إلى الآثار الإسلامية. القاهرة - دار النهضة العربية، سنة ١٩٧٩م.

١٥- دراسات في الحضارة الإسلامية. القاهرة - دار النهضة العربية، سنة ١٩٧٥م.

بارتولد: فاسيلي فلاديمير ١٨٦٩م. -١٩٢٧م.

١٦- تاريخ الحضارة الإسلامية.
ترجمه عن التركية: حمزة طاهر، بعد أن ترجمه محمد فؤاد كوبرللي.
القاهرة - دار المعارف، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٩.
بدران: بدران أبو العنين.
١٧- أصول الفقه. القاهرة - دار المعارف، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٩م.
بدوي: د. عبده.
١٨- تاريخ اللحاد في الإسلام.
بيروت - المؤسسة العربية للدراسات، طبعة٢، سنة ١٩٨٠م.
١٩- السود في الحضارة العربية. القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٦م.
برجز: مارتن.
٢٠- فن العمارة "فصل من كتاب تراث الإسلام" ج٢، ترجمة: زكي محمد حسن. القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة ١٩٣٦.
بركلمان: كارل.
٢١- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة بثينة فارس ومنير بعلبكي.
بيروت - دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٦٥م.
٢٢- تاريخ الأدب العربي. خمسة أجزاء، ترجمة د. عبد الحليم النجار
القاهرة - دار المعارف، سنة ١٩٥٩م.
بلبع: عبد الحكيم.
٢٣- أدب المعتزلة. القاهرة - دار النهضة المصرية، طبعة٢، سنة ١٩٦٩م.
بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمن.
٢٤- سكينة بنت الحسين. القاهرة - دار الهلال، بلا تاريخ.
بهنسي: د. عفيف.

٢٥- جماليات الفن العربي. الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون، سنة ١٩٧٩م.

٢٦- الفن عبر التاريخ. دمشق - الفن الحديث والعالمي، بلا تاريخ.

27 Bope Arther uphan
27-A survey of persian Art
Editor And Phyllis Acckermar
Assitant Editor, Oxford 1938.

بيضون: د. ابراهيم.

٢٨- ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري.
بيروت - دار النهضة، سنة ١٩٧٩م.

٢٩- الدولة العربية في اسبانيا.
بيروت - دار النهضة، سنة ١٩٧٨م.

٣٠- الدولة العربية والمعارضة "مدخل لكتاب السيطرة العربية لفان فلوتن.
بيروت - دار الحداثة، سنة ١٩٨٠م.

بيهم: محمد جميل.

٣١- المرأة العربية في حضارة العرب.
بيروت - دار النشر للجامعيين، طبعة ١٩٦٢م.

الترمانيتي: د. عبد السلام.

٣٢- الرق ماضيه وحاضره.
الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون، سنة ١٩٧٩م.

ترتون: د.أ.س. ترتون.

٣٣- أهل الذمة في الإسلام. ترجمة د. حسن حبش.
القاهرة - دار المعارف، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٧م.

جبور: جبرائيل سليمان.

٣٤- عصر ابن أبي ربيعة. بيروت - منشورات الجامعة الأمريكية، كلية العلوم والآداب، سنة ١٩٣٥م.

الجندي: أنور.

٣٥- الإسلام وحركة التاريخ. القاهرة - مطبعة الرسالة، سنة ١٩٦٨.

٣٦- تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات.

القاهرة - دار الاعتصام، سنة ١٩٧٧م.

جولد تسهير: أجناس مجرى الأمل. توفي سنة ١٩٢١م.

٣٧- العقيدة والشريعة في الإسلام.

ترجمة د. محمد يوسف موسى، د. علي حسني عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق.

القاهرة - دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٥٩م.

جيوم: الفرد.

٣٨- تراث الإسلام. جزآن. The Legacy of islam

القاهرة - لجنة التأليف والترجمة.

الخربوطلي: د. علي حسين.

٣٩- تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي.

القاهرة - دار المعارف، سنة ١٩٥٩م.

٤٠- الدولة العربية الإسلامية.

القاهرة - عيسى البابي الحلبي، سنة ١٩٦٠م.

الخشاب: يحيى.

٤١- التقاء الحضارتين العربية والفارسية.

القاهرة - معهد البحوث والدراسات العربية والفارسية سنة ١٩٧٠.

الخضري: محمد.

٤٢- أصول الفقه.
القاهرة - المكتبة التجارية، الطبعة السابعة، ١٩٧٠م.
٤٣- تاريخ التشريع الإسلامي.
القاهرة - المكتبة التجارية. الطبعة السابعة. ١٩٧٠.
الخطيب: د. محمد عجاج.
٤٤- أصول الحديث ومصطلحاته.
بيروت - دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٥م.
خليفة: سيد محمود.
٤٥- تاريخ المنسوجات.
القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٦١م.
خماش: نجدة.
٤٦- الإدارة في العصر الأموي. دمشق - دار الفكر، سنة ١٩٨٠م.
حافظ: محمد محمود سامي.
٤٧- تاريخ الموسيقى والغناء العربي.
القاهرة - المطبعة الفنية الحديثة، سنة ١٩٧١م.
حتي: فيليب Hitti, Philip
48- History of the Arab
London: Macmillan Student Educations
Tenth Edition, 1979.
٤٩- تاريخ العرب المطول. جزآن، بالاشتراك مع إدوارد جرجي، وجبرائيل جبور. بيروت - دار الكشاف، طبعة ثالثة، سنة ١٩٦١.
٥٠- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين. جزآن، ترجمة: د. كمال يازجي بيروت - دار الثقافة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين سنة ١٩٥٩م.

٥١- العرب "تاريخ موجز".
بيروت - دار العلم للملايين، طبعة ٥، سنة ١٩٨٠م.
حجاب: د. محمد نبيه.
٥٢- الصراع الأدبي بين العرب والعجم
القاهرة - وزارة الثقافة والإرشاد، سنة ١٩٦٣م.
حداد: د. جورج.
٥٣- المدخل إلى تاريخ الحضارة. دمشق - جامعة دمشق، سنة ١٩٥٨م.
حسن: د. حسن إبراهيم.
٥٤- تاريخ الإسلام. أربعة أجزاء.
القاهرة - مكتبة النهضة، طبعة ٧، سنة ١٩٦٤م.
وبالاشتراك مع الدكتور علي ابراهيم حسن.
٥٥- النظم الإسلامية.
القاهرة - مكتبة النهضة، الطبعة السابعة، سنة ١٩٦٤م.
حسن: د. زكي محمد محمد.
٥٦- الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي.
دار الآثار العربية، الطبعة الثانية، سنة ١٩٤٦م.
حسن: علي ابراهيم.
٥٧- نساء لهن في التاريخ نصيب.
القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٣.
٥٨- التاريخ الإسلامي العام.
القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٧٢م.
٥٩- مصر في العصور الوسطى من الفتح الإسلامي إلى الفتح العثماني.
القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٥٤.
حسن: محمد عبد الغني.

٦٠- علم التاريخ عند العرب، القاهرة - مؤسسة المطبوعات الحديثة، سنة ١٩٦١م.

حسين: طه.

٦١- حديث الأربعاء. ثلاثة أجزاء.

القاهرة - دار المعارف، طبعة ١١، سنة ١٩٧٥م.

٦٢- من حديث الشعر والنثر.

القاهرة - دار المعارف، طبعة ١٠، سنة ١٩٦٩م.

حسين: محمد محمود.

٦٣- الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام.

بيروت - دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧١م.

حسين: مصطفى محمد.

٦٤- دراسات في تطور فنون النسيج والطباعة.

القاهرة - دار نهضة مصر، سنة ١٩٦٩م.

الحسيني: د. محمد باقر.

٦٥- تطور النقود العربية والإسلامية. بغداد - دار الجاحظ سنة ١٩٦٩.

الحوفي: د. أحمد محمد.

٦٦- أدب السياسة في العصر الأموي.

القاهرة - مكتبة نهضة مصر، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٤م.

الدجيلي: خولة.

٦٧- بيت المال "نشأته وتطوره". بغداد - وزارة الإعلام، سنة ١٩٧٦.

الدوري: د. عبد العزيز.

٦٨- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي.

بيروت - دار الطليعة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٨م.

٦٩- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب.
بيروت - المطبعة الكاثوليكية، سنة ١٩٦٠م.
٧٠- الجذور التاريخية للشعوبية.
بيروت - دار الطليعة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٠م.
ديماند: "مدير متحف للتوبليتان، نيويورك".
٧١- الفنون الإسلامية A Hand Book of Mohmmadan Art
ترجمة محمد أحمد عيسى، القاهرة - دار المعارف.
بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين، سنة ١٩٥٤م.
الرواي: ثابت بن اسماعيل.
٧٢- العراق في العصر الأموي. بيروت - مكتبة الأندلس، سنة ١٩٧٠م.
الرفاعي: أنور.
٧٣- الإنسان العربي والحضارة. بيروت - دار الفكر، سنة ١٩٧٠م.
رستم: أسد.
٧٤- الروم وصلاتهم بالعرب. جزآن، بيروت - دار المكشوف، سنة ١٩٥٥.
الرشيد: د. ناصر بن سعد.
٧٥- سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام.
القاهرة - دار الأنصار، سنة ١٩٧٧م.
رنسمان: ستيفن.
٧٦- الحضارة البيزنطية. ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد.
القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٦١م.
روزنتال: د. فرانتز.
٧٧- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. ترجمة أنيس فريحة، مراجعة د. وليد عرفات. بيروت - دار الثقافة، سنة ١٩٦١م.
الريحاوي: د. عبد القادر.

٧٨- العمارة العربية الإسلامية.
دمشق - وزارة الثقافة والإرشاد، سنة ١٩٧٩م.
الريس: د. محمد ضياء الدين.
٧٩- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية.
القاهرة - دار الأنصار، سنة ١٩٧٧م.
٨٠- عبد الملك بن مروان. القاهرة - وزارة الثقافة والإرشاد ١٩٦٢م.
ريسلر: جاك. س.
٨١- الحضارة العربية. ترجمة غنيم عبدون.
القاهرة - الدار المصرية للتأليف والترجمة، بلا تاريخ.
زيادة: د. نقولا.
٨٢- صور من التاريخ العربي.
القاهرة - دار المعارف، سنة ١٩٤٦م.
زيدان: جرجي.
٨٣- تاريخ التمدن الإسلامي. خمسة أجزاء.
بيروت - مكتبة الحياة، سنة ١٩٦٧م.
٨٤- العرب قبل الإسلام. بيروت - المكتبة الإسلامية، بلا تاريخ.
(وضع لأول مرة سنة ١٩٠٨م).
٨٥- المختصر في تاريخ آداب اللغة العربية. أربعة أجزاء.
بيروت - مكتبة الحياة، بلا تاريخ.
سالم: د. السيد عبد العزيز.
٨٦- تاريخ العرب في عصر الجاهلية. بيروت - دار النهضة العربية، سنة ١٩٧١م.
٨٧- التاريخ والمؤرخون العرب. القاهرة - دار الكتاب العربي ١٩٦٧.

٨٨- دراسات في تاريخ العرب. ج١، عصر ما قبل الإسلام.
القاهرة – دار المعارف، سنة ١٩٦٨م.
سترانج: لي سترانج. Le Strange, Guy.
89- Palestine Under the moslems, London, 1890
٩٠- فلسطين في العهد الإسلامي، ترجمة محمود عمايرة.
عمان – دائرة الثقافة والإرشاد، سنة ١٩٧١م.
السماحي: محمد محمود.
٩١- المنهج الحديث في علوم الحديث: قسم مصطلح الحديث.
القاهرة – دار الأنوار، سنة ١٩٦٣م.
٩٢- المنهج الحديث في علوم الحديث: قسم الرواة.
القاهرة – دار العهد الجديد، سنة ١٩٧١م.
السمرائي: حسن. El- Samarraie, huasan,
93- Agriculture in Iraq
Beirut: Libraitle Du Luban, 1972.
سيديو: لويس أميلي.
٩٤- تاريخ العرب العام. ترجمة عادل زعيتر.
القاهرة – دار إحياء الكتب العربية، سنة ١٩٤٨م.
شاخث: بوزورث.
٩٥- تراث الإسلام: القسم الأول، ترجمة د. محمد السمهوري.
القسم الثاني، ترجمة د. حسين مؤنس
القسم الثالث، ترجمة د. إحسان صدقي العمد.
الكويت – المجلس الوطني للثقافة والمترجمين، سنة ١٩٧٨م.
شافعي: د. فريد.

٩٦- العمارة العربية في مصر الإسلامية.
القاهرة - الهيئة المصرية العامة، سنة ١٩٧٠م.
الشامي: أحمد عبد الحميد.
٩٧- في تاريخ العرب والإسلام.
القاهرة - مطابع سجل العرب، سنة ١٩٧٨م.
الشايب: أحمد.
٩٨- تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري.
القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٤٥م.
الشرباصي: أحمد.
٩٩- الأئمة الأربعة. القاهرة - دار الهلال، بلا تاريخ.
الشريف: د. أحمد إبراهيم.
١٠٠- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول.
القاهرة - دار الفكر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٥م.
شريف: د. محمد بديع.
١٠١- الصراع بين الموالي والعرب.
القاهرة - دار الكتاب العربي، سنة ١٩٥٤م.
شفيق: أحمد.
١٠٢- الرق في الإسلام. ترجمه عن الفارسية: أحمد زكي.
القاهرة - طبع على نفقة محمود أنيس في المطبعة الأهلية الأميرية، سنة ١٨٩٢م.
الشكعة: د. مصطفى.
١٠٣- رحلة في الشعر من الأموية إلى العباسية. ثلاثة أجزاء.
بيروت - دار النهضة العربية، سنة ١٩٧١م.
شلبي: أحمد.

١٠٤- الحياة الاجتماعية في التفكير الإسلامي.
القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٦٨م.
١٠٥- السياسة والاقتصاد.
القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٦٧م.
شلبي: د. محمد مصطفى.
١٠٦- المدخل في التعريف في الفقه الإسلامي.
بيروت - دار النهضة العربية، سنة ١٩٦٩م.
صالح: أحمد عباس.
١٠٧- اليمين واليسار في الإسلام.
بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٣م.
الصالح: د. صبحي.
١٠٨- النظم الإسلامية نشأتها وتطورها.
بيروت - دار العلم للملايين، طبعة٢، سنة ١٩٦٨م.
الصفار: د. ابتسام مرهون، د. بدوي محمد فهدي.
١٠٩- الأحذية والنعال. مطبعة النجف الأشرف، سنة ١٩٧٣م.
الصيحي: محد إبراهيم.
١١٠- التجارة والاقتصاد عند العرب.
القاهرة - مكتبة الوعي العربي، سنة ١٩٦٩م.
ضيف: د. شوقي.
١١١- التطور والتجديد في الشعر الأموي.
١١٢- العصر الإسلامي. القاهرة - دار المعارف، طبعة٤، بلا تاريخ.

١١٣- الشعر والغناء في مكة والمدينة لعصر بني أمية.
القاهرة - دار المعارف، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٦م.
طوقان: فواز.
١١٤- الحائر "بحث في القصور الأموية في البادية".
عمان - وزارة الثقافة والشباب، سنة ١٩٧٩م.
العابدي: محمود.
١١٦- الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن.
عمان - جمعية عمال المطابع، سنة ١٩٧٣م.
١١٦- القصور الأموية. عمان - مطابع الشركة الصناعية، سنة ١٩٥٨م.
العارف: عارف.
١١٧- تاريخ الحرم القدسي.
القدس - مطبعة دار الأيتام الإسلامية، سنة ١٩٤٧م.
١١٨- تاريخ القدس. القاهرة - دار المعارف، سنة ١٩٥١م.
١١٩- المفصل في تاريخ القدس، ٥٧٢ صفحة كبيرة.
القدس - مكتبة الأندلس، سنة ١٩٦١م.
عاشور: السيد محمد.
١٢٠- صناعة وتجارة الأقمشة في مصر. ج١.
القاهرة - دار الاتحاد العربي للطباعة، سنة ١٩٧٣م.
عاقل: د. نبيه.
١٢١- تاريخ بني أمية. بيروت - دار الفكر، سنة ١٩٧٥.
العالم: د. يوسف حامد.
١٢٢- النظام السياسي والاقتصادي في الإسلام.
بيروت - دار العلم، سنة ١٩٧٥م.
العبيدي: د. صلاح حسين.

١٢٣- الملابس العربية والإسلامية في العصر العباسي.
بغداد -دار الرشيد، سنة ١٩٨٠م.
العدوي: د. إبراهيم أحمد.
١٢٤- المجتمع العربي ومناهضته للشعوبية.
القاهرة - مكتبة نهضة مصر، سنة ١٩٦١م.
العش: د. يوسف.
١٢٥- الدولة الأموية. دمشق - جامعة دمشق، سنة ١٩٦٥م.
عفيفي: د. عبدالله.
١٢٦- المرأة العربية في ظل الإسلام.
بيروت - دار الكتاب العربي، بلا تاريخ.
عطوان: د. حسين.
١٢٧- الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي.
بيروت -د ار الجيل، سنة ١٩٧٤م.
عكوش: محمود
١٢٨- مصر في عهد الإسلام.
القاهرة - مطبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٩٤١م.
علي: د. جواد.
١٢٩- تاريخ العرب قبل الإسلام - القسم السياسي- الجزء ١ .٢.
بغداد - مطبوعات المجمع العلمي العراقي، سنة ١٩٥٢م.
العلي: زكية.
١٣٠- التزين والحلي عند المرأة في العصر العباسي - رسالة ماجستير بغداد،
دار الحرية للطباعة والنشر، سنة ١٩٧٦م.
العلي: د. صالح أحمد.

١٣١- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري.
بيروت - دار الطليعة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٩.
علي: محمد كرد.
١٣٢- خطط الشام. ستة أجزاء.
بيروت - دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٠م.
١٣٣- الإسلام والحضارة العربية. جزأن.
القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر، طبعة ثالثة ١٩٦٨م.
علام: نعمت.
١٣٤- فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية.
القاهرة - دار المعارف، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٧م.
عون: د. حسن.
١٣٥- العراق وما توالى عليه من حضارات.
الاسكندرية - مطبعة رويال، الطبعة الثانية، سنة ١٩٥٢م.
عيسى: د. حسن أحمد.
١٣٦- الإبداع في الفن والعلم.
الكويت - المجلس العربي للثقافة والفنون، سنة ١٩٧٩م.
فارمر: هنري جورج.
١٣٧- تاريخ الموسيقى العربية. ترجمة د. حسين نصار.
القاهرة - مكتبة مصر، سنة ١٩٥٦م.
١٣٨- مصادر الموسيقى العربية. ترجمة د. حسين نصار.
القاهرة - مكتبة مصر، سنة ١٩٥٧م.
فروخ: د. عمر.

١٣٩- العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر المتوسط.
بيروت - المكتب التجاري، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٦م.
١٤٠- العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر المتوسط.
بيروت - المكتب التجاري، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٦م.
فلهوزن: يوليوس.
١٤١- تاريخ الدولة العربية. ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريده.
القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر، طبعة٢، سنة ١٩٦٨.
١٤٢- الخوارج والشيعة. ترجمة عبد الرحمن بدوي.
القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٥٨م.
فهمي: د. عبد الرحمن.
١٤٣- النقود العربية، ماضيها وحاضرها.
القاهرة - وزارة الثقافة والإرشاد، سنة ١٩٦٤م.
فيصل: د. شكري.
١٤٤- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام.
بيروت - دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٧٩م.
القاضي: د. نعمان.
١٤٥- الفرق الإسلامية في الشعر الأموي.
القاهرة - دار المعارف، سنة ١٩٧٠م.
قدورة: د. زاهية.
١٤٦- الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي.
بيروت - دار الكتاب اللبناني، سنة ١٩٧٢م.
القطان: مناع.
١٤٧- التشريع والفقه في الإسلام. القاهرة - مكتبة وهبة، سنة ١٩٧٦.

١٤٨- مباحث في علوم القرآن.
بيروت - مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، سنة ١٩٨٠م.
كاشف الغطاء: محمد حسين.
١٤٩- أصل الشيعة وأصولها.
النجف - مكتبة النجاح، الطبعة العاشرة، سنة ١٩٥٨م.
كاشف: د. سيدة اسماعيل.
١٥٠- الوليد بن عبد الملك "سلسلة أعلام العرب".
القاهرة - وزارة الثقافة والإرشاد، سنة ١٩٦٣م.
١٥١- مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه.
القاهرة - دار الفكر العربي، سنة ١٩٦٠م.
كحالة: عمر رضا.
١٥٢- الفنون الإسلامية في العصور الإسلامية.
دمشق - المكتبة العربية، سنة ١٩٧٢م.
١٥٣- العلوم البحتة في العصور الإسلامية.
دمشق - مكتبة التقدم، سنة ١٩٧٢م.
١٥٤- العلوم العملية في العصور الإسلامية.
دمشق -المكتبة التعاونية- سنة ١٩٧٢م.
١٥٥- التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية.
دمشق - المطبعة التعاونية، سنة ١٩٧٢م.
كرايستي.
١٥٦- الفنون الفرعية الإسلامية من كتاب إشراق الإسلام. الجزء الثاني ترجمة زكي محمد حسن.
القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة ١٩٣٦م.

Chirshmn R
157- Iran - parthianand Sassanin's paris' 1952.
148- Creswell, K. A Early Mauslim Architeefure
Beruit: Librouirie Du Iuben 1968.
149- The origin of the place of the Dome of the Rock offord' 1932.

كونل: أرنست.

١٦٠- الفن الإسلامي. ترجمة د. أحمد موسى.

بيروت - دار صادر، سنة ١٩٦٦م.

كيال: منير.

١٦١- الحمامات الدمشقية وتقاليدها.

دمشق - وزارة الثقافة والسياحة، سنة ١٩٦٩م.

لوبون: غوستاف.

١٦٢- حضارة العرب. ترجمة: عادل زعيتر.

القاهرة - مصطفى الحلبي، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٦٤م.

Lowis, Berrard

163- The Arabs history.

New York, 1967.

ماجد: د. عبد المنعم.

١٦٤- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى.

القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٦٣م.

مارسيه: جورج.

١٦٥- الفن الإسلامي. ترجمة د. عفيف بهنسي.

دمشق - وزارة الثقافة والسياحة، سنة ١٩٦٨م.

مارغوليوث:

١٦٦- دراسات عن المؤرخين العرب. ترجمة د. حسين نصار.

بيروت - دار الثقافة، بلا تاريخ.

الماغرو: مارت الماغرو، لويس بالبيرو.

١٦٧- خوان تشوتشابا، انطونيو الماغرو.

قصر عمرة: مدريد - المعهد الإسباني العربي للثقافة سنة ١٩٧٥م.

المختار: فريال داوود.

١٦٨- المنسوجات العراقية الإسلامية. بغداد - وزارة الإعلام سنة ١٩٧٦م.

مدكور: د. محمد سلام.

١٦٩- مدخل الفقه الإسلامي.

القاهرة - الدار القومية للطباعة والنشر، سنة ١٩٦٤م.

١٧٠- القضاء في الإسلام.

القاهرة - مكتبة النهضة العربية، سنة ١٩٦٤م.

متز: آدم متز.

١٧١- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. مجلدان.

ترجمة: محمد محمود عبد الهادي أبو ريده.

بيروت - دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٦٧م.

مرزوق: محمد عبد العزيز.

١٧٢- الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية.

القاهرة - دار الكتب المصرية، سنة ١٩٤٢م.

المصري: د. حسن مجيب.

١٧٣- صلات العرب والفرس والترك.

القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٧١م.

المعاضيدي: عبد القادر.

١٧٤- واسط في العصر الأموي.
بغداد - وزارة الإعلام، سنة ١٩٧٦م.
مغنية: محمد جواد مغنية.
١٧٥- الشيعة والحاكمون.
بيروت - المكتبة الأهلية، طبعة١، سنة ١٩٦٢م.
مؤنس: د. حسين.
١٧٦- المساجد.
الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سنة ١٩٨١م.
النجار: محمد الطيب.
١٧٧- الموالي في العصر الأموي.
القاهرة - دار النيل للطباعة، سنة ١٩٤٩م.
النقشبندي: السيد محمود. توفي سنة ١٩٦٩م.
١٧٨- الدرهم الإسلامي.
بغداد - المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧٠م.
١٧٩- الدينار الإسلامي في المتحف العراقي.
بغداد - المجمع العلمي العراقي، سنة ١٩٥٣م.
نكلسون: Nicholson, R.A

180 A Literary History of the Arabs

Cambridge, 1962.

النيفر: محمد الطاهر.
١٨١- أصول الفقه.
تونس - دار بو سلامة، سنة ١٩٧٤م.
هاردنج: لانكستر.

١٨٢- اثار الأردن. تعريب سليمان موسى.
عمان - وزارة السياحة، ط٢، سنة ١٩٧١م.
هاملتون. Hamilton R.W.

183- Khirbat AL- Mafjar: Oxford 1959.

هرنشون: ف. ج.
١٨٤- علم التاريخ.
ترجمة وتعليق: عبد الحميد العبادي.
القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة ١٩٣٧م.
هنداوي: محمد موسى.
١٨٥- المعجم في اللغة الفارسية.
القاهرة - مكتبة مطبعة مصر، سنة ١٩٥٢م.

الموسوعات

١- دائرة المعارف الإسلامية المعربة (١٤ مجلد لغاية حرف العين).

تعريب: محمد ثابت، أحمد الشنتناوي، إبراهيم خورشد، عبد الحميد يونس.

٢- الموسوعة الميسرة: بإشراف محمد شفيق غربال.

القاهرة - مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع دار العلم، سنة ١٩٦٥م.

٣- موسوعة القرن العشرين: بإشراف محمد فريد وجدي. بيروت ١٩٧١م.

٤- الأعلام: قاموس تراجم. ثمانية أجزاء، خير الدين زركلي.

بيروت - دار العلم للملايين، طبعة٤، سنة ١٩٧٩م.

5- Encyclopedia Britanica

Chicago. U.S.A, 1960.

6- Encyclopedia Americana

New York, 1962.

7- The Encyclopedia of Islam

London, 1960.

دار الكندي للنشر والتوزيع

اربد - الاردن تلفاكس ٢٤٤٣٢٣

Designed by: Dr. Inas Alkholy